416

HARLEQUIN

روايات أحلام

عصفورة النار

هيلين بروكس

www.elromancia.com
مرمورية

عصفورة النار

قد يكون تراقيس بلاك غاية في الوسامة. لكنه غاية في الازعاج أيضا. فهو يظهر دائما في الأوقات غير المناسبة. وأكثر ما يزعج بيث هو نظراته العميقة التي تذكرها في كل لحظة بأنها امرأة...

ولكن من الواضح أنها ليست الصنف الذي يحبه. فما عساه هذا الرجل الثري والناضج يريد من فتاة هادئة تعيش حياة رتيبة؟

هذه المرة قد لا يحصل المليونير على مبتغاه.. أو ربما.. هناك مفاجأة!

لبنان:	3000 ل.ل	البحرين:	1 دينار
سوريا:	100 ل.س	السعودية:	10 ريال
الأردن:	1.5 دينار	مصر:	8 جنيه
الكويت:	750 فلس	المغرب:	15 درهم
الإمارات:	10 دراهم	تونس:	2.50 دينار
قطر:	10 ريال	عمان:	1 ريال

ISBN 978-9953-15-384-1

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

العلامة التجارية Harlequin وشعار Joey هما ملك شركة Harlequin Books S.A
وهما مستعملان هنا برخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
the billionaire's marriage mission
First published in Great Britain 2006
Harlequin Mills & Boon Limited
© Helen Brooks 2006
Translation © Dar El-Farasha - 2008
ISBN 978 - 9953 - 15 - 384 - 1

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 961-1-450950- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحييتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

هيلين بروكس

تعيش هيلين بروكس في (نورثامبتون شير) وهي متزوجة وأم لثلاثة أولاد. أوقات فراغها نادرة جداً، فهي متدينة ملتزمة وربة منزل منهمكة وأم مثالية. لكن هواياتها تشمل القراءة والسباحة والاهتمام بالحديقة والسير مع كلابها الصغيرة النشيطة التي تحبها كثيراً. حققت حلمها بالكتابة في سن الأربعين، وأرسلت أول إنتاج لها إلى (ميلز أند بونز).

١ - بداية مقلقة

انغلق الباب بقوة خلف بيث مارتون، فوقع الصوت على أذنيها كقوة قصف الرعد. تجمدت في مكانها لثوانٍ غير مصدقة، ثم استدارت وراحت تدفع الباب الخشبي القاسي بكل ما أوتيت من قوة. بالطبع لم يتزحزح الباب من مكانه.

- آه! لا، لا!

دفعت بيث ثانية، وهذه المرّة بشكل أقوى، على الرغم من اقتناعها بأن ما تفعله هو مجرد حماقة. لو أنها تقف خارج شقتها في لندن لما كان لهذا الأمر أهمية كبيرة. إذ بإمكانها الطلب من أحد الجيران الاتصال بشقيقتها التي تملك مفتاحاً إضافياً، أما هنا...!

نظرت حولها وهي تشعر بالوحشة، مدركة أنها مرتدية بيجامة حريرية من اللون القرنفلي ذات أربطة طويلة على الكتفين، كما أن الطقس العاصف في هذا الليل المظلم لا يشجّع على البقاء في الخارج، فهو ينذر بالمطر.

لامس يدها أنف بارد، فنظرت إلى الأسفل باتجاه الكلب الألماني الكبير الذي راح يتفحّصها بعينين نافدتي الصبر. تذمرت قائلة: «أعرف، أعرف! نحن هنا في الخارج وعشاؤك في الداخل، لكنك أنت من أصرّيت على حاجتك إلى الخروج منذ لحظة».

لكن، هي من تبعت هارفي إلى الخارج حاملة مصباحاً كهربائياً لكي تتأكد من أنه لن يختفي في الظلمة. أدركت متأخرة أن تصرفها هذا يبدو سخيفاً، فليس هناك مكان يمكنه الخروج منه، فالحديقة المحيطة بالكوخ الصغير الذي استأجرته مسيجة بشكل محكم.

www.elromancia.com

عصفت الريح حاملة معها رائحة الدخان في الهواء، مذكرة بيث أنها أشعلت النار في غرفة الجلوس منذ لحظات، وأنها لم تضع الحاجز أمام الموقد بل تركته ملقى على أحد جانبي الموقد الأردوازي.

في تلك اللحظة انطلقت مذعورة لتدور حول الكوخ، علّها تجد نافذة غير موصدة، رغم أنها تشكّ في ذلك. وصلت بيث إلى هذا المكان منذ نصف ساعة، بعد رحلة شاقّة لا تتمنّاها حتى لأسوأ أعدائها، لكنها سرعان ما شعرت بالارتياح لتمكنها من إيجاد المبنى المنعزل في الظلام. بعد اكتشاف مكان مفتاح الباب الأمامي الذي كان مخبأ تحت إناء للزرع كما أخبرها الوكيل، حملت أمتعتها إلى الداخل، متوقفة فقط لتضع الأطعمة القابلة للفساد في الثلاجة قبل أن تخلع ملابسها وتأخذ حمّاماً منعشاً رائعاً.

ما إن تخلصت من آثار الرحلة، لم تستطع تحمل فكرة ارتداء ملابسها ثانية، لذا ارتدت البيجامة قبل أن تفتح زجاجة من العصير وتُشعِل النار. وضعت سلّة هارڤي الضخمة في زاوية مناسبة، وفتحت علبة من طعامه المفضّل في مطبخ الكوخ الصغير. كانت على وشك إطعامه حين أوضح أنه بحاجة إلى الخروج لقضاء حاجته.

- آه!

أطلقت أنيناً عندما انزلقت على بقعة موحلة من الأرض، فوقعت على مؤخرتها في محيط لزج ذي رائحة مقرفة تماماً. تحرّكت مقلتا عينيها وارتجّ جسدها بقوة. وفاجأتها رغبة ملحة في البكاء، لكنها بدلاً من هذا استعادت المصباح الكهربائي الذي وقع من يدها ووقفت بجهد. يبدو أن هارڤي نسيَ أمر العشاء تماماً ودخل في هذه اللعبة الجديدة، فراح يقفز بجانبها وينبح مبتهجاً.

الحمد لله، ما زال المصباح يعمل. مع أن بيث ليست بحاجة إلى ضوء لتتأكد من أن ثعلباً أو غريراً تسلل خلسة إلى الحديقة في الليل، فالرائحة على بيجامتها وخفّها المغطى بالزغب أعلمتها بذلك.

مشت حول المبنى إلى الباب الأمامي من جديد، ووقفت للحظة.

سرت ارتجافة في جسدها، فالليلة هي إحدى ليالي أيار الباردة.

عليها أن تكسر زجاج النافذة وتتسلق بطريقة ما. حدّقت بيث إلى المصابيح القديمة المحيطة بنوافذ غرفة الجلوس وتذكرت أنها حين توقفت هنا سابقاً أعجبت بمظهر النوافذ المزودة بأعمدة حجرية تعلوها مصابيح. فكّرت عندها أن هذا الطراز من النوافذ ذو قيمة كبيرة، فالكوخ صغير ولونه بني. إنه شبيه بصندوق من الشوكولا ذي سقف من القش. تحيط به دعامات خشبية في كل مكان. وهو يتمتع بكل السحر الذي يتوقعه أي شخص، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن بناءه يعود إلى بضعة قرون سابقة، لكن السحر لا يساعدها الآن في هذه اللحظة.

بدأت معدة هارڤي تقرقر فخسرت اللعبة إغراءها. بدأ هارڤي بالنباح، فحاولت إسكاته بطقطقة من أصابعها قائلة: «حسناً! حسناً!».

إذا حطمت أياً من هذه النوافذ القديمة الجميلة، ستلحق بها مقداراً كبيراً من الضرر، لكن لا يمكنها التفكير بأي طريقة أخرى. بقدر ما يمكنها التذكر، لم تمرّ بأي مكان مأهول لبضعة أميال بعد أن انعطفت إلى الطريق الفرعية الذي يؤدي أخيراً إلى الكوخ. بالإضافة إلى ذلك، هي ترتدي ثياب النوم، ولا يمكنها القيام برحلة في ريف شروشير.

أضاءت بالمصباح على النافذة، وحاولت أن تضغط على الزجاج. فكرت أن النوافذ محصّنة بأعمدة، كما أن المصابيح المغطاة بالإطار الرصاصي مدعّمة بقضبان فولاذية من الخلف، لذا فهي غير متأكدة أنها تستطيع الدخول إذا نجحت فعلاً في كسر الزجاج. بالطبع! تستطيع سحق إحدى نوافذ سيارتها، لكنها سوف تتجمّد حتى الموت أثناء الليل في السيارة. وفي الصباح سوف تواجه المشكلة نفسها، فمفاتيح سيارتها وكل أغراضها موجودة في الكوخ.

- آه، هارڤي!

عاودتها الرغبة في البكاء من جديد. هذا ما كان ينقصها! ألا يكفيها ما حدث مؤخراً؟ إن ذلك كثير جداً بالنسبة لها... لماذا تواجهها العوائق في

www.elromancia.com

كل مرة، حين تحاول استعادة نشاطها وإخراج نفسها من هذا المزاج السيء؟ هذا ليس عدلاً! تهاوت بيث فجأة على عتبة الباب ووضعت ذراعها حول الرقبة ذات الوبر الخشن، والدموع تسيل على وجنتيها. بعد لحظات لاحظت أضواء سيارة تتحرك فوق منحدر التل.

هناك شخص ما يسير في الطريق الضيق المؤدي إلى الكوخ! قفزت بيث واقفة، واندفعت بسرعة بمحاذاة سيارتها عبر المساحة الصغيرة من العشب التي تكوّن الحديقة الأمامية، وفتحت البوابة الكبيرة المتأرجحة، ممسكة بطوق هارفي الجلدي، وراحت تنتظر ذلك الشخص ليصل إليهما. أضاءت المصباح بتلهف على الطريق، آملة ألا يمرّ صاحب السيّارة دون أن ينتبه لهما. آه ليتها لم ترتدي هذه البيجاما! فكرت بذلك باهتياج شديد. لهذا السبب هي ترغب في أن يرى هذا المنقذ، أيّاً كان، هارفي ويعرف أن لديها كلب حراسة من النوع الذي ليس من الحكمة تجاهله. لطالما سمعت عن أشياء فظيعة تحصل للنساء عندما يطلبن من أشخاص غرباء المساعدة. بدا لها أن وقتاً طويلاً مرّ قبل أن تصل السيّارة إليهما، مع أنها بمجرد دقيقة أو دقيقتين فقط. أضاءت المصابيح الأمامية المشرقة للسيارة الظلام، وسرعان ما اندفعت سيارة أنيقة من أمامها قبل أن تتمكن بيث من رمش عينيها. للحظة مرعبة، ظنّت أن السائق لم ينتبه لهما وهما يقفان على حافة العشب، لكنها ما لبثت أن سمعت صرير الفرامل عند منعطف في الطريق، بعد أن اختفت السيّارة عن ناظريها. وبعد بضع ثوانٍ، عادت السيارة لتتوقف إلى جانبهما.

أُنزِلَ زجاج نافذة السيارة، وتشدّق صوت ذكوري عميق، بنبرة تمتزج بالدهشة والتسلية: «يا للجحيم! ماذا تفعلين هنا في الخارج مرتدية هذه الثياب؟».

أنا أتسلّ! للحظة، كادت بيث تجيبه بذلك ساحة للسانها بالسيطرة على عقلها، لكن المنطق جعلها تفكر أن من الأفضل أن تكسب هذا الرجل إلى جانبها أياً كان. ابتلعت الردّ الساخر الذي قفز إلى شفتيها، وقالت بهدوء:

«يبدو أنني حجزت نفسي في الخارج حين كنت أعتني بكلبي. أفترض أن لديك شيئاً ما في السيارة يمكنني أن أدفع به الباب».

حركت المصباح باتجاه وجهه أثناء تكلمها، ورأته يجفل عندما تسلّط الضوء المشعّ على عينيه، فقالت: «آسفة».

وأنزلته فوراً، لكن النظرة المختصرة كانت كافية لتخبرها أن الرجل شاب ذو شعر داكن، إلا أنها لم تتمكن من رؤية أي شيء آخر من ملامحه.

- أتطلبين مني أن أقوم بكسر الباب لتتمكني من الدخول؟

بالتأكيد، بدت التسلية على وجهه في أوجها الآن، وكان على بيث أن تأخذ نفساً عميقاً قبل أن تقول بلطف: «أفترض ذلك، أجل. هل تستطيع المساعدة؟».

إنها ترتجف من رأسها حتى قدميها، وقد بدأت أسنانها تصطك، وهذا المهرّج وجد هذه المسألة مضحكة. يا له من رجل عديم الشعور!

- أنتِ تشعرين بالبرد.

لاحظ الرجل ذلك من اصطكاك أسنانها، فقالت بهدوء: «قليلاً، ولهذا السبب أريد العودة إلى الداخل في أقرب وقت ممكن».

أُطفيء المحرك وفُتح باب السائق، واندفع جسم كبير من السيارة في قلب الظلام. بعد ذلك، قدم لها الرجل سترة ضخمة، كانت ملقاة على مقعد الركاب بجانبه، وقال ببساطة: «تفضلي، ضعي هذه عليك».

نقل الرجل نظره إلى هارفي الذي يقف عند قدميها، والذي بدأ يصدر خرخرة خفيفة.

لم تحاول بيث إيقاف الكلب. وفي الحقيقة، وضعت في رأسها فكرة إعطائه حفنة إضافية من البسكويت الذي يحبّه عندما يعودان إلى الداخل. بدا الرجل طويلاً... طويلاً جداً، كتفاه عريضتان، وعضلاته قوية بشكل مرعب. هذا ما استطاعت ملاحظته في الضوء الخافت. لم ترغب في إضاءة المصباح في وجهه ثانية لتتحقق من ملامحه، لكنها شعرت بالقلق من غير ريب، لأنها ترتدي ثياباً غير مناسبة لمقابلة الغرباء.

www.elromancia.com

ركع الرجل الغريب، وانحنى إلى أن أصبح رأسه موازياً لفكّ هارفي، ثم قال بصوت لطيف: «اهدأ، ما من أحد سيقوم بإيذاء سيدتك».

وقدّم يده للكلب ليشمها. تلا ذلك توقف قصير، ثم توقفت الخرخرة، وراح لسان زهري طويل يلعق يد الرجل في حين اهتز ذيل هارفي ملقياً التحية. تساءلت بيث إن كان هارفي سيشعر بالسرور فعلاً من نفسه حين يعرف أنه نسف فكرة قطع البسكويت الإضافية.

- كلب لطيف!

وقف الرجل ومدّ يده قائلاً: «أعطني المصباح بينما ترتدين السترة».

لم تَرَ بيث أي جدوى من المجادلة. إذا أراد أن يضربها بشيء على رأسها ويقوم بإيذائها، من الواضح أن هارفي لن يساعدها.

اندفع الرجل أمامها، ومشى إلى باب الكوخ في حين ارتدت هي السترة التي غطت معظم جسمها. تبعت الرجل وهارفي إلى جانبها، وراحت تراقبه عندما حاول فتح الباب أولاً ثم مشى حول المبنى يتفحص كل نافذة كما فعلت هي. لكن بالطبع، لم ينتبه المطاف جالساً في روث ثعلب أو سنجاب.

عندما ظهر من خلف الكوخ قالت بيث بنبرة فيها شيء من القلق: «سبق أن حاولت فتح كل النوافذ».

لم يعلّق الرجل على هذا، بل كل ما قاله: «ما هذه الرائحة الكريهة؟ أهي رائحة مياه مبتذلة؟».

- زلت قدمي خلف المنزل... أعتقد أن حيواناً كان هناك...

- وكيف...؟

لم يزعج الرجل نفسه بمحاولة إخفاء تسليته، ومع أن بيث ليست مستعدة لتقف في الهواء البارد لتناقش معه كيف أصبحت رائحتها كريهة، إلا أن الرجل لم يبدُ لها رجلاً لبقاً ليعطي الأولوية لهذا الأمر.

سألته باختصار قائلة: «إذاً، هل تستطيع إدخالي؟ الطقس بارد هنا».

- هذا محتمل... لكنني لا أنوي ذلك. لا ضرورة لكسر الباب أو

النافذة وإحداث ضرر كبير في حين أنه يمكنك الاتصال بالوكيل في الصباح لتطلبي منه المجيء. هذا المكان مؤجر من قبل ترنر أند ترنر، أليس كذلك؟ إنه وكيل الممتلكات المحلي.

- أجل، لكن...

- لذا، أقترح أن تعودي معي إلى منزلي، وتنعمي بنوم جيّد، وسنحل هذه المشكلة في الصباح.

هل هو مجنون؟ قالت بيث بصلابة: «أشعلت النار، ولا أستطيع تركها».

ردّ عليها بنعومة قائلاً: «يبدو أنه مر وقت على ذلك».

- الحاجز ليس أمام الموقد.

- بالكاد هناك دخان يتصاعد من المدخنة، لذا من المحتمل أن النار قد خمدت الآن. سيكون كل شيء على ما يرام.

قالت بيث: «بأية حال، لا أستطيع الذهاب. عليك فهم هذا».

- بالطبع يمكنك.

تعليقه بشأن وكيل الممتلكات أخبرها أنه من السكان المحليين، وهذا ما تأكد الآن حين أضاف: «أنا أعرف جون ترنر. سأتصل به بنفسي في الصباح، وأشرح له القضية. سوف تعودين عند العاشرة صباحاً. سيفضّل جون هذا على كسر الباب والدخول. أنا متأكد من ذلك».

هي لا تريد العودة عند العاشرة صباحاً، بل تريد الدخول الآن. فقالت: «إذا كنت تعرفه، لمَ لا تتصل به الآن؟».

تمكنت من رؤية ظل رأسه يهتز عندما قال: «لا يمكنني ذلك. ليلة الجمعة هي ليلة البلياردو لجون والرجال، ولا شيء يبعده عنها».

هذا أمر سخيف من غير ريب. قالت بيث: «مهما حدث، لا أستطيع الذهاب معك إلى منزلك، سيد...؟».

- بلاك. تراڤيس بلاك. لمَ لا تستطيعين المجيء معي، آنسة...؟

- أدعى بيث مارتون، وأنا لست معتادة على قضاء ليلة بطولها مع

www.elromancia.com

أشخاص غرباء تماماً.

قالت ذلك بشدّة، متجاهلة كلبها هارفي، الذي وقف بجانب تراڤيس بلاك كما لو أنه كلبه هو وليس كلبها. يا لهذا الخائن!

- لم نعد غرباء. تعرفنا إلى بعضنا للتو.

بدا تراڤيس متكاسلاً، وعادت التسلية إلى نبرة صوته مضاعفة أكثر حين أضاف: «ليس عليك أن تقلقي. أنا لست بحاجة شديدة إلى رفقة امرأة لأنتهز فرصة هذا المأزق المشؤوم، ولست أفكر في خطفك وسلبكِ. إنه عرض صادق. ستنامين بمفردك، لا سيّما أن تلك... الرائحة الغريبة تبدو منفرة تماماً».

التظاهر بجرح الكبرياء صعب الآن، نظراً إلى البيجامة الحريرية القرنفلية اللون التي ترتديها والرائحة الكريهة التي تفوح منها، لكن بيث قامت بمحاولة حين قالت بهشاشة: «شكراً لهذا العرض، لكنني لا أستطيع قبوله سيد بلاك. هناك هارفي أيضاً، وهذا أحد الأسباب».

- أنا لم أعرض عليك أن تربطيه هنا وتتركيه. بالطبع سيأتي هو أيضاً.

استدار تراڤيس وبدأ يمشي عائداً إلى سيارته ثم قال: «القرار يعود لكِ».

- إلى أين تذهب؟

عرفت بيث أن صوتها بدا حاداً جداً، لكنها لم تستطع تمالك نفسها. هو لن يذهب ويتركها هنا، هل سيفعل هذا؟ ما من شخص يمكنه أن يكون قاسي القلب على هذا النحو... أليس كذلك؟

- إلى منزلي.

لم يزعج نفسه بالاستدارة، وتابع: «تأخر الوقت، وكان يومي طويلاً. أنا جائع، متعب وقد بدأ المطر يتساقط. يمكنك أن تأتي معي أو تبقي هنا، الأمر يعود لك».

لم تتحرك بيث فعلاً إلاّ عندما جلس في السيّارة. لم تصدق أنه سيغادر حقاً، لكن عندما أدار المحرك اعترفت بالهزيمة، لاسيّما عندما تحوّلت بقع الماء إلى مطر غزير مستمر.

ركضت عبر الحديقة إلى البوابة وهارفي يقفز عند قدميها، ونقرت على نافذة السائق، فأُنزل الزجاج. هذه المرة أبقت الضوء بعيداً عن عينيه بطريقة تسمح بإعطائها نظرة واضحة لوجهه. إنه وجه صارم، لكنه يملك شيئاً ما يجعل أيّ امرأة ترغب بالنظر إليه ثانية. لاحظت أن شعره أسود، لكنها لم تستطع تحديد لون عينيه.

تمتمت قائلة: «لا يمكنني البقاء هنا طوال الليل. على الأرجح أن ما من شخص آخر سيمرّ من هنا».

- بالتأكيد! أراهن على هذا.

وافقها بلطف مضيفاً: «منزلي هو المبنى الوحيد في الجوار، والطريق تنتهي عند حديقتي الأمامية».

أكان على وشك الرحيل وهو يعرف ذلك؟

سألته بنبرة متصلبة: «أين أضع هارفي؟».

نزل الرجل من السيارة وفتح الصندوق الخلفي، فقفز هارفي وجلس على البطانية الموجودة هناك كما لو أنه يقوم بهذا طوال حياته. حدّقت بيث إلى الكلب أثناء إنزال تراڤيس لغطاء الصندوق، وما لبث أن مشى حول السيارة وفتح الباب الأيمن لها دون أن يتفوه بأي كلمة. لكنها أدركت أنه يبتسم في سرّه.

انسلّت إلى الداخل قائلة وأسنانها تصطك من البرد: «شكراً لك».

أغلق الباب بلطف قائلاً: «هذا من دواعي سروري».

ما إن انضم إليها في السيارة، حتى أصبحت مدركة أكثر لطوله ولضخامة جسمه. من جهة أخرى أصبحت واعية إلى حدّ ما للرائحة المقرفة المنبعثة من ثيابها، فقالت بصوت خفيض عندما بدأت السيارة بالتحرك: «آمل ألاّ أفسد المقعد».

لاحظت بيث أن السيّارة هي إحدى أفخم سيارات المرسيدس، وراهنت أنها المرة الأولى التي يتعرّض فرشها الجميل لهذه الإساءة.

- إنه مصنوع من الجلد، ويمكن غسله إذا دعت الحاجة. حالما نصل إلى

www.elromancia.com

مكان إقامتي يمكنك الاستحمام، وسأجد لك ثياباً نظيفة لترتديها، ولو أنها لن تكون قرنفلية اللون.

سأله بيث بالنبرة نفسها: «ألا يعجبك هذا اللون؟».

ابتسم من دون أن ينظر إليها، وأجاب: «إنه يزعج نظري».

- أحقاً؟

أتراه يحاول أن يجعلها تشعر بالطمأنينة فلا تخشاه؟ ذكّرت نفسها أنه يقدّم لها مأوى لتمضي الليل، ولو أنه لم يأتِ لوقعت في ورطة حقيقية، فأجابت متأخرة: «هذا لطف منك».

- هذا ما أحصل عليه دائماً: أيتام، مشردين، ضالين...

- آه! أحقاً؟

عرفت أنه يمزح، لكنها بطريقة ما شعرت أنها أشبه بهؤلاء الذين ذكرهم. تمكنت من السيطرة على صوتها ليأتي خالياً من أية عواطف حين قالت: «إذا كان منزلك هو الوحيد الموجود على هذه الطريق، فأنا محظوظة جداً لأنك أتيت».

- لاسيّما أنني لا أعيش هنا طيلة الوقت، فأنا غالباً أعمل في بريستول، وأعيش هناك.

- آه!

نظرت إلى صورته الجانبية القاسية، وسألته: «ماذا تعمل؟».

هو ليس من نوع الرجال الذين يمكن التعرّف إليهم بسهولة.

- في التصميم الصناعي.

يشمل هذا الاختصاص الكثير من الفروع، لكن بما أن صوته بدا رافضاً، لم ترغب بيث بسؤاله عن مجال تخصّصه. بدلاً من ذلك سألته: «إذاً منزلك هنا هو نوعاً ما لقضاء العطلة. أليس كذلك؟».

قال باختصار: «بالأحرى وهو مكان للهروب».

ثم تابع يسألها: «وأنتِ؟، هل تعملين؟».

أومأت برأسها قائلة: «أنا مهندسة معمارية، لكنني الآن في إجازة».

انتظرت بيث أن ترى الدهشة تعلو وجهه، تلك الدهشة التي تظهر عادة على وجوه الرجال عندما يتعرفون إليها. إذ يبدو أن الرجال يفكرون دوماً أنها نحيلة وذات جسد رقيق مع شعر أشقر عسليّ وعينين زرقاوين كبيرتين، وذلك يمنعها من الحصول على وظيفة تتضمن زيارة مواقع إنشاء المباني والتعامل مع البنائين، بالإضافة إلى أشياء أخرى. ولا يستبعد أن تصادف بيث أثناء عملها بعض المزعجين الذين يحاولون دائماً إخفاء ذهولهم، فيقولون شيئاً مثل: أحقاً؟ كم هذا رائع! أثناء تحديقهم إليها من الأعلى إلى الأسفل على نحو خالٍ من التعبير.

أومأ تراڤيس برأسه فحسب، وقال: «هل أنت متمرنة أم موظفة دائمة؟ أم أنك تعملين بشكل مستقل؟».

- أنا الآن متمرنة، وسوف أبقى كذلك لمدة ستة أشهر.

توقعت أن يطرح عليها المزيد من الأسئلة، لكن عندما اكتفى بذلك استقرت بسهولة أكثر في مقعدها، بعد أن أدركت أنها تبقي نفسها مشدودة مثل أوتار البيانو. بدت الأشجار على جانبي الطريق الضيّق أشبه بخيمة فوق رأسيهما، وبدا الليل شديد السواد، وفيما راحت الأضواء الأمامية القوية للسيارة تشق الظلام فأبرزت، الوحشة المحيطة بهما.

وفجأة ظهرت أمامهما بوابات ضخمة، فتحها تراڤيس من السيارة بجهاز التحكم عن بعد. عبرا من خلالها إلى طريق مرصوف بالحصى حيث انكشف المشهد أمام بيث مباشرة، فرأت منزلاً كبيراً تبلغ مساحته مئات الأمتار المربعة.

ليس هذا ما توقعت رؤيته، بل توقعت رؤية كوخ صغير مشابه لذاك الذي استأجرته أو شيء ما أكبر بقليل، لكنها لم تتوقع أن تجد هذا القصر في مكان هو فعلياً ميدان صغير. نظرت إلى تراڤيس نظرة سريعة، لكن عينيه كانتا مركزتين على الزجاج الأمامي للسيارة. فكرت أن هذا المكان ليس عادياً، وبدأت تظن أن تراڤيس هو أيضاً ليس شخصاً عادياً أيضاً.

امتدت أراضٍ معتنى بها على جانبي الطريق، وعندما توقفت السيارة

www.elromancia.com

انتظرت بيث أن ترى الدهشة تعلو وجهه، تلك الدهشة التي تظهر عادة على وجوه الرجال عندما يتعرفون إليها. إذ يبدو أن الرجال يفكرون دوماً أنها نحيلة وذات جسد رقيق مع شعر أشقر عسلي وعينين زرقاوين كبيرتين، وذلك يمنعها من الحصول على وظيفة تتضمن زيارة مواقع إنشاء المباني والتعامل مع البنائين، بالإضافة إلى أشياء أخرى. ولا يستبعد أن تصادف بيث أثناء عملها بعض المزعجين الذين يحاولون دائماً إخفاء ذهولهم، فيقولون شيئاً مثل: أحقاً؟ كم هذا رائع! أثناء تحديقهم إليها من الأعلى إلى الأسفل على نحو خالٍ من التعبير.

أومأ تراڤيس برأسه فحسب، وقال: «هل أنت متمرنة أم موظفة دائمة؟ أم أنك تعملين بشكل مستقل؟».

- أنا الآن متمرنة، وسوف أبقى كذلك لمدة ستة أشهر.

توقعت أن يطرح عليها المزيد من الأسئلة، لكن عندما اكتفى بذلك استقرت بسهولة أكثر في مقعدها، بعد أن أدركت أنها تبقي نفسها مشدودة مثل أوتار البيانو. بدت الأشجار على جانبي الطريق الضيّق أشبه بخيمة فوق رأسيهما، وبدا الليل شديد السواد، وفيما راحت الأضواء الأمامية القوية للسيارة تشق الظلام فأبرزت، الوحشة المحيطة بهما.

وفجأة ظهرت أمامهما بوابات ضخمة، فتحها تراڤيس من السيارة بجهاز التحكم عن بعد. عبرا من خلالها إلى طريق مرصوف بالحصى حيث انكشف المشهد أمام بيث مباشرة، فرأت منزلاً كبيراً تبلغ مساحته مئات الأمتار المربعة.

ليس هذا ما توقعت رؤيته، بل توقعت رؤية كوخ صغير مشابه لذاك الذي استأجرته أو شيء ما أكبر بقليل، لكنها لم تتوقع أن تجد هذا القصر في مكان هو فعلياً ميدان صغير. نظرت إلى تراڤيس نظرة سريعة، لكن عينيه كانتا مركزتين على الزجاج الأمامي للسيارة. فكرت أن هذا المكان ليس عادياً، وبدأت تظن أن تراڤيس هو أيضاً ليس شخصاً عادياً أيضاً.

امتدت أراضٍ معتنى بها على جانبي الطريق، وعندما توقفت السيارة

أمام المنزل في المساحة المرصوفة بالحصى، والتي هي على شكل الحدوة، اعترفت بيث لنفسها أنها شعرت بالرهبة إلى حدٍ ما. في الواقع حتى لو كانت مرتدية ثياباً بالغة الأناقة وكان شعرها مصفّفاً بشكل رائع، لشعرت أيضاً بقليل من الرعب. فكرت بذلك بصمت.

أفكارها هذه جعلت كل شيء يبدو أكثر تضارباً حين أوقف تراڤيس السيارة ومشى حول الغطاء المعدني للمحرّك ليساعدها على الخروج منها، كما لو أن هناك موعداً بينهما أو شيئاً من هذا القبيل.

أنيرت الأضواء الخارجية للمنزل بشكل آلي عندما وصلا، لكن بيث شعرت بالارتباك، وأدركت سخف وضعها الآن أكثر من أي شيء آخر. أثناء خروجها من السيارة بمساعدة يده الدافئة نظرت إليه، وكانت تلك المرة الأولى التي تنظر فيها إليه بشكل كامل. شعرت بتيار كهربائي يسري في جسدها تسبّب بتوقف أنفاسها في حنجرتها. فكّرت بغير منطق: رماديتان! عيناه رماديتان!

- ما اسم كلبكِ؟

- ماذا؟

ظهر الإجفال واضحاً في صوتها، لكن أفكارها المشوشة لم تسمح لها بتفادي ذلك.

كرّر بصبر: «كلبكِ.. ما اسمه؟».

في تلك اللحظة بالذات سمع صوت النباح، فهارڤي راح يعترض لكونه عالقاً في السيارة، بينما هما في الخارج. قالت: «آه! هارڤي. اسمه هارڤي».

- أقترح أن تكوني جاهزة لتعيدي طمأنته، فسوف يلتقي بكلبتي بعد لحظة، وأنا أفضل أن يكون لطيفاً.

زال التشوّش من أفكارها إثر كلماته، ذلك التشوش الذي سببته حدّة نظرات عينيه الرماديتين الغامضتين المحاطتين بأهداب سوداء طويلة وكثيفة. قالت قبل أن تدرك أن كلامها لن يفيد في إثبات شخصية كلبها الحارس تماماً: «هارڤي لطيف دائماً».

www.elromancia.com

أمام المنزل في المساحة المرصوفة بالحصى، والتي هي على شكل الحدوة، اعترفت بيث لنفسها أنها شعرت بالرهبة إلى حدٍ ما. في الواقع حتى لو كانت مرتدية ثياباً بالغة الأناقة وكان شعرها مصفّفاً بشكل رائع، لشعرت أيضاً بقليل من الرعب. فكرت بذلك بصمت.

أفكارها هذه جعلت كل شيء يبدو أكثر تضارباً حين أوقف تراڤيس السيارة ومشى حول الغطاء المعدني للمحرّك ليساعدها على الخروج منها، كما لو أن هناك موعداً بينهما أو شيئاً من هذا القبيل.

أنيرت الأضواء الخارجية للمنزل بشكل آلي عندما وصلا، لكن بيث شعرت بالارتباك، وأدركت سخف وضعها الآن أكثر من أي شيء آخر. أثناء خروجها من السيارة بمساعدة يده الدافئة نظرت إليه، وكانت تلك المرة الأولى التي تنظر فيها إليه بشكل كامل. شعرت بتيار كهربائي يسري في جسدها تسبّب بتوقف أنفاسها في حنجرتها. فكّرت بغير منطق: رماديتان! عيناه رماديتان!

- ما اسم كلبكِ؟

- ماذا؟

ظهر الإجفال واضحاً في صوتها، لكن أفكارها المشوشة لم تسمح لها بتفادي ذلك.

كرّر بصبر: «كلبكِ.. ما اسمه؟».

في تلك اللحظة بالذات سمع صوت النباح، فهارڤي راح يعترض لكونه عالقاً في السيارة، بينما هما في الخارج. قالت: «آه! هارڤي. اسمه هارڤي».

- أقترح أن تكوني جاهزة لتعيدي طمأنته، فسوف يلتقي بكلبتي بعد لحظة، وأنا أفضّل أن يكون لطيفاً.

زال التشوّش من أفكارها إثر كلماته، ذلك التشوش الذي سببته حدّة نظرات عينيه الرماديتين الغامضتين المحاطتين بأهداب سوداء طويلة وكثيفة. قالت قبل أن تدرك أن كلامها لن يفيد في إثبات شخصية كلبها الحارس تماماً: «هارڤي لطيف دائماً».

- جيّد، فشينا وسكاي ليستا لطيفتين.

في اللحظة التالية، فتح الغطاء الخلفي للسيارة وقفز هارڤي منها، وقبل أن تسأله ما الذي يعنيه بقوله هذا، كان يدير المفتاح في قفل الباب الأمامي. فجأة، اندفع دبّان أشيبان... أو هذا ما بدا لبيث.

راحت الكلبتان تطوفان حول هارڤي، لكن هزّة ذيله وتكشيرته المتراخية لم تتداعَيا مطلقاً. وما هي إلا ثوانٍ، حتى راحت الكلاب الثلاثة تشم بعضها البعض، في عملية تهدف إلى التعرف على بعضها، فتنهدت بيث بارتياح.

- إنهما جميلان!

قالت ذلك بعدم اقتناع، مبقية عينيها على هارڤي، إذ ربما قرر الكلبان فجأة أن يهجما عليه، ويقوما بأذيته. أضافت: «ما نوعهما؟».

- باستثناء كونهما أنثيين، ليست لدي أي معلومات عنهما.

قال تراڤيس ذلك بلا جدال، مطقطقاً بأصابعه. وعند هذه الإشارة انطلقت الكلبتان بسرعة، وجلستا إلى جانبه. تابع قائلاً: «كانتا متروكتين بجانب الطريق في علبة وهما بعمر الخمسة أو الستة أسابيع. صديق لي رأى الحادثة، وشيء ما جعله يعود وينظر داخل العلبة. فأحضرهما إلي».

مهما كان نوعهما، يبدو أن هارڤي يجدهما جذابتين. لاحظت بيث أنه اتخذ مظهراً قوياً حاسماً عندما مشى الهوينا نحو تراڤيس، ورمق الكلبتين بنظرة متفحصة.

أول ما لفت نظر بيث حين دخلا المنزل هو المساحة المغطاة بالخشب المعتّق. فالردهة الكبيرة هي ذات أرضية من خشب السنديان، وكذلك منحنى بيت السلم العريض الذي يؤدي إلى رواق الطابق الأول. بدت الجدران فاتحة اللون، وقد علّق عليها عدد من اللوحات التي توفر ألواناً بارزة مفعمة بالحيوية، وهناك طاولة من خشب السنديان وُضع إلى جانبيها كرسيّان منجّدان بظهر عالٍ، ما أضفى شكلاً حسناً على المكان.

- أنت بالتأكيد ترغبين بالاستحمام وتبديل ملابسك، بينما أطعم

www.elromancia.com

- جيّد، فشينا وسكاي ليستا لطيفتين.

في اللحظة التالية، فتح الغطاء الخلفي للسيارة وقفز هارفي منها، وقبل أن تسأله ما الذي يعنيه بقوله هذا، كان بدير المفتاح في قفل الباب الأمامي. فجأة، اندفع دبّان أشيبان... أو هذا ما بدا لبيث.

راحت الكلبتان تطوفان حول هارفي، لكن هزّة ذيله وتكشيرته المتراخية لم تتداعَيا مطلقاً. وما هي إلا ثوانٍ، حتى راحت الكلاب الثلاثة تشم بعضها البعض، في عملية تهدف إلى التعرف على بعضها، فتنهدت بيث بارتياح.

- إنهما جميلان!

قالت ذلك بعدم اقتناع، مبقية عينيها على هارفي، إذ ربما قرر الكلبان فجأة أن يهجما عليه، ويقوما بأذيته. أضافت: «ما نوعهما؟».

- باستثناء كونهما أنثيين، ليست لدي أي معلومات عنهما.

قال تراڤيس ذلك بلا جدال، مطقطقاً بأصابعه. وعند هذه الإشارة انطلقت الكلبتان بسرعة، وجلستا إلى جانبه. تابع قائلاً: «كانتا متروكتين بجانب الطريق في علبة وهما بعمر الخمسة أو الستة أسابيع. صديق لي رأى الحادثة، وشيء ما جعله يعود وينظر داخل العلبة. فأحضرهما إليّ».

مهما كان نوعهما، يبدو أن هارفي يجدهما جذابتين. لاحظت بيث أنه اتخذ مظهراً قوياً حاسماً عندما مشى الهوينا نحو تراڤيس، ورمق الكلبتين بنظرة متفحصة.

أول ما لفت نظر بيث حين دخلا المنزل هو المساحة المغطاة بالخشب المعتّق. فالردهة الكبيرة هي ذات أرضية من خشب السنديان، وكذلك منحنى بيت السلم العريض الذي يؤدي إلى رواق الطابق الأول. بدت الجدران فاتحة اللون، وقد علّق عليها عدد من اللوحات التي توفر ألواناً بارزة مفعمة بالحيوية، وهناك طاولة من خشب السنديان وُضع إلى جانبيها كرسيّان منجّدان بظهر عالٍ، ما أضفى شكلاً حسناً على المكان.

- أنت بالتأكيد ترغبين بالاستحمام وتبديل ملابسك، بينما أطعم

الكلاب. هل أطعمت هارفي؟

أثناء كلامه اتجه تراڤيس إلى الدرج لكن الكلبتين توقفتا عند أسفله، من المحتمل أنه لا يسمح لهما بصعود الدرج.

- لا، لم يتناول طعامه. كنت على وشك إطعامه عندما علقنا في الخارج.

تبعت بيث تراڤيس على الدرج بعد أن أشارت إلى هارفي بالبقاء في الأسفل. لم يعترض الكلب على ذلك، بل وقف بقوة بين الكلبتين.

وبعد أن انحنت لتتأكد من أن هارفي ما زال يحسن التصرف، انضمت إلى تراڤيس الذي وقف بجانب باب غرفة نوم مفتوح، وقال: «ستجدين بعض القمصان والسراويل الرياضية في الخزانة، وثوب استحمام للضيوف خلف باب الحمّام».

ثم تابع بلطف قائلاً: «تصرّفي كأنك في منزلك. المياه الساخنة متوفرة. عندما تجهزين، انزلي إلى الأسفل، وستجدينني في المطبخ. هل تحبين المعكرونة البولونية؟».

- ماذا؟ آه! أجل، أجل. شكراً لك.

بارتباك شديد، تقدمت بيث على السجادة القشدية اللون، فأقفل تراڤيس الباب خلفها، وتركها وحيدة. بدا واضحاً أن هذه الغرفة مخصصة للضيوف. نظرت حولها، فبدا لها أنها مفروشة بأثاث من اللونين القشدي والبني، وهي بلا ريب مزينة ومفروشة بواسطة شخص ذي ذوق معتدل، لكنها جميلة. توقّعت بيث أن يكون المنزل كله جميلاً.

بحذر شديد، شقّت طريقها إلى باب الحمام الداخلي.

نظرت بدقة إلى المرآة الكبيرة المعلقة فوق زوج من الأحواض، وتأوهت بصوت مرتفع حين رأت صورتها في المرآة. ليست البيجامة والخفين فقط في حالة سيئة، بل إن لطخة كبيرة من الوحل تستقر على جانب من وجهها، أملت أن تكون هذه اللطخة مجرّد وحل فقط. بدا شعرها مشعثاً وقد بعثره الهواء فغدا متشابكاً، أما وجهها الخالي من التبرّج فبدا مشرقاً حيث لا

www.elromancia.com

الكلاب. هل أطعمت هارفي؟

أثناء كلامه اتجه تراڤيس إلى الدرج لكن الكلبتين توقفتا عند أسفله، من المحتمل أنه لا يسمح لهما بصعود الدرج.

- لا، لم يتناول طعامه. كنت على وشك إطعامه عندما علقنا في الخارج.

تبعت بيث تراڤيس على الدرج بعد أن أشارت إلى هارفي بالبقاء في الأسفل. لم يعترض الكلب على ذلك، بل وقف بقوة بين الكلبتين.

وبعد أن انحنت لتتأكد من أن هارفي ما زال يحسن التصرف، انضمت إلى تراڤيس الذي وقف بجانب باب غرفة نوم مفتوح، وقال: «ستجدين بعض القمصان والسراويل الرياضية في الخزانة، وثوب استحمام للضيوف خلف باب الحمّام».

ثم تابع بلطف قائلاً: «تصرّفي كأنك في منزلك. المياه الساخنة متوفرة. عندما تجهزين، انزلي إلى الأسفل، وستجدينني في المطبخ. هل تحبين المعكرونة البولونية؟».

- ماذا؟ آه! أجل، أجل. شكراً لك.

بارتباك شديد، تقدمت بيث على السجادة القشدية اللون، فأقفل تراڤيس الباب خلفها، وتركها وحيدة. بدا واضحاً أن هذه الغرفة مخصصة للضيوف. نظرت حولها، فبدا لها أنها مفروشة بأثاث من اللونين القشدي والبني، وهي بلا ريب مزينة ومفروشة بواسطة شخص ذي ذوق معتدل، لكنها جميلة. توقّعت بيث أن يكون المنزل كله جميلاً.

بحذر شديد، شقّت طريقها إلى باب الحمام الداخلي.

نظرت بدقة إلى المرآة الكبيرة المعلقة فوق زوج من الأحواض، وتأوهت بصوت مرتفع حين رأت صورتها في المرآة. ليست البيجامة والخفين فقط في حالة سيئة، بل إن لطخة كبيرة من الوحل تستقر على جانب من وجهها، أملت أن تكون هذه اللطخة مجرّد وحل فقط. بدا شعرها مشعثاً وقد بعثره الهواء فغدا متشابكاً، أما وجهها الخالي من التبرّج فبدا مشرقاً حيث لا

توجد أوساخ.

بعد عشر دقائق، شعرت بيث أنها عادت هي نفسها. وجدت مرطباً للوجه والجسم مع الصابون والمنعّم للشعر في خزانة الحمام. وما إن أصبحت نظيفة، ورائحتها زكية، حتى بدا لها كل شيء جيّداً. بعد أن جففت شعرها وعاد إلى قصته الطبيعية الحريرية بطوله الذي يصل حتى الكتفين، وجدت بعض القمصان النسائية والسراويل الرياضية النظيفة مطوية في درج في ناحية من الخزانة شبه الفارغة. تساءلت لمن هي. أتراها لصديقته؟ فكّرت حين وضعت ثيابها في الماء، حسناً! حان الوقت لمواجهته ثانية. نزلت الدرج حافية القدمين، مدركة أن معدتها تقفز من الخوف. مع أن ذلك يبدو سخيفاً، لكنها لم تكن قادرة على تمالك نفسها.

حالما وصلت إلى الردهة، أجالت بصرها حولها. قال تراڤيس إن عليها الانضمام إليه في المطبخ، لكن هناك عدّة أبواب موزعة في تلك المساحة الواسعة أمامها. افترضت بيث أن المطبخ يقع على الأرجح في الجهة الخلفية من المنزل، فشقت طريقها في الردهة نحو أبعد باب ونقرت عليه بعصبية قبل أن تفتحه قائلة: «مرحباً، هذا أنا».

- مرحباً.

كان تراڤيس يحرّك شيئاً على النار، والكلاب الثلاثة تستلقي تحت قدميه، وقد بدا بوضوح أنها متخمة وتنام باطمئنان. هزّ هارفي ذيله حين رآها، لكنه لم يكلّف نفسه بالنهوض. تابع تراڤيس قائلاً: «اجلسي، واسكبي كوباً من العصير لنفسك».

التقطت بيث نظرته الثاقبة الشاملة قبل أن يستدير ليتابع عمله. رؤية ذلك الجسد القوي الضخم مرتدياً قميصاً قطنية سوداء، مفتوحة عند الرقبة، وبنطلون جينز قطنياً أسود، كانت كافية لجعلها تشعر بالتوتر. جلست إلى طاولة المطبخ الكبيرة المصنوعة بأسلوب يلائم بيت المزرعة، ومدّت يدها لتلتقط زجاجة العصير المفتوحة. بالرغم من أن الطاولة كبيرة، إلاّ أنها لم تبدُ كذلك لرحابة المساحة الفسيحة للمطبخ. الخزائن الخشبية

ذات اللون العسلي والأسطح المكوّنة من الغرانيت تبدو مزيجاً بين الطرازين القديم والجديد، لكنها مرضية جداً للعين.

بعد أن أخذت عدّة رشفات من العصير، أصبحت هادئة بشكل كافٍ لتقول بهدوء: «هل هناك شيء أستطيع مساعدتك به؟».

- لا، فكل شيء أصبح جاهزاً.

وما هي إلا لحظة حتى نقل برشاقة طبقين من المعكرونة البولونية إلى الطاولة، مع صحن من الخضار المشوية قليلاً، جعلت لعاب بيث يسيل. عندما جلس تراڤيس إلى الطاولة قال بنبرة واقعية: «أصبحت نظيفة بشكل رائع، بل أكثر من رائع».

- شكراً لك.

أدركت بيث أن اللون الأحمر علا خديها، وأزعجها هذا الأمر. المسألة ليست في كونها غير معتادة على سماع المجاملات من الرجال، لكن هذا الرجل بالتحديد بكل ما فيه يجعلها تشعر بالاضطراب. أشارت إلى هارڤي بتلويحة من يدها، وقالت بشكل متأنق: «وشكراً لأنك أطعمتنا، أنا فعلاً لم أقصد أن أسبب لك مشاكل كثيرة عندما لوّحت لك».

تفحصتها عيناه الرماديتان دون أن يظهر عليهما أي تعبير، فيما بدا وجهه في الضوء المشرق للمطبخ جذاباً، وقد ظهرت قسماته وزواياه المحددة بوضوح، حيث برز أيضاً ندب على إحدى وجنتيه. بدا أنفه مستقيماً وحاجباه غليظين، وكان فمه أنيقاً.

أخذ تراڤيس بلاك يؤثر في كيانها بسحره الرجولي بشكل ساحق، شعرت أن أصابع قدميها تنكمش بسبب قوة جاذبيته.

- نحن جاران...

قال تراڤيس ذلك بتكاسل بعد أن مرّت لحظة أو لحظتان من التوتر، ثم تابع قائلاً: «... وإن يكن مؤقتاً. إنه أقل شيء يمكنني تقديمه. أنا آمل أن يتصرف أي شخص بالمثل إذا وجدت شقيقتي نفسها في مكان غريب واحتاجت إلى المساعدة».

ألديه شقيقة؟ هذا مضحك. لكن هذا طمأنها إلى حدٍ ما. خبّأت بيث أفكارها خلف ابتسامة اجتماعية محايدة أثناء تفحّصها له، وسألته: «كم تبلغ شقيقتك من العمر؟».

- ساندرا؟ احتفلت بعيد ميلادها الثلاثين منذ بضعة أسابيع، وعلى الأرجح أنها ما زالت تحتفل. أنا أعرف ساندرا، إنها مهووسة بحفلات أعياد الميلاد.

- أنت لا تستحسن هذا، على ما يبدو.

شيء ما في صوته أوحى لها بذلك، على الرغم من عدم وجود شيء معين يمكّنها من تحديد ذلك بدقة. لكن ربما تكون مخطئة.

هزّ كتفيه المليئتين بالعضلات، فيما وضع شوكة من المعكرونة في فمه وابتلعها قبل أن يقول بتكاسل: «إنها امرأة راشدة، وتعيش حياتها الخاصة».

في الواقع، هذه ليست إجابة. أكلت بيث من المعكرونة، فوجدت أنها لذيذة بكل ما للكلمة من معنى. وبما أن تحضير الطعام هو أحد الأشياء الأقل تفضيلاً بالنسبة لها، فهي دائماً تشعر باحترام كبير للشخص الذي يمكنه أخذ مكونات عادية وتحويلها إلى شيء مميز.

- هذا الطعام شهي!

قالت ذلك بقليل من الحسد، إذ يبدو واضحاً أن تراڤيس هو من الرجال الذين يتقنون كل شيء يصممون على القيام به، تماماً مثل كيث. هذه الفكرة سببت لها ألماً مبرحاً، فأغلقت بعنف ذلك الباب الصغير في رأسها، وعلّقت إشارة «ممنوع الدخول» عليه ثانية.

- شكراً لكِ.

ظهر في صوته تعبير ساخر، وتأخرت بيث لتدرك أن كلماتها لا تبدو منسجمة مع التعبير المرسوم على وجهها. فلطّفت عبوسها مجبرة نفسها على الابتسام، وقالت برفق: «أنا لست بارعة في تحضير الطعام بشكل جيّد. لذا أشعر دائماً بالغيرة الشديدة من أي شخص يمكنه ذلك».

www.elromancia.com

أومأ تراڤيس برأسه إلا أنه لم يقل شيئاً. لكنها فهمت من الانطباع البادي على وجهه أنه لم يصدّقها. فتحت فمها لتقول المزيد لكنها أقفلته ثانية، متذكرة الحكمة القديمة التي تقول بأن قلة الكلام هي الأفضل لإصلاح الأمور. بأية حال، إنها لا تجيد الكذب أبداً، خلافاً لكيث.

تناولت كوبها وشربته دفعة واحدة، فيما راحت أصابعها تشد بإحكام حول قاعدته. استرخي! استرخي! راحت تذكّر نفسها بصمت.

أعاد تراڤيس ملء كوبها قبل أن يسترخي في كرسيّه ويقول: «هل أنا السبب في شعورك بالتوتر أم أنكِ تبدين دائماً بهذه العصبية عندما تمضين الليل في منزل رجل غريب؟».

ابتسمت هذه المرّة بتلقائية أكبر، وسألته: «وهل أنت غريب؟».

- أصبح هذا من الماضي.

قال ذلك ثم ابتسم، فشعرت بيث أن جاذبيته تصاعدت عدّة درجات، فقالت: «إذاً علي أن أكون متيقظة».

ابتسمت ثانية وانكبت على طعامها؛ كلما أسرعت في إنهاء طعامها وتمكنت من الهروب إلى غرفتها، كلما كان ذلك أفضل، فهي لا ترغب في أن تكون لطيفة أو ممازحة أو أي شيء آخر.

التهمت طعامها بسرعة، مبقية نظرها على صحنها. اعترفت لنفسها بصمت أنه عمل عظيم من قِبَلِه أن يمد لها يد المساعدة ويقدّم لها سريراً لتمضي الليلة، لكنها كانت تفضّل لو أنه كسر باب الكوخ أو النافذة، وهي مستعدة لدفع تعويض عن الضرر الناتج عن ذلك لصاحب الكوخ. أتراها حقاً ناكرة للجميل؟ ربما! لكن هذا ما تشعر به.

أنهيا طعامهما بصمت وبعد قليل وضع تراڤيس شوكته والتقط كوبه، وقال: «إذاً، أنتِ تستأجرين الكوخ لستة أشهر كاملة؟».

تشجعت بيث، ورفعت رأسها ليلتقي نظرها بعينيه الرماديتين الباردتين. أومأت برأسها قائلة باختصار: «هذه أقل فترة ممكنة».

- إنه مكان منعزل جداً.

- هذ ما أعجبني فيه.

راح ينظر إليها بطريقة متفحصة جعلتها تشعر بعدم الارتياح، فأضافت: «لم أكن على ما يرام مؤخراً، لذا أحتاج إلى تغيير تام لفترة ما».

- لا يمكنك الحصول على مكان أفضل من كوخ هيرب.

لم ترد عليه بيث، بل أنهت كوب العصير، ووقفت بسرعة قائلة: «إذا لم تمانع، سآوي إلى الفراش الآن. كانت الرحلة متعبة وأنا منهكة».

بدت كلماتها غير لبقة حتى بالنسبة إلى سمعها.

- ألا أستطيع إغراءك ببعض الحلوى؟

قال تراڤيس ذلك بلطف، مضيفاً: «هناك فطيرة البندق أو كيك التفاح».

هزت رأسها قائلة: «لا، شكراً».

نظرت إلى هارڤي الذي لم يحرّك ساكناً قائلة: «أين تريده أن ينام؟».

- سينام في الأسفل مع الكلبتين.

قال تراڤيس ذلك بهدوء، مضيفاً: «يبدو أنه يتصرف بشكل جيّد».

قالت بيث بتوتر، وهي تشعر بأنها مزعجة بل ربما سخيفة: «حسناً! أشكرك ثانية. سوف نخرج من منزلك بأسرع ما يمكن في الصباح».

- لا داعي للسرعة.

آه! بلى. عندما نهضت وقف تراڤيس فبدا طويلاً جداً وقوياً جداً. و... جذاباً. إنه جذاب جداً بلا ريب. شعرت بالرعب من الاتجاه الذي تأخذها إليه أفكارها، وأقنعت نفسها بأنها متعبة جداً، فتمتمت بسرعة: «أتمنى لك ليلة هادئة».

وهربت من المطبخ، حتى قبل أن تعطيه الفرصة ليجيبها.

٢ - أوراق من الماضي

بدا السرير مريحاً جداً والجو هادئاً، وشعرت بيث أنها دافئة. تقلّبت في السرير عدّة مرات متسائلة لما لا تستطيع النوم. إنها مرهقة، ما من شك في ذلك، لكن فكرها منشغل. تأوهت بهدوء ودفنت رأسها في الوسادة، إلا أن انزعاجها من نفسها راح يزداد مع تقدّم الوقت.

هي لا تريد التفكير بكيث، فقد أصبحت قادرة على إبعاده عن أفكارها، إذاً لماذا عادت إلى ذهنها الليلة ذكرى تلك الجراح القديمة؟

إنه هو... ترافيس بلاك. لتكون صادقة.. هو من ذكّرها بكيث. مع ذلك لا يمكنها التفكير بالسبب، فالرجلان لا يتشابهان جسدياً. كيث أشقر الشعر وعيناه زرقاوان مع ابتسامة صبيانية دافئة، ومع أنه يتميز بالجاذبية إلا أن شخصيته ليست طاغية ومهددة. وقعت بيث في حبّه منذ اللحظة الأولى التي التقيا فيها وذلك حين دخل إلى المكتب. أما هو فقال إنه شعر بالمثل... قال إنه متيم بها، وإنه يعبدها.

لقد أحبته ووثقت به، بهذه البساطة.. إنها أكبر غلطةٍ ارتكبتها في حياتها.

تزوجا بهدوء وكيث هو من أراد ذلك. أما هي فكانت مبتهجة جداً، إلى درجة تجعلها توافق على الزواج وهي مرتدية ثياباً بالية لو طلب منها ذلك. يومها ارتدت بذلة باللون الأزرق الفاتح مع قبعة كبيرة، وقال الجميع إنها تبدو متألقة. بعدئذٍ اصطحبها كيث إلى جزر الباهاماس لتمضية أسبوعين، ثم عادا ليسكنا في شقته العصرية الواقعة في ضواحي لندن. كانت خطتهما الأصلية البدء بالتفتيش عن منزل فوراً، لكن مع مرور

الأسابيع والأشهر لم يحدث هذا. قال كيث إن هناك متّسعاً من الوقت لذلك، وهي وافقته الرأي. فعندما يقرران إنجاب طفل في المستقبل، سوف يفكران بالمنزل.

وفي ليلة مشؤومة، حضرت شقيقتها وزوجها ميشال إلى شقتهما شاحبي الوجه، وهما يرتجفان من أعلى رأسيهما إلى أخمص أقدامهما. أخبرتها كاثرين أن والديها العزيزين قُتلا في حادث اصطدام شابان في الثامنة عشرة من العمر كانا يقودان سيارة مسروقة، اندفعا بها بسرعة باتجاه الطريق، مسببين انحراف شاحنة لتجنبهما. فقد سائق الشاحنة السيطرة، مما أدّى إلى اصطدام شاحنته بوالديها. سائق الشاحنة أصيب ببعض الكدمات والجروح، أما ذانك الطائشان فلم يصابا بأذى ولا حتى بخدوش، وفوق ذلك لم يشعرا بالندم لما اقترفاه من ذنب. هذه القضية جذبت اهتمام وسائل الإعلام في جميع أنحاء البلاد، ذلك أن أحد الشابين الطائشين هو شقيق أحد مغني الروك المشهورين.

بعد يوم أو يومين من الأحاديث الصحفية معها وكيث وكاثرين وميشال على درج المحكمة، بعد انتهاء المحاكمة وتلقّي الشابين أعلى عقوبة ممكنة، عادت من عملها لتجد سيّدة شابة تنتظرها خارج شقتها.

كانت تلك الفترة العصيبة سيئة جداً، وعلى الرغم من أنها وكاثرين كافحتا لتتوصلا إلى تفهّم خسارة والديهما، لكن لا شيء أمكنه تحضيرها لما تَبِعَ ذلك. تبيّن لبيث أن السيدة الشابة هي زوجة كيث، وأن لديهما ولدين، وأنهما يعيشان معاً منذ سبع سنوات. أدركت أنه في الليالي التي كان يمضيها خارج المنزل متذرعاً بالعمل، كان في الحقيقة في الجهة الثانية من لندن مع آنا. كما تبين لها أن لديه صديقات أيضاً. هذا ما أخبرتها به آنا بغضب شديد. لطالما كانت لديه صديقات، لكن آنا تغاضت عن ذلك لأنها تحبه، ولأنه والد ابنتيها الصغيرتين، لكن عندما رأته في نشرة الأخبار مع زوجة اختلف الأمر. قبل يوم واحد فقط من ذلك تركها والصغيرتين مودعاً إياهن بالقبلات والمعانقات بعد أن أمضى الليل بين ذراعيها، ولم

يكن لديها أدنى فكرة أنه في الواقع تزوج بامرأة أخرى.

حدّقت بيث بالمرأة المهتاجة في حين بدأ عالمها ينهار أمامها... لقد صدّقت ما قالته آنا فوراً. إذ عادت إلى ذهنها آلاف الأشياء الصغيرة التي أصبحت مركّزة بشكل حاد، بدءاً من الزفاف المتكتم من دون جلبة قبل اثني عشر شهراً، وصولاً إلى تغيبه لبضعة أيام قبل عيد الميلاد، حيث كان من المفترض أن يذهب برحلة إلى اسكتلندة بداعي العمل، ولم يكن قادراً على العودة قبل يوم الإهداء. بالطبع، أمضى ليلة الميلاد ويوم العيد مع آنا وابنتيه. هكذا مرّت عليها أكاذيبه، وكلها منفذة ببراعة تامة.

كلما تكلمت أكثر مع آنا، كلما أدركت كم كان كيث مخادعاً. وإذا أرادت إثباتاً أكبر بأن آنا تقول الحقيقة، فقد جاء ذلك الإثبات عندما دخل عليهما كيث في وقت لاحق. فنظرة الرعب التي ظهرت على وجهه شكلت أكبر دليل على نفاقه.

رحلت بيث في الليلة نفسها، ولم تعد أبداً إلاّ لتجمع بعض الأغراض الشخصية مع كاثرين عندما كان كيث في عمله. رفضت أن تراه أو تتكلم معه، وعندما أدرك أنها جادة إلى حد بعيد أذعن لطلبها وناقش مسألة الطلاق.

كانت كاثرين وميشال رائعين معها، فقد أصرّا على بقائها معهما، لكن عندما أصبحت كاثرين حاملاً بطفلها الأول، قررت بيث الانتقال من منزلهما وإيجاد مكان خاص بها.

حالما أصبحت قادرة، وجدت شقة بغرفة نوم واحدة، واشترتها على الفور بنصف ميراثها من ممتلكات والديها. قضى هذا على آخر سنت من مدخراتها، لكنها كانت بحاجة لتشعر أن لديها منزلها الخاص. بعد يوم واحد من انتقالها ظهرت كاثرين وميشال أمام الباب مع هارڤي، الذي لم يبدُ يومها أكثر من حزمة من الزغب مع قدمين أكبر مما ينبغي ولسان قرنفلي اللون.

- هدية انتقالك إلى منزل جديد.

أعلنت كاثرين ذلك متابعة: «والآن، أنا تركت العمل، لذا يمكنني الاعتناء به في الأيام التي تمضينها في المكتب. أنتِ بحاجة إلى رفقة في الليل. أليس صحيحاً؟».

احتجّت بيث بأنها لا ترغب في اقتناء كلب، وأن ذاك ليس أمراً عملياً، لكنها أدركت أن كاثرين قلقة جداً عليها. من جهة أخرى، خشيت أن تغرق في مستنقع اليأس عندما تكون بمفردها، وهذا ما أقنعها بقبول هارڤي. وفي الحقيقة، ثَبُتَ في النهاية أن كاثرين محقة مئة في المئة، إذ إنها ما كانت لتتمكن من اجتياز عذاب الثمانية عشر شهراً الماضية لولا وجوده. فوجود هارڤي معها في الليل جعلها تشعر بالطمأنينة، كما أن اصطحابه معها وفر لها حماية قوية.

وهكذا، ناضلت بيث بمساعدة هارڤي، حتى الأسابيع القليلة الماضية. إلا أن الضغط المتجمع بسبب خسارة والديها وخيانة كيث وانهيار زواجها، إضافة إلى حقيقة أنها تعمل بكدٍ منذ طلاقها، كادت أخيراً أن تقضي عليها. حسب ما قال الطبيب، إنها تعاني من نوع من الضغط النفسي قد يسبب لها الانهيار، وإنها بحاجة إلى راحة تامة.

رفضت بشدة أن تتناول العلاج الذي وصفه لها، لكنها قبلت بأخذ عطلة طويلة، فهذه لن تكون فكرة سيئة. قررت أن تختار مكاناً هادئاً ومنعزلاً تماماً، كأنها تخطو خطوة خارج الزمن. مكان يمكنها فيه اكتشاف النوم كما ينبغي من جديد واستعادة شهيتها، حيث لا ترى أي مخلوق إذا لم ترغب في ذلك. ناقشت مطالبها مع عدد من سماسرة الأراضي، وعندما وقع انتباهها على كوخ هيرب، عرفت أنها وجدت قطعتها الصغيرة من الجنّة الإنكليزية.

الجنّة الإنكليزية! شخرت بيث بصوت عالٍ، وهي تتذكر الوقوف خارجاً في الهواء والبرد. نظرت حولها قبل أن تنسل تحت الغطاء مغلقة عينيها بتصميم. فكرت أن هذا المنزل جميل جداً. هل يُحضرُ تراڤيس بلاك صديقاته إلى هنا لتمضية عطلة نهاية أسبوع رومنسية؟ لا شكّ أن لديه عدداً

كبيراً من النساء ليختار بينهن، إنه من هذا النوع من الرجال.

زمّت شفتيها في الظلام المخيّم. راهنت أنه يعرف كل الأشياء التي يجب قولها، كما كان كيث. الرجال يعرفون دائماً ما يقولون لينالوا ما يريدون، لكن لا يمكنها الوثوق بهم، فهم يقولون شيئاً ويعنون شيئاً آخر. وغالباً ما تقع النساء ضحية أكاذيبهم.

تقلبت في السرير، واضعة الوسادة على رأسها كما لو أنها تستطيع قطع أفكارها بهذه الطريقة. وهكذا، غطّت بالنوم بعد أن دفنت رأسها تحت الوسادة الناعمة الملمس، لكن ليس قبل بدء ظهور خيوط الصباح الأولى عبر السماء السوداء المظلمة.

في الصباح التالي، أيقظتها خربشة قوية على باب غرفة النوم، تبعتها نقرة حادّة. جلست مستقيمة كالسهم، وقلبها ينبض بقوة، فاقدة الحس بالمكان والزمان للحظة. . إلى أن تذكرت بعد ذلك أين هي. آه! لقد عَلِقَت في الخارج، وهذا منزل تراڤيس بلاك. راح قلبها ينبض بقوة أكبر.

عندما سمعت النقرة من جديد، استردت رباطة جأشها، وتأكدت أن الغطاء يغطيها حتى ذقنها، مع أنها نامت مرتدية القميص وسروال الرياضة، ثم قالت: «ادخل».

- مرحباً!

حين فُتح الباب سمعت صوت تراڤيس، لكن هارڤي قفز إلى سريرها بشكل ملفت للنظر. رفع الكلب الكبير قائمتيه الأماميتين الضخمتين، ووضعهما على كتفيها، وشرع يلحس وجهها بتلهف برغم احتجاجها. عندما استطاعت أخيراً إبعاده، رأت تراڤيس واقفاً بجانب السرير حاملاً صينية في يده. قال بصوت ضاحك: «راح هارڤي ينبح ويذرع المطبخ في الساعة الأخيرة. أظن أنه اعتقد أنكِ رحلت وتركته هنا».

أخيراً تذكر هارڤي واجباته في وقت بدا شعرها فيه كعش عصفور، ووجهها لم يستيقظ بعد. بالطبع، هذا لا يهم لو أن هارڤي بمفرده، لكنه ذهب وأحضر تراڤيس بلاك أيضاً.

شجّعت بيث نفسها ونظرت إلى تراڤيس. إنه يرتدي سروالاً من الجينز وقميصاً مفتوحة عند الرقبة، وشعره ما زال رطباً من الاستحمام، أما ذقنه فحليق نضر. بدا رشيق الجسم مع كتفين عريضتين، وذراعين مفتولتي العضلات، كما بدا عطره ساحراً. في هذه الظروف الغريبة شعرت بيث بأن الكلام خذلها، فابتلعت ريقها بصعوبة.

لم يبدُ على تراڤيس أنه لاحظ ارتباكها، إذ قال: «أنا لست متأكداً إذا كنت تتناولين القهوة أو الشاي أولاً».

أومأ برأسه نحو الأشياء الموجودة على الصينية، فرأت هناك كوباً من القهوة وآخر من الشاي مع السكر، بالإضافة إلى الحليب وصحن صغير يحتوي على البسكويت العادي. أضاف تراڤيس: «سيكون الفطور جاهزاً خلال نصف ساعة. أيناسبك ذلك؟».

- آه! من فضلك، لا تتعب نفسك. أنا فقط سوف أتصل بالوكيل إذا أعطيتني رقم هاتفه، ونرحل من هنا، تطفّلت عليك بما فيه الكفاية.

أدركت بيث أنها تتكلم بحماقة، فتوقفت فجأة عن الكلام. آه! لا بد أنه يتساءل الآن من هي هذه المرأة التي استقبلها في منزله.

تفحصتها عينان رماديتان دون أن تطرفا، ثم قال: «سبق أن اتصلت بجون، وهو سيوافينا إلى الكوخ عند الساعة الحادية عشرة. أتفضلين اللحم المفروم أم البطاطا المشوية مع فطورك المطبوخ؟».

- ماذا؟

كان تراڤيس يقف قريباً بما يكفي لتشعر بدفئه الرجولي، وأثر هذا بشكل جنوني عليها. أخيراً تدبّرت أمرها بضعف قائلة: «آه! لحم مفروم. . . من فضلك».

السيطرة! هذا كله يتطلب منها السيطرة على نفسها.

أومأ برأسه، واضعاً الصينية على الطاولة الموضوعة بجانب السرير، قبل أن يمشي نحو الباب. هرول هارڤي خارجاً معه أيضاً. من الواضح أن الكلب الكبير قرر أن من الأفضل أن يعود إلى رفقته مع الكلبتين ما دامت

الأمور جيّدة وما دامت هي بخير.

ما إن أغلق الباب خلفهما، حتى قفزت بيث من سريرها وتفحصت صورتها في مرآة الحمام، ثم تأوهت. أمقدر لهذا الرجل أن يراها دائماً هكذا؟ على أي حال، تراڤيس بلاك لا يعني شيئاً لها، وبعد اليوم ربما ستلمح سيارته فقط، عندما تمرّ في الطريق خارج كوخ هيرب.

كشرت بيث لصورتها في المرآة واستدارت. عادت إلى غرفة النوم، وشربت قهوتها عند نافذة الغرفة. بدا المنظر الخارجي رائعاً، فالأراضي التي يملكها تراڤيس تبدو واسعة ومعتنىً بها؛ مروج خضراء ممهّدة، وأشجار باسقة، وشجيرات تتنافس مع مساكب الزهور المتنوعة الألوان تحت أشعة الشمس الساطعة.

- رائع!

لفظت بيث الكلمات، فيما عيناها تركزان على سرب صغير من العصافير الطويلة الذيول، تنتقل بخفة على أغصان إحدى أشجار الرّان القريبة من المنزل. هنا يجد المرء كل الطمأنينة والهدوء اللذين يتمناهما. بدا لها مفاجئاً نوعاً ما أن يعيش تراڤيس هنا، وإن يكن لوقت قصير، فهو يعطي انطباعاً بأنه رجل يرغب دائماً بأن يبقى على اطلاع بما يحدث، ويفضل التواجد في مكان العمل.

عبست بيث لما تفكّر به، إذ ليس من عاداتها أن تقوم بافتراضات عن الناس، ومع ذلك يبدو أن ليس باستطاعتها التوقف حين يكون تراڤيس معنياً. تخلّصت ذهنياً من الأفكار غير المستقرّة، ثم أنهت قهوتها ودخلت لتستحم.

بعد عشرين دقيقة، نزلت إلى الطابق السفلي وشعرها يبدو كشلال مشع على جانبي وجهها، ورائحة زهر التفاح تفوح منه، بفضل الشامبو الذي وجدته في خزانة الحمام. إنه أفضل شيء يمكنها القيام به، في غياب أي عطر أو أحمر شفاه للتبرج. إنها دائماً تختار ثيابها بذكاء للعمل، فعندما تكون ذاهبة إلى الموقع، ترتدي حذاء ويلنغتون وتحتفظ بمعطف كبير في السيارة، لكي تبقى ثيابها تحته نظيفة.

موهبة اختيار الثياب، كما تعود كيث تسميتها، ليست أمراً بغيضاً تماماً، بل هي تمنحها بعض التسلية. فهي تدرك أن الصورة التي تبرزها مهمّة جداً، في عالم وظيفتها الذي يهيمن عليه الرجل. شعرها الأشقر، عيناها الزرقاوان وشكلها الأنثوي كافية لتدفع ببعض الرجال إلى الشك في قدراتها الذهنية، وهي لن ترتدي ثياباً أنثوية لتعطيهم المزيد من الشك.

بدا كأن مشهد الليلة الماضية يتكرر حين دخلت إلى المطبخ؛ يقف تراڤيس بجانب الموقد، والكلاب الثلاثة تستلقي عند قدميه. أجبرت بيث صوتها على أن يخرج بطريقة مبتهجة، وقالت: «يا لها من رائحة شهية!».

ابتسم تراڤيس لها، وتساءلت بيث لماذا تبدو ابتسامة بعض الرجال مجرّد ابتسامة عادية، فيما تبدو ابتسامة آخرين كصوت انفجار.

قال: «فكّرت أن نتناول الطعام هنا ثانية، فهل يناسبك ذلك؟ في الواقع هناك غرفة طعام، صدّقي أم لا، لكن هذا... مريح أكثر».

أهذه طريقة مبطنة ليقول لها إن هذا لا يشبه بأي طريقة وبأي شكل موعداً حميماً بين شخصين، وإنها يجب ألا تأخذ فكرة خاطئة عن ضيافته؟ إذا كان الأمر كذلك، فهذا يناسبها بشكل جيد. أجابته: «بوجود مطبخ جميل كهذا أعتقد أنك تتناول الطعام هنا دائماً».

قال وهو يفرّغ اللحم في الصحن: «هذا صحيح».

كان على الطاولة إبريق من القهوة، عصير ليمون، خبز محمّص وبعض الأطعمة المحفوظة. والآن وضع تراڤيس بشكل أنيق أطباقاً تحتوي بيضاً مقلياً ممزوجاً مع نقانق، ولحماً مقدداً وبندورة مقلية، ولحماً مفروماً وعدة أنواع أخرى من الأطعمة. لاحظت بيث أن هناك طعاماً كافياً ليطعم جيشاً، فنظرت إليه مذعورة.

- تفضلي، اخدمي نفسك.

انضم إليها على الطاولة، وفجأة أحسّت بتوتر في أحاسيسها بسبب قربه، وبدا ذلك مزعجاً، مزعجاً حقاً. لا سيما بعد أن تمدّد إلى الخلف.

- شكراً.

www.elromancia.com

في الأشهر القليلة الماضية كانت فاقدة الشهية، وكانت تجبر نفسها على تناول الطعام، لذلك شعرت بالدهشة لأنها فجأة وجدت نفسها جائعة فعلاً، فملأت صحنها وبدأت تأكل.

اكتشفت على الفور أن مذاق الطعام جيّد كشكله. وضعت بيث آخر لقمة من البيض في فمها، واتكأت إلى الوراء في الكرسي، وهي تشعر أنها متخمة تماماً. حينها لاحظت أن تراڤيس يحدق إليها بافتتان، لكن ليس من النوع الذي يقول: أنا مولع فيكِ حتى الجنون، كما أعلمتها كلماته حين قال: «نظراً لجسمك النحيل، بالتأكيد يمكنك التخلص من هذا عندما تشاءين، أليس كذلك؟».

لم تكن متأكدة إن كان هذا إطراء أو إهانة. فأجابته بحذر: «يبدو أن هواء المنطقة يفتح الشهية، فأنا عادة لا آكل كثيراً. في الواقع أتناول القليل من الطعام وهذا يناسبني جداً».

- لم يكن هذا انتقاداً.

حمل صوته نبرة التسلية، وشعرت بيث أنها توردت خجلاً، وعندما التقى نظرها بنظره قالت برباطة جأش: «أنا لم أفكر بهذا».

ارتفع حاجباه بطريقة ساخرة وقال: «أحقاً؟».

أجابت بحزم، وبطريقة حازمة جداً: «لا!».

- جيّد.

يبدو واضحاً أنه لم يصدّقها، فقال متكاسلاً: «لا أحتمل النساء اللواتي يقضمن برفق ورقة خس طوال النهار، كما يحصل دائماً».

وقف وبدأ يرفع الأطباق الفارغة ليرصفها في غسّالة الصحون، ثم تابع: «إنه أمر مثير للغضب بشكل لا يطاق».

فكّرت بيث بغضب: مع ذلك أراهن أنك تواعد هذا النوع من النساء، اللواتي يبدون جميلات مهما ارتدين من ملابس. فجأة استدار تراڤيس والتقط النظرة على وجهها قبل أن تتمكن من إزالتها. يبدو أنه موهوب بالتقاط تعابير وجهها في غفلة عنها.

توقف عمّا يفعله، واستند إلى طاولة العمل، وكتّف ذراعيه قائلاً: «أنا لا أعجبك. لماذا بيث؟».

شعرت بيث بالحرج وأحسّت أن أذنيها تتّقدان كالنار. تمتمت قائلة: «أنا لا أعرفك، لذا كيف يمكنني أن أكرهك؟ كما أنك كنت لطيفاً جداً معي، استقبلتني أنا وهارڤي وأطعمتنا واهتممت بنا».

حرك يده بطريقة تدل على عدم اكتراثه بذلك، لكن صوته ما زال تأملياً أكثر منه اتهامياً حين قال: «اعتقدت الليلة الماضية أنك عصبية بسبب الوضع الذي أنت فيه، وتمكنت من تفهّم ذلك. فقد وجدت نفسك بمفردك هنا مع رجل غريب».

جال بنظره على وجهها المتّقد، وعلى الرغم من قلقها الشديد، لاحظت بيث أن طول رموشه وكثافتها غريبان بالنسبة لرجل. تابع يقول: «لكن ليس هذا هو السبب، أليس كذلك؟ السبب هو أنا. أنا لا أعجبك».

لم يبدُ منزعجاً على الإطلاق. لم يكفِ بيث ارتباكها السابق بل أضيف إليه الآن الاستياء، فقالت: «كما قلت لك، أنا لا أعرفك».

مدّ يده وأخذ طبقاً عن الطاولة فيه ثلاث قطع متبقية من النقانق، فأعطى واحدة لكل من الكلاب الثلاثة، ووضعه فارغاً في غسالة الصحون، قبل أن يقول: «أنت لا تجيدين الكذب، بيث مارتون».

- أنا لست رجلاً. أليس كذلك؟

خرجت الكلمات حتى قبل أن تفكّر. اللعنة! اللعنة! توردت وجنتاها خجلاً.

نظرته الثاقبة وصلت إلى الهدف. مرت فترة من الصمت مصمّة للآذان قبل أن يقول بهدوء جداً: «فهمت!».

أرادت بيث الهروب، لكنها حافظت على هدوء صوتها حين حدّقت إليه قائلة بتحدٍ: «ماذا يعني هذا؟».

فهم تراڤيس التحدّي فوراً، وقال بهدوء: «هذا يفسر لماذا ترغب امرأة شابة بمثل مظهرك وذكائك بأن تدفن نفسها في مكان منعزل».

www.elromancia.com

متغطرس! مغرور! متشامخ! أجابته قائلة: «أنت لا تعرف شيئاً عني، سيد بلاك، لذا لا تتظاهر بأنك تعرف».

- اسمي تراڤيس...

قال بلطف، ناظراً إلى ساعته قبل أن يضيف: «... ومن الأفضل أن نذهب إذا أردنا مقابلة جون. على فكرة أخرجت لك زوجاً من الأحذية تركته شقيقتي هنا منذ بعض الوقت، أفترض أنك لا ترغبين بأن تخوضي في الوحل فأنت لست مجبرة على ذلك».

صرّت على أسنانها قائلة: «شكراً لك».

أحنى رأسه وقال: «على الرحب والسّعة».

إنه يستمتع بهذا... عرفت الآن أنه يستمتع بالمسألة كلها. أعلنت بيث ما اعتبرته علاجاً جيداً للكرامة: «سأذهب وأجلب أغراضي من الأعلى».

توقفت قليلاً، وترددت، لكن لا يمكنها ترك البيجامة والخفيّن تقطر ماءً على سجادته، فقالت: «هل لديك كيس أستطيع استخدامه؟».

وأضافت بلطف: «نقعت ملابسي بالماء البارحة».

- هذا تصرف حكيم جداً.

اتجه نحو الخزانة وبحث عن كيس، ثم عاد قائلاً: «الحذاء بجانب الباب الأمامي».

أومأت برأسها، ثم خرجت من الغرفة. حالما أصبحت في غرفتها، أغلقت الباب واستندت إليه، وأغمضت عينيها للحظة. حصل هذا كله لأنها ارتكبت غلطة وتبعت هارڤي إلى الخارج، لتتأكد من أنه بخير. لا بد أنها مجنونة! إن كان هناك كلب يمكنه الاعتناء بنفسه، فهو هارڤي.

ابتعدت عن الباب، واتجهت نحو الحمام، ثم رفعت البيجامة والخفين من المغسلة.

أمرت نفسها بصوت عالٍ: «فقط ابقي هادئة، وتجاهلي أي شيء يمكن أن يقوله. بعد قليل، سوف تعودين إلى الكوخ، ولست بحاجة أبداً إلى رؤية تراڤيس بلاك ثانية في حياتك».

هذا لا يمكن أن يحدث في وقت قريب طالما هي معنية. لقد أنقذها الرجل بشكل ما، وتصرف معها بطريقة لبقة لا يمكنها إنكارها، وإن يكن في كلامه بعض السخرية وشيء من التحدي، إلا أنه محق في ما قاله، فهو لم يعجبها. إنه واثق من نفسه جداً، مستبد، ونظرة التسلية تلك التي يصبّها عليها مهينة بكل ما في الكلمة من معنى.

إنها امرأة عاملة، قادرة وذات خبرة، كما أن لديها مهنة جيدة، وهي تعتني بنفسها جيداً. حسناً! يبدو أنه يعتقد بأنها تحمل رأساً فارغاً.

وضعت أغراضها المبللة في الكيس، وهي تعبس بحدة. والآن عليها مواجهة جون تيرنر هذا، الذي سيعتقد بلا شك أيضاً بأنها امرأة غبية، آه! الحياة ليست عادلة في بعض الأحيان...

www.elromancia.com

٣ - لن يعود!

بعد وقت قصير وصلا إلى الكوخ، فوجدا رجلاً متورد الوجه، قصير القامة، ممتلىء الجسم ينتظرهما في الخارج. رفع الرجل يده ملقياً عليهما التحية بمرح، وابتسم عندما ترجلا من سيارة المرسيدس. بدا واضحاً أنه ليس منزعجاً أبداً لأنهما استدعياه يوم السبت.

- مرحباً!

بدا صوته المرح مناسباً لمظهره، وقال لتراڤيس مباشرة: «ما الذي حصل؟ ما هذه الفوضى؟».

وأضاف: «وأنتِ، يجب أن تكوني الآنسة مارتون. أليس كذلك؟ سررت بلقائك، عزيزتي».

- أنا آسفة بشأن هذا.

أثناء مصافحتها لهذا الرجل احمرت وجنتا بيث من الارتباك. ليس بسبب اتصالها بالوكيل واستدعائه، بل لأنها لاحظت تلك النظرة التأملية إلى حد ما التي رماها على تراڤيس. يبدو بوضوح أن جون ترنر توصل إلى استنتاجات خاصة بشأن الليلة التي أمضتها مع تراڤيس.

- لا تقلقي. غالباً ما يحصل هذا الأمر. زوجتي تعلق خارج المنزل دائماً. الآن، دعينا نعيدك إلى الداخل، أليس كذلك؟.

استدار الرجل وفتح الباب الأمامي بالمفتاح الذي يحمله في يده، وأضاف من فوق كتفه: «هل ستأتي إلى مباراة كرة القدم هذا المساء، تراڤيس؟ يبدو أنها ستكون مباراة جيّدة».

- هذا محتمل.

في حين وقف جون ترنر جانباً لتدخل بيث إلى الكوخ بقي تراڤيس واقفاً في مكانه.

- شكراً لك على مساعدتك الليلة الماضية.

بدت بيث مرتبكة، ثم طقطقت أصابعها لهارڤي، وأضافت: «هل يرغب أحدكما بتناول القهوة قبل أن تذهبا؟».

قال الوكيل وكان قد مشى إلى سيارته: «ليس أنا، شكراً. لدي مليون مهمة ومهمة أقوم بها».

استدارت بيث نحو تراڤيس، مقتنعة أنه يرغب في الدخول، متمنية في قرارة نفسها أن يرفض. لكنه حين فعل ذلك ورفض، شعرت بسهم من الاستياء غير عقلاني تماماً يخترق حواسها.

- إذا احتجت إلى خدماتي من جديد، فقط ارتدي تلك الثياب القرنفلية الحريرية ولوّحي بيدك لأتوقف.

قال تراڤيس ذلك بوجه جامد، قبل أن يستدير ويبدأ بالابتعاد.

حدّقت بيث من خلفه. إنه يذهب! أبهذه البساطة؟ حسناً، لِمَ لا يفعل هذا؟ فهي عبّرت تماماً عن أنها تتوق لمغادرته وعدم رؤيته ثانية...

- بالنسبة لهذه الثياب...

نادته من ورائه، وتابعت: «.. متى ستكون هنا، لكي أذهب وأرجعها إليك بعد غسلها؟».

استدار تراڤيس عند البوابة، ثم تفحصها لدقيقة أو اثنتين، فيما بدا وجهه خالياً من التعابير، وقال متكاسلاً: «لا تقلقي بشأنها. تملك ساندرا عدداً كبيراً منها، ولن تفتقد هذه».

إنها تعود لشقيقته. شعورها بالارتياح بسبب معرفتها هذه مؤشر خطر بحد ذاته. قالت بتزمت: «لا أستطيع الاحتفاظ بها، عليّ إرجاعها».

هزّ كتفيه بلا مبالاة وقال: «هناك صندوق بريد خارج البوابة مباشرة للرسائل والرزم التي أتسلمها حين لا أكون هنا، وهو دائماً مفتوح. اتركيها هناك إذا استطعت».

www.elromancia.com

- حسناً!

أومأت برأسها بحدّة، متنكرة للاستياء الذي تشعر به بسبب نفوره التام من أي اتصال جديد بينهما، وقالت: «هذا ما سأفعله».

راح هارڤي ينبح إلى جانبها، فيما أبقت يدها على طوقه. بدا واضحاً أن الكلب لا يرغب في رؤية تراڤيس يغادر، وهي لن تعلّق آمالاً على هارڤي بأن يعدو خلفه إذا تركته، فقالت: «إذاً، وداعاً».

قال تراڤيس بلطف: «وداعاً بيث. سررت بالتعرف إليك».

مرت بقية اليوم بشكل مختلف تماماً. لم تستغرق بيث أكثر من نصف ساعة لتستقر في منزلها الجديد المؤقت، وبعد أن جمعت الرماد وأخرجته ثم هيّأت الموقد لتشعله في المساء، أخذت هارڤي في نزهة طويلة إلى الغابة المحيطة بالكوخ.

إنه يوم دافىء آخر من أيام أيار، وبعد بضع ساعات انحدر الممر الذي يتبعانه بشدة بجانب جدول صغير يشقّ طريقه من منحدر التل. جلست بيث على الضفة المعشوشبة، في حين راح هارڤي يشب مرحاً في الماء ما أزعج العصافير على الأشجار المحيطة بهما، فأظهرت هذه الأخيرة عدم امتنانها بإصدار أصوات محذرة، وبنوبة غريبة من الرفرفة.

في ما عدا سلوك هارڤي الغريب، كان هناك هدوء مطلق. استندت بيث إلى شجرة سنديان معمّرة، وسمحت لأفكارها بالتجوال. مرّت دقيقة كاملة قبل أن تدرك أن كل ما تفكر فيه هو تراڤيس بلاك، وهذا يعتبر جنوناً، بل أسوأ من الجنون.

استقامت في جلستها وهي تشعر بالانزعاج من نفسها. كان الرجل لطيفاً معها، لكن هذا المسلسل كلّه أصبح الآن فصلاً مغلقاً، فلماذا تضيّع ثانية واحدة في التفكير برجل غريب؟ إنه غريب، وجذاب جداً أيضاً. فتراڤيس هو من نوع الرجال الذين يتعين أن تكون عبارة «خطر على النساء» مطبوعة على جبينهم بأحرف كبيرة، باللون الأحمر.

بدا خط الأفق ذهبياً والهواء معطراً بعبير المساء، عندما دفعت بيث بوابة كوخ هيرب في وقت متأخر من ذاك النهار لتفتحها. بدت متعبة،

لكنها تشعر بالسرور والارتياح. سرعان ما أوضح لها هارڤي بحركاته أنه يشعر بالتعب، وأنه جاهز لعشائه عندما مشى متثاقلاً خلفها.

فجأة، رأت باقة كبيرة من الزهور ملقاة على الدرج أمام الباب، فبدأ نبضها يضرب بسرعة أثناء سيرها في ممر الحديقة. إنها ورود من اللون القرنفلي الفاتح، ملفوفة بالسيلوفان ومربوطة بشريط قرنفلي اللون. كُتب على البطاقة الصغيرة عبارة: «هدية انتقال بسيطة» وتحتها توقيع تراڤيس.

حدّقت بيث إلى الخربشة السوداء الصارمة، وراح قلبها يضرب بقوة. اشترى لها تراڤيس ورداً! إنه آخر شيء توقعته منه بعد افتراقهما المهذب.

فتحت الباب، وأنزلت المزلاج حالما دخلت إلى الكوخ، كي لا يتكرر ما حصل البارحة. مشت إلى المطبخ الصغير فوضعت الورود على بلاطة المغسلة، واستمرت بالتحديق إليها إلى أن ذكّرها نباح هارڤي أنه ينتظر وجبته.

ما إن أطعمت الكلب، حتى استخرجت زهرية من الأغراض الموجودة في الخزانة تحت المغسلة ووضعت الورود في الماء. إنها رائعة! رائعة بكل ما في الكلمة من معنى.

هذا لا يعني شيئاً... إنه على الأرجح يحاول أن يكون لطيفاً معها. برغم كل شيء، يمكن للناس أن يكونوا لطفاء دون أي حافز خفيّ. تنشقت شذا الورود عندما حملت الزهرية إلى غرفة الجلوس، وفكرت أن قيامه بهذا الأمر هو... تعقيد إضافي لحياتها.

وضعت الزهرية على خزانة عتيقة الطراز، وذهبت لتعدّ وجبة سريعة من السلطة واللحم البارد. تناولت عشائها على صينية في غرفة الجلوس وهي تحدّق إلى الورود، فيما جلس هارڤي عند قدميها ينظر بأمل إلى آخر قطعة من اللحم المقدد في صحنها.

هذه الورود لا تعني أنها مضطرة إلى رؤية تراڤيس بلاك ثانية. أقنعت نفسها بذلك لاحقاً وهي تغسل الصحون، قبل أن تحضّر نفسها لتأوي إلى الفراش. يبدو مما أخبرها به أنه رجل دائم الانشغال، وبما أنها لا تريد أن

www.elromancia.com

تراه ثانية، فهذا يناسبها بشكل ممتاز.

مع ذلك، وقبل أن تغط بالنوم، لم تستطع تمالك نفسها من توقع أحداث اليوم التالي، ومنها احتمال أن تسمع نقراً على بابها. لم تعجبها طريقة تسارع نبضها وهي تفكر باحتمال حصول ذلك.

لم تسمع بيث أي نقرة على بابها، لا في اليوم التالي ولا حتى في الأيام اللاحقة. على الأرجح أن تراڤيس عاد إلى بريستول بعد قضاء عطلة نهاية الأسبوع في مسكنه الريفي الخاص. أقنعت بيث نفسها بأنها مرتاحة جداً، وبأنها لا ترغب في مقابلة أي رجل ثانية، لكنها لم تستطع أن تفهم لما كان تراڤيس يقفز إلى عقلها في لحظات عرضية.

غسلت الثياب وكوتها، ثم علقتها بشكل جيد وكتبت ملاحظة تشكره فيها على حسن ضيافته وعلى الورود، وتركت الرزمة في صندوق البريد أمام منزله. كتبت الملاحظة بشكل مهذب ولطيف، مشيرة بشكل خفي إلى أنها لا تتوقع أن يلتقيا من جديد.

مرت أيام أيار الهادئة الواحد تلو الآخر، ووجدت بيث نفسها تأكل وتنام بشكل أفضل من السابق. لا بد أن هذا يعود جزئياً إلى الهدوء والسكون، لكنه يعود أيضاً إلى الأيام المشمسة الدافئة التي تميز هذه المنطقة الجميلة. تمكنت هي وهارڤي من التجول في الريف بقدر ما يشاءان، فكانا يعودان إلى المنزل متعبين وسعيدين عندما ينشر المساء ظلاله على حديقة الكوخ.

اكتسبت بشرتها لوناً ذهبياً من أشعة الشمس أما شعرها الأشقر فأصبح لونه أفتح، كذلك تجدد مزاجها وغدا أكثر مرحاً. هنا هي غير مجبرة لتتظاهر أمام أي شخص، ومع أنها اعتادت أن تتسوّق من المتاجر المحلية، وتتحدث بتهذيب مع البائعين، إلا أنها احتفظت بوحدتها وحريتها.

في لندن، كانت مضطرة لأن تبدو اجتماعية، بينما هنا يمكنها أن تكون منعزلة بشكل تام. إنه شعور رائع، محرّر. فهي تشعر كأنها ولدت من جديد.

مرّ شهر أيار، وحلّ حزيران حاملاً معه موجة حرّ مرتفعة.

في منتصف الشهر، أي بعد مرور ثلاثة أسابيع على انتقالها إلى شرويشير، رأت بيث المرسيدس تشقّ طريقها مارّة بالكوخ.

حدث ذلك مساء يوم الجمعة، حين كانت ترمي الكرة لهارڤي في الحديقة. تجمّدت في مكانها، وتبعت عيناها السيارة إلى أن اختفت عن الأنظار، دون أن تتوقف.

نبح هارڤي ليذكرها بإكمال اللعبة، لكنها أصبحت تقوم بالأمر الآن بشكل آلي. فجأة شعرت أنها باتت قلقة، وهذا يعتبر أمراً سخيفاً، بل في الحقيقة هو جنون صرف، لكنها لم تستطع تمالك نفسها.

هل لاحظ تراڤيس وجودها في الحديقة؟ أدركت أنها ترتدي بنطلون جينز قديم وبلوزة رقيقة، وقد وضعت القليل من التبرج على وجهها، وشعرها مربوط بشكل ذيل فرس لتبقي رقبتها باردة. إنها، في الواقع، تبدو غير مرتبة.

حالما أدركت هذا، ركضت مسرعة إلى المنزل، لكنها وقفت هناك فجأة. لن تقوم بتغيير ثيابها أو بتسريح شعرها، ولن تفعل أي شيء آخر. ما الذي حدث لها؟ من المستبعد أن يأتي تراڤيس ليراها. دخلت إلى المطبخ بهدوء، لتسكب لنفسها كوباً من العصير، ثم مشت إلى الحديقة الخلفية الصغيرة، التي تبدو مساحتها كافية لتستوعب عدداً وافراً من الأحواض المليئة بالزهور، ومقعداً خشبياً قديماً. كثيراً ما تمضي بيث ساعات النهار الأخيرة هناك، وهي تراقب النحلات السمينة التي تنتقل منشغلة من زهرة إلى زهرة. رمى هارڤي بنفسه عند قدميها، وسرعان ما غفا. وراح ينتفض ويئن بين الحين والآخر، وحسدته بيث على راحة باله. بعد عشرين دقيقة تقريباً، سمعت نقرة على الباب الأمامي. لا يمكنها التظاهر بأنها لم تسمع، ليس بوجود هارڤي الذي استفاق فجأة وراح ينبح باهتياج شديد. وضعت كوبها جانباً، ودفعت نفسها للمشي بهدوء إلى المنزل ثم إلى الباب الأمامي. أخذت نفساً طويلاً عميقاً، وفتحت الباب، دون أن يخامرها شك في من

يكون الطارق.

- مرحباً!

خلافاً لها، بدا تراڤيس هادئاً، بقميصه الزرقاء القاتمة المفتوحة عند الرقبة، وسرواله القطني الفاتح اللون. قال ببساطة: «إنها زيارة وديّة. جئت لأرى كيف حالك، هل كل شيء بخير؟».

- أنا... آه! عظيمة، شكراً.

عرفت أن لون خديها تحوّل إلى الأحمر، وهذا مذل بشكل كبير، بالنظر إلى ثقته المطلقة بنفسه. سألته على مضض: «هل... هل ترغب في الدخول للحظة؟».

- شكراً.

تبعها إلى الداخل، فيما راح هارڤي يقفز مسروراً للاجتماع به من جديد. فجأة بدا الكوخ كأنه يتقلص. قال تراڤيس، ناظراً حوله: «إنه... دافىء ومريح».

- أتناول كوباً من العصير في الحديقة، فهل ترغب في الانضمام إلي؟

- يبدو ذلك جيداً.

ابتسم بتمهل، وجعل ذلك نبضها يتزايد، ما دفعها لأن تهرب تقريباً إلى المطبخ، بعيداً عن وجوده المزعج. تذكرت متأخرة أن المقعد هو مكان الجلوس الوحيد في الحديقة الخلفية، وفي حين أنه جيد لشخص واحد فهو حميم جداً لشخصين. وقف تراڤيس في الباب أثناء بحثها عن كوب آخر لتسكب له العصير، فيما راحت عيناه الرماديتان الثاقبتان تتأملان وجهها المتوهج. شعرت بيث بأنها ترتجف.

- شكراً.

أخذ الكوب، ووقف جانباً، مفسحاً المجال لها لتخرج إلى الحديقة. فجأة بدت بيث وكأنها نسيت كيف تمشي. دلّته على الطريق وهي تشعر بالانزعاج من نفسها.

حالما وصلت إلى الخارج، أشارت بيدها إلى المقعد، وقالت بتلقائية قدر

استطاعتها: «اجلس من فضلك».

رفعت كوبها وجلست بعدم استقرار بعض الشيء على حافة أحد الأحواض الخضراء المقابلة للمقعد، وأضافت: «وشكراً ثانية على الورود، لكن لم يكن من الضروري أن تتعب نفسك».

- أحقاً؟

جلس باسطاً يده على مسند المقعد، واضعاً رجلاً فوق الأخرى. طريقته تلك في الجلوس أبرزت قوته وثقته بنفسه.

- لمَ تقولين هذا؟

- لأنك...

للحظة أحست بدماغها مشوش، ثم قالت بسرعة: «... بعد كل ما فعلته لتساعدني، يجب أن أشتري أنا لك شيئاً ما لأعبّر لك عن شكري».

ابتسم هازاً كتفيه، وقال: «لا أعتقد هذا. كل ما فعلته هو تأمين سرير لك لتمضي الليل».

أملت ألاّ يكون أنفها قد احمرّ وأصبح لامعاً، لكن بالتأكيد هو كذلك. حاولت تجاهل التأثير الذي يتركه صوته الهادىء على أعصابها عندما قالت: «بالرغم من ذلك، لا أعرف ما الذي كنت سأفعله لو أنك لم تمرّ من هنا. كان وضعاً سخيفاً، فأنا عادة لست من النساء المهملات».

لم يجب تراڤيس، بل كل ما قاله هو: «هل تشعرين أنك أفضل حالاً الآن؟».

حدّقت إليه بحذر وقالت: «لا أفهم».

- قلتِ إنكِ استأجرت الكوخ لفترة لأنك كنتِ مريضة.

ذكرها بذلك بلطف متابعاً: «أتساءل إذا كنت تشعرين بأنه يناسبك».

- آه! أنا أفضل حالاً الآن.

- أجهدت نفسك في العمل، أليس كذلك؟

بدا الحاجبان الأسودان متسائلين. لم تتوقع منه أن يتوسع في كلامه وفاجأها ذلك، لذا لم تجبه مباشرة. لكن حين رأت عينيه تضيقان، أجبرت

www.elromancia.com

نفسها على القول: «أجل، إلى حد ما».

من غير ريب، ليس هناك من طريقة تجعلها تناقش ماضيها مع تراڤيس بلاك، إطلاقاً. مع هذه الفكرة في رأسها، أضافت: «ما احتجت إليه هو الهدوء والسكون، وهذا الكوخ يوفّر ذلك. هنا، أنا غير مضطرة أن أستيقظ عند بزوغ الفجر لأشقّ طريقي في ازدحام لندن. ما من موعد أخير لإنجاز عمل، ولا شجار مع بنائين أو محاولة استرضاء لزبائن، أو أناس غير لبقين. ليس عليّ أن أرى أي شخص هنا، ولهذا السبب أنا أحبّ هذا المكان».

هناك إشارة خفية في كلامها، فهل فهمها؟ الالتواء الخفيف لفمه الصارم أخبرها بأن رسالتها الخفية وصلت وفُهمت: إنه منتهك لخصوصيتها، ودخيل على عالمها الصغير! رفضت بيث أن تشعر بالذنب، فهي لم تطلب منه أن يأتي اليوم. صحيح أنها طلبت مساعدته تلك الليلة، منذ ثلاثة أسابيع، لكن لم يكن عندها خيار ثانٍ يومها.

قال تراڤيس بطريقة جافة: «أنتِ حديث القرية هذه الأيام، فهل تعرفين ذلك؟ يبدو بوضوح أن الجميع مفعم بالفضول تجاهك».

ظهر الذعر على بيث فردّت قائلة: «لماذا يهتم أي شخص هنا بي؟».

– امرأة جميلة غامضة، استأجرت كوخاً في مكان منعزل، وتعيش حياة النساك. لماذا برأيك؟

قال ذلك بلطف مضيفاً: «كل الصفات المطلوبة لقصة جيدة».

حدّقت بيث إلى وجهه الداكن البارز القسمات. إنه يستمتع بهذا... يستمتع بإثارة قلقها. فكّرت بيث بذلك وهي تراقبه يبتلع آخر رشفة من كوبه. وقالت بنبرة حادة: «أنا آسفة إذا لم يكن لدى هؤلاء الأشخاص شيء أهم للتحدث بشأنه. لا بد أنهم يعيشون حياة مملّة جداً هنا».

بدا كلامها بمثابة مفاجأة لتراڤيس. نظر إلى الأسفل، وهو يفكّر ملياً بكلامها. لم يبدُ لها الوقت مناسباً الآن لملاحظة كثافة رموشه، أو كيف تظهر فتحة قبّة قميصه الظل القاتم لشعر جسده.

نظر إليها، ثم ابتسم قليلاً حين قال: «لا تأسفي، بيث. دعيهم يعيشون قصصهم الصغيرة وأوهامهم. أنا متأكد أن الحقيقة غامضة، وهي أبعد من أي شيء يدركونه».

يا له من شخص وقح! الآن، تحوّلت نظرتها إلى حملقة غاضبة، ومضت دقيقة أو اثنتان قبل أن تحذر نفسها بألاّ تظهر أي عواطف. وأظهرت ابتسامة مكان العبوس، قائلة بلا مبالاة: «بالتأكيد».

سُمِعَ صوت جرس مرتفع من المطبخ، يعلمها بانتهاء مدّة طهو طعامها. رفع تراڤيس رأسه، وأرهف السمع قائلاً بلطف: «هل أنت بحاجة للاعتناء بشيء ما؟».

– لا بأس. إنها فقط وجبتي المسائية.

قالت ذلك بطريقة آدنة بالانصراف، متمنية أن يفهم الملاحظة الخفية ويغادر. لا سيما أنها لم تعرض عليه إعادة تعبئة كوبه.

بدلاً من ذلك قال متنشقاً الهواء: «أعتقد أنني أشمّ رائحة شيء لذيذ. ماذا تحضرين للعشاء؟».

– وجبة بسيطة.

وعندما استمرّ الحاجبان القاتمان بالتساؤل بصمت، أضافت: «لحم مع الجزر الأبيض والتفاح».

على الأقل هي تأمل أن يكون مذاقه شهياً كرائحته.

تشدّق تراڤيس قائلاً: «يبدو جيداً».

وجدت بيث نفسها محرجة فعلاً، إذ تذكرت كيف استقبلها هي وهارڤي، ورحّب بهما في منزله. لكن الأمر مختلف الآن، أقنعت نفسها بصمت. إنه مختلف تماماً، وحقيقة أنها طهت طعاماً كافياً ليومين، لا علاقة له بهذا. أكملت ما في كوبها ووقفت، ما أشعرها بالارتياح لأن حافة الحوض غير مريحة للجلوس بشكل واضح، أما تراڤيس فلم يقم بأي جهد للمغادرة.

بدا الصمت واضحاً الآن، واعترفت بأنه ربح، فقالت ببرودة: «هل

www.elromancia.com

سبق أن تناولت الطعام؟».

- أنا؟

قال ذلك بطريقة تحمل نوعاً من الشكوى المعتدلة وتابع: «لا، لم أتناول الطعام. فما حدث هو أن الرحلة كانت صعبة، حيث استمر ازدحام السير طوال الطريق، ولم أفكر سوى بالوصول إلى هنا».

قالت باختصار، بنبرة أقرب إلى البرودة: «إذا أردت البقاء، فالطعام يكفي لشخصين».

لم يبدُ على تراڤيس أنه لاحظ برودتها، فأجابها: «أحقاً؟ هذا عظيم. أود ذلك إذا كنت واثقة».

التوى حاجباه الأسودان عند ابتسامته.

يا له من رجل حقير! تجاهلت بيث تأثير ابتسامته المدمّرة، وقالت: «المكان ضيق جداً في الداخل، وليس هناك طاولة طعام، أنا آسفة. لذا ستتدبر أمرك بتناول الطعام على صينية على حجرك».

هناك منضدة صغيرة لتناول طعام الفطور، حيث تتناول بيث طعامها دائماً وهي جالسة على أحد الكرسيين العاليين لكن المساحة الصغيرة تعني أنها ستجلس كتفاً إلى كتف مع تراڤيس، وذلك بالنسبة إليها مستحيل. إذ لن تتمكن من تناول أي شيء من طعامها.

قال ببساطة: «الصينية ليست مشكلة».

الصينية لا يمكن أن تكون كذلك، أما هو فبلى! عندما حاول تراڤيس النهوض، قالت بيث بسرعة: «لا! أنت إبقَ حيث أنت، وأنا سأناديك عندما يجهز كل شيء. الكوخ صغير جداً...».

أخذت كوبه متابعة: «سأجلب لك كوب عصير آخر».

- شكراً.

رمقها بنظرة من تحت جفنين نصف مغمضين، ثم قال: «أأنتِ متأكدة من أنك لا تريدين مساعدتي؟ أشعر بالذنب لأنني دخلت عليك فجأة».

لقد فعلت ذلك وانتهى الأمر! أجابته قائلة: «لا، لا بأس. الأمر

يحتاج إلى دقيقة فقط».

ثم ابتسمت بخفة، ومشت مبتعدة.

ما إن أصبحت داخل الكوخ، نظرت بيث إلى هارڤي الذي تبعها إلى الداخل. كيف، بحق السماء، توصلت لأن تجد نفسها بهذا الوضع؟

منذ لحظة كانت هي وهارڤي فقط جالسين في هدوء مسالم، ويستمتعان بأمسية صيف جميلة، وبعدئذٍ... سكبت كوب عصير آخر لتراڤيس، وأخذته إلى الخارج قبل أن يباغتها، ويتبعها إلى الداخل.

رأت تراڤيس يجلس باسطاً رجليه، مغمضاً عينيه، ورافعاً وجهه نحو الشمس التي أصبحت أشعتها خفيفة. بدا ضخماً وقاسياً ومثيراً، أثناء تأملها له شعرت بشيء ما أشبه بصاعقة كهربائية ضربتها. اضطرت إلى ابتلاع ريقها مرتين قبل أن تتمتم قائلة: «تفضل!».

حرصت على ألاّ تلامس يدها يده عند إعطائه الكوب.

بعد أن عادت بسرعة إلى الكوخ، وقفت بيث لحظة بجانب المغسلة في المطبخ، وضغطت بيدها على قلبها الذي راح يخفق بسرعة. هذا غباء! عليها أن تسيطر على نفسها. أغمضت عينيها بإحكام ثم فتحتهما من جديد، محدّقة بانشداه عبر الغرفة.

بعد لحظة أو اثنتين أجبرت نفسها على البدء بإعداد صينيتين مع سكينين ومنديلين، وهي تشعر بالانزعاج لرؤية يديها ترتجفان قليلاً. تنفست عدة مرات، فيما راح عقلها يعدو بأقصى سرعة. حسناً! إذاً هي منجذبة إلى تراڤيس، حاولت محاربة هذه الحقيقة خلال الأسابيع الثلاثة الماضية، لكن هذه ليست الطريقة التي يجب التعامل فيها مع هذا الأمر. عليها أن تكون صادقة مع نفسها.

أخرجت المقلاة التي يتصاعد منها البخار من الفرن، ووضعتها على الرّف المعدني الصغير ثم قالت لنفسها: أنتِ امرأة راشدة في الثلاثين من العمر، ولست فتاة مراهقة تبتسم بتكلف عند أوّل افتتان. الانجذاب هو نفسه في كل زمان ومكان وهو لن يعني لك شيئاً.

لقد آمنت بكيث، بكل ما للكلمة من معنى، وما دامت قد فهمت مرة أن ما قامت به كان أمراً خاطئاً تماماً، فمن البديهي ألا ترتكب الخطأ نفسه مرة ثانية. إذا لم ترغب بأن تصبح عرضة للسقوط عليها ألاّ تخاطر، والطريقة الوحيدة التي تجنبها التعرّض للسقوط هي عدم الاقتراب من أي رجل. مدّت يدها لتأخذ طبق البطاطا المقطعة إلى شرائح رفيعة عن الرف الثاني للفرن، ففاحت رائحته الشهية بوجهها. فالزبدة والتوابل التي وزعتها عليها تعطي رائحة قوية شهية. للحظة، بدا كل شيء شهياً.

قبل أن تتزوج كيث، كان لديها العديد من الأصدقاء. كيث كان الشخص الأول الذي أقامت علاقة معه، وبدا لها أنه سيكون الأخير. كشّرت بيث وبدأت تغرف الطعام من المقلاة وتضعه في الطبقين ثم تتبعه بالبطاطا الذهبية.

- عليّ أن أساعدك بشيء.

عندما فاجأها الصوت القوي العميق، كادت بيث توقع طبق البطاطا. شجعت نفسها ونظرت إلى تراڤيس، وقامت بأفضل تصرف أمكنها القيام به، حين هزّت كتفيها بلا مبالاة قائلة: «لا، كل شيء تحت السيطرة. اذهب واجلس، وسأحضر الصينيتين خلال لحظات».

- على الأقل، دعيني أحمل كوبك وزجاجة العصير.

دخل إلى المطبخ قبل أن تتمكن من إيقافه، ومدّ يده ليتناول الزجاجة. هذه الحركة جعلت كتفه تلامس ذراعها برفق، وفجأة، رائحة عطر ما بعد الحلاقة الخفيفة المسكرة حرّكت أحاسيسها، مع ارتعاشة سببها إدراكها لطوله وعرض كتفيه وجسده القوي.

تجمّدت بيث، وباتت عاجزة عن التنفس. وارتاحت بشكل كبير عندما تمشى مبتعداً إلى غرفة الجلوس.

أجبرت نفسها على متابعة ترتيب الطعام، على الرغم من إحساسها بتلك الارتعاشات الصغيرة التي تتشعّب من كل عصب ووتر في جسمها. إنها غبية بلا شك. هو لن ينقضّ عليها، كما أنه لن يتحوّل إلى مغتصب

مجنون أو منحرف سيء الأخلاق.

حدّقت إلى الطبقين المليئين، ثم تنفّست ببطء. اهدئي يا فتاة! اهدئي! اذهبي وقدمي له العشاء، فأنت على الأقل تدينين له بذلك، ابقي لطيفة لكن غير متحمسة. تصرفي بفتور واضح، وسيفهم الرسالة.

رفعت الطبقين ووضعتهما على صينيتين، ثم أخذت واحدة، وحضّرت نفسها لتحملها لتراڤيس. ساعة أو ساعتان كحدٍ أقصى، وتنتهي من هذه المسألة. بعد ذلك هي ليست بحاجة لأن تراه من جديد.

ارتاح عقلها لهذه الفكرة. تراڤيس هو من النوع الذي لا يفتقد أبداً لرفقة امرأة، هذا أمر مؤكد. ومن غير المستبعد أن تراه في الأسبوع المقبل أو الذي يليه أو في وقت قريب جداً، برفقة امرأة شقراء، أو سمراء أو ذات شعر أحمر. وهذا جيّد بالنسبة لها، جيّد تماماً.

رفعت ذقنها وشدّت فمها الناعم بإحكام، وقوّمت ظهرها. وأخذت الصينية لتقدمها له.

www.elromancia.com

٤ - مِمَّ تخافين؟

- هذا رائع!

وضع تراڤيس الشوكة والسكين، وبدا عليه مظهر رجل متخم.

قالت بيث بتزمّت: «أنا سعيدة لأنك استمتعت بالطعام».

انتهت الوجبة بشكل جيّد. وأضافت بابتسامة مختصرة: «ليس عندي حلوى مثل فطيرة البندق أو كيك التفاح، أنا آسفة. لكن هناك جبنة وبسكويت للتحلية، إذا رغبت ببعض منها».

ابتسم تراڤيس قائلاً: «إنه المفضّل عندي، وعلى فكرة، فطيرة البندق وكيك التفاح كنت قد اشتريتهما من محل الحلويات».

إنه جو حميم جداً! وقفت بيث عن كرسيها بخفّة، وكانت قد تعمّدت الجلوس على هذا الكرسي حين جلس تراڤيس على الأريكة، لكن عندما مدّت يدها لتتناول الصحن من يده، وقف هو أيضاً.

- اسمحي لي.

قال هذا بحزم، آخذاً الصحن منها ومتجهاً مباشرة إلى المطبخ، حيث غمر الصحنين بالماء في حوض غسل الأطباق.

وقفت مترددة في الباب، فالمطبخ صغير جداً لكليهما. قالت في النهاية: «من فضلك، سوف أغسل الأطباق لاحقاً. تعال وتناول كوباً آخر من العصير».

- انتهيت تقريباً.

مضت دقيقة أو اثنتان قبل أن يستدير، لكنه بعد ذلك لم يبتعد عن المغسلة، بل اتكأ إليها. مكتّف اليدين، متصالب الرجلين وراح يتفحّصها

بعينين رماديتين حادّتين، ثم سألها بنبرة واقعية فظيعة: «هل تعرضت لإساءة من قبل؟ أعني... عاطفياً».

- ماذا؟

لم تستطع بيث تصديق أذنيها. طفح وجهها بلونٍ حاد وأردفت: «بالطبع، لا!».

- ما من داعٍ للتكتم بهذا الشأن، فالأمر يحدث.

- حسناً! لم يحدث لي.

لم تصدق أنه سألها مثل هذا السؤال الفضولي. كرهت نفسها بسبب الارتباك الذي أحست به.

سألها ببرودة: «إذاً، لماذا تقفزين مثل قطة على صفيح حامٍ عندما أصبح على بعد ثلاث أقدام منكِ؟».

- أنا، لا...

حدّقت إليه متابعة: «... لا تكن سخيفاً».

- أعتقد أنك كذلك.

رفع جسمه وسار بضع خطوات ليصل إليها.

أجبرت بيث كل عضلة في جسدها أن تبقى هادئة، عندما نظرت إليه قائلة بسيطرة فولاذية: «فقط لأنني أتيت إلى هنا لأنعم بالسلام والهدوء، لا يعني أنني أعاني من مشكلة كبيرة. أنا لا أرغب بأن أجتمع بأي شخص فحسب، وهذه ليست جريمة. أليس كذلك؟».

قال بهدوء: «أبداً».

لم يلمسها، لكنه وقف قريباً منها لدرجة أنه يمكنها تقريباً الشعور بضربات قلبه، لذلك احتاجت إلى كامل إرادتها لمنع نفسها من الانسحاب.

أكملت ببرودة: «لذا، إذا ابتعدت عن الطريق يمكنني إحضار الجبن والبسكويت».

- إذا كنت لم تتعرضي لجرح عاطفي، إذاً ما الأمر؟

سألها بهدوء، متابعاً: «لأن هناك شيئاً ما. أليس كذلك؟ شيء ما

www.elromancia.com

جعلك تنسحبين من عالم البشر، أو من الرجال بالتحديد. ليس العمل فقط هو ما أرسلك إلى هنا».

عرفت بيث أن وجهها يتقد. سألته بتهذيب: «ألم تسمع من قبل أن من الفظاظة أن تقتحم خصوصية شخص آخر؟».

تجاهل تراڤيس تعليقها، وانتابها شعور أنه يتجاهل دائماً أي شيء لا يرغب في الإجابة عنه. سألها بلطف: «ما اسمه؟ الرجل الذي خذلك؟».

حدّقت إليه، في حين بدأ رأسها يسرع في الدوران. لا جدوى من المراوغة. يمكنها القراءة في عينيه أنه لن يتخلى عن إصراره.

- كيث.

رغم أنه أمر صعب، لكنها جعلت نفسها تتابع وهي تنظر مباشرة إلى وجهه دون أن تشيح بنظرها، وتابعت: «اسمه كيث. كان زوجي لفترة... إلى أن اكتشفت أن لديه زوجة ثانية وابنتين نسي أن يذكرهن لي».

رأته يطرف بعينيه، وعرفت أنه شعر بالصدمة ثم قال: «أنا آسف».

جاء صوته مخلصاً، ثم تابع: «لا أتصور الشعور الذي سببه لك ذلك».

شيء ما في وجهه القاسي جعلها ترغب في البكاء، لكنها بكت بما يكفي ليملأ محيطاً في الأشهر الأخيرة الماضية. لكي تقاوم ضعفها، تعمّدت بيث جعل صوتها وقحاً حين قالت: «من القسوة إلى حد ما، أن يبدأ المرء حياته بصدمة كهذه، لكن علينا مواجهة ذلك. في الواقع، أنا أشعر بالأسف على آنا، فهي لم تعرف بشأني أيضاً، بالإضافة إلى أن لديها طفلتين صغيرتين لتفكر بهما. كان ماهراً جداً، يقسّم وقته بين منزلين، ويحتمل أن تكون لديه أيضاً نساء أخريات بالإضافة إلينا، لن يفاجئني هذا».

سألها تراڤيس بهدوء: «ألهذا السبب تركته؟».

- آه! أجل. نحن مطلقان الآن، لذا أصبح هذا كله من التاريخ.

قالت ذلك بهدوء متابعة: «كل شيء أصبح أسوأ لأننا، شقيقتي وأنا، خسرنا والدينا مؤخراً في حادث سيارة، وأنا عملت بجهد كبير محاولة

التغلّب على هذا كله. أرأيت؟ ما من لغز غامض لوجودي في هذا الجزء من العالم. أنا فقط قررت أن آخذ عطلة طويلة هادئة قبل أن أنضم إلى دنيا الأعمال من جديد. هذا كل شيء».

- وماذا عن دنيا البشر؟

عبست متسائلة: «عفواً؟».

- متى تخططين للانضمام إلى عالم البشر من جديد؟ متى تعيدين مد جسر التواصل؟ الاستمتاع بالوقت... مواعدة أحدهم!...

تحول عبوس بيث إلى حلقة استهجان، وقالت بتحفّظ: «هذا شأني من غير ريب».

أيفتقد هذا الرجل إلى الحد الأدنى من التفهم؟

رفع يديه بطريقة استسلام تهكمي، متراجعاً خطوة إلى الوراء، وقال: «حسناً! حسناً! لا تفرطي في الغضب من جديد. أنا فقط أتساءل كم ستستمرين بالسماح له بأن يهيمن على حياتك، ويلقي بظله على مستقبلك. لأشهر... لسنوات...؟».

- ماذا؟

بدت بيث مصدومة بكلامه. كيف يجرؤ؟

نظر إليها تراڤيس بطريقة خالية من التعبير، وسألها ببرودة: «حسناً! ماذا تسمين ذلك؟ يبدو واضحاً أن هذا الرجل رديء بكل ما للكلمة من معنى، ولا يستحق أن تتوقفي طلباً للراحة بسببه».

قالت باشمئزاز: «أتظن الأمر بهذه السهولة؟ حسناً! أنا امرأة سخيفة لأنني لم أدرك أن العالم هو مجرد وعاء مليء بالكرز الناضج، وأن القمر هو حقاً مصنوع من الجبنة. ولست أؤمن بسانتا والجنية التي تحتفظ بأسنان الحليب لتحقق لنا أمنياتنا».

بدا تراڤيس من الوقاحة ليبتسم قائلاً: «ما الذي يجعلك تعودين إلى طبيعتك؟».

لأول مرّة منذ أن كانت فتاة صغيرة، تجد بيث نفسها تضرب الأرض

www.elromancia.com

بقدمها. في محيط عائلتها الدافىء كانوا يلقبونها نيدي بسبب ميلها لأن تضرب الأرض بقدمها بحسب انفعالها. افتقادها للسيطرة على نفسها نزل كطبق من الماء المثلج على نار غضبها، أخذت نفساً عميقاً وقالت: «أعتقد أن من الأفضل أن تغادر».

أجابها متكاسلاً ودون أن يتحرك من مكانه: «ألأنني أخبرتكِ الحقيقة؟ أظن أنكِ ناضجة كفاية لتفهمي قصدي».

بدأت تضرب قدمها بالأرض من جديد. رجل متغطرس... مثير للحنق! مع أنها لطّفت كلامها إلا أنها قالت بشكل فظ: «الحقيقة كما يراها تراڤيس بلاك، ليس بالضرورة أبداً أن تكون الحقيقة».

- فكّري بما قلته، وستجدين أنني محق.

توقف عن الابتسام وتابع قائلاً: «أنت جميلة جداً، ورقيقة، ومفعمة بالحيوية لتحبسي نفسك بعيداً، بيث. ولا تنسي أنه كلما طالت فترة عدم إنزال إصبع قدمك في الماء البارد، كلما صعب عليكِ النزول إلى الماء والسباحة».

قالت بتزمت: «ماذا لو كنت لا أرغب في السباحة من جديد؟ بالتأكيد هذا الأمر يعود لي، فأنا فعلاً أملك عقلاً خاصاً بي».

قال بصوت جاف: «صدقيني، أنا لا أشك في هذا».

- أرجوك، ارحل!

استدارت ومشت نحو غرفة الجلوس، متسائلة عما ستفعله إذا لم يتبعها، لكنه تبعها.

ما إن فتحت الباب الأمامي، ووقفت جانباً كي يغادر، وقف أمامها قائلاً بهدوء: «سأمرّ نهار الأحد لأصطحبك إلى الغداء. عند الثانية عشرة. حسناً؟».

نظرت إليه بدهشة مطلقة، وقد بدت متفاجئة جداً. وما إن استردّت القدرة على استخدام صوتها حتى قالت: «أنت آخر شخص في العالم أرغب بتناول الغداء معه، تراڤيس، لذا لا تضيع وقتك بالمجيء».

- الثانية عشرة تماماً!

ثم انحنى وعانقها بخفّة، قبل أن يخرج من الكوخ من دون أن ينظر خلفه، حيث ابتلعته ظلال المساء.

لم تنتظر بيث لتراه يصل إلى سيارته قبل أن تغلق الباب، وتتكىء عليه، وقد أحسّت برجليها تهدّدانها بالسقوط. وقف هارڤي عند قدميها وهو ينبح، فانحنت تلاطف فروه الخشن لتطمئنه أنها بخير، وعندئذٍ أدركت مدى ارتجافها.

كان ذلك أقصر عناق ممكن، بل هو بالكاد عناق، فلماذا إذاً أثّر فيها بعمق؟ لم تمدّها الغرفة الصامتة بأي إجابة. كما أنها لم تتوقع ذلك.

بعد دقيقة أو دقيقتين شعرت بالقدرة على الابتعاد عن الباب، فمشت إلى المطبخ وتفحصت الطعام الباقي في المقلاة.

- إنها مجرّد لياقة اجتماعية!

قالت تلك الكلمات بصوت عالٍ، وكأن ذلك سيساعد في إقناعها بأنها في منتهى السخافة إذا ما فكرت بسوى ذلك. هذا كل ما يعنيه ذلك العناق بالنسبة لرجل مثل تراڤيس. إنه شيء يفعله عندما يغادر حفلة عشاء أو ما شابه، كخاتمة مهذبة لسهرة.

وضعت يديها على وجهها، وراح رأسها يدور بأفكار وعواطف كثيرة، كما شعرت أنها مصابة بدوار. أحست أن بشرتها تلتهب احتراقاً حيث لامستها يداه في تلك اللحظة القصيرة السريعة الزوال، لكن ذلك لم يساعدها في التخلص من تأثيره عليها بسرعة. وهي لا تريد ذلك. لا تريد أن تشعر بهذه الطريقة، كما لا تريده أن يؤثر عليها أبداً.

تأوهت، وهزت رأسها بسبب ضعفها. قال تراڤيس عن كيث بأنه خطير، لكن تراڤيس يمثّل عصابة بمفرده، فماذا ستفعل؟

بقيت تسأل نفسها السؤال ذاته عندما زحفت إلى سريرها تلك الليلة، وهي تشعر أنها مرهقة عاطفياً وذهنياً. كل كلمة قيلت، كل حركة، كل فارق دقيق في صوت تراڤيس جعلتها مضطربة أكثر من السابق. لكن كان

www.elromancia.com

هناك شيء وحيد مؤكد: لن ترافقه لتناول الغداء يوم الأحد.

نعبت بومة في الغابة المحيطة بالكوخ. فكرت بيث أنه على الرغم من الأحداث والصدمات التي عاشتها في الشهور الماضية، ورغم الألم المعذّب الذي شعرت به لفقدانها والديها على نحو مفاجيء، ثم الأذى والخيانة اللذين تلقتهما من كيث، عاشت هذه الغابة وبقيت لعدة أجيال. بعض أشجار السنديان القديمة تعيش هنا منذ قرن أو أكثر، أي قبل أن تولد هي وستبقى هنا عندما ترحل.

رفعت بيث الغطاء القطني الرقيق، ووضعته حول أذنيها، وأغمضت عينيها بعزم، فهدأت فجأة الأفكار المضطربة التي تعتمل في رأسها. لا يمكنها منع تراڤيس من المجيء صباح الأحد، لكن يمكنها التأكد بأنها لن تكون هنا. وهذا ليس جبناً منها، إنه ببساطة تكريس للحقيقة: إنها لا ترغب بإقامة أي علاقة معه.

عند العاشرة من صباح يوم الأحد، أعدت غداء للنزهة لنفسها ولهارڤي، وخططت لقضاء هذا اليوم الصيفي الحار وهي تتجول في التلال والوديان، مبعدة تفكيرها عن كل شيء طوال النهار.

أمضت يومها في الهواء النقي مستكشفة الطبيعة، وعادت إلى المنزل عند الغروب. بدا العشب المزهر تحت قدميها لامعاً في ضوء المساء، راحت العصافير تغرّد في الأشجار والآجام وهي تحضّر لحلول الظلام، كما رأت بيث قطيعاً من الخراف يسير في الحقول تحت الكوخ بصمت وهدوء. وحين اقتربت من بوابة الحديقة، راحت ثمانية عصافير كبيرة تحوم فوق رأسها. جمال هذه اللحظة جعل بيث تحبس أنفاسها.

تمتعت بيوم جميل مع هارڤي، وبدا كل شيء حولها هادئاً وجيداً، لماذا إذاً تشعر بأنها تعيسة جداً؟ راحت طوال النهار تحارب الأفكار التي تذكرها بتراڤيس، لكنه كان يصرّ على اقتحام أفكارها.

حين وصلت تقريباً إلى باب الكوخ سمعت صوت سيارة تقترب في الممر خارج الحديقة. كاد قلبها يتوقف عن الخفقان، لكنها أقنعت نفسها أن

عليها أن تواجهه يوماً ما في المستقبل، فلِمَ لا يكون ذلك الآن؟ استدارت ورجعت إلى الحديقة. عندما ظهرت السيارة، كانت بيث تقف في الحديقة وهي تحمل طوق هارڤي، غير مدركة كم تبدو في موقف مرتبك ودفاعي في هذا الليل المخيّم.

توقفت السيارة، لكن في الوقت الذي خرج فيه تراڤيس من السيارة، انسلت امرأة سمراء جميلة خارجة من مقعد الركاب.

- لا بدّ أنك بيث.

قبل أن يتفوه تراڤيس بأي كلمة، مشت المرأة إلى البوابة قائلة: «سمعت الكثير عنكِ. أعتقد أنه أمر رائع أن تختاري المجيء إلى هنا لفترة والعيش بمفردك، وأن تنعزلي عن بقية العالم».

بدت بيث متفاجئة تماماً، لكنها أجبرت نفسها على الابتسام قائلة: «شكراً... أعتقد...».

وفي الوقت نفسه منعت نظرها من الشرود باتجاه الرجل الضخم الواقف خلف المرأة.

- أنا ساندرا، شقيقة تراڤيس. ولا ألومك أبداً لأنك رفضت تناول الغداء معه.

مدّت ساندرا يدها لتصافحها، فصافحتها بيث وهي تشعر ببعض الذهول، تابعت ساندرا قائلة: «لكنت فعلت تماماً ما فعلته لو كنت مكانك».

- مرحباً، بيث!

جاء صوت تراڤيس جافاً، وما إن تحرك نظرها إليه لاحظت أن الوجه الداكن ساكن وهادىء. لم تتمكن من قراءة أي شيء في تعابير وجهه.

أجابت بيث وهي تنظر إلى تراڤيس، قائلة بصوت مرتعش: «أنا لم أرفضه. أنا أخبرته أنني لن أتناول الغداء معه».

أومأت ساندرا برأسها قائلة: «لكنه لا يقبل بكلمة «لا» كإجابة. هكذا هو شقيقي عموماً، ويمكنني إخبارك قصصاً عنه. إنه حقاً عنيد، عندما يصرّ

أسنانه...».

- ساندرا، بعد أن تعرفت إلى بيث، حان الوقت لتعودي إلى السيارة.

جاء صوت تراڤيس ناعماً وهادئاً عندما قطع ثرثرة شقيقته، لكن ما من شك في أن ما قاله كان أمراً وليس طلباً.

رأت بيث المرأة الأخرى تفتح فمها وكأنها ستعترض، لكن عندما نظرت إلى وجه شقيقها قررت أن من الأفضل لها أن تصمت. غمزت بيث قائلة قبل أن تستدير وترمي نفسها في المرسيدس، مغلقة الباب خلفها: «أراك قريباً».

بدأت معدة بيث تهتاج، لكن وجهها لم يظهر أياً من ذلك حين نظرت إلى تراڤيس، محاولة بشدة تجاهل كم يبدو مظهره جيداً، وكررت بفتور قائلة: «أنا فعلاً قلت إنني لن أتناول الغداء معك. إذا كنت تذكر؟».

- أذكر. بالإضافة إلى قولك إنني آخر شخص على الأرض تودين تناول الغداء معه. أهذا صحيح؟

توردت بيث قليلاً وقالت: «صحيح. إذاً لا يمكنك القول إنني رفضتك».

رفعت ذقنها بتحدٍ.

- أنا لم أفعل. ساندرا قالت ذلك.

ابتسم تراڤيس ابتسامة لم تصل إلى عينيه الثاقبتين، وتابع قائلاً: «إنه تفسيرها الخاص للأحداث. أنا كنت متأكداً تسعة وتسعين بالمئة من أنك لن تكوني هنا عندما أتينا، كما حدث تماماً».

حدّقت إليه ملياً. إنه يعني ذلك فعلاً، يمكنها تأكيد ذلك، فسألته بارتباك: «لماذا أتيت إذاً، لماذا أزعجت نفسك؟».

قال بلطف: «أملاً بالواحد في المئة. طابت ليلتك بيث».

استدار على عقبيه ومشى مبتعداً.

كان قد وصل إلى السيارة، قبل أن تجبر بيث نفسها على القول: «تراڤيس! أنا آسفة. أنا لم أتناول الغداء معك ليس لأنني لا أرغب بتناول

الغداء مع أحد، بل لأنني...».

لم تعرف كيف تفسّر ذلك بالكلمات.

وقف تراڤيس ويده على باب السيارة. في ظل الليل بدا لون عينيه أسود، وظهرت ابتسامة صغيرة على شفتيه. اقترح بلطف: «شديدة الحساسية».

ابتلعت ريقها بجهد قائلة: «..مخدوعة. هذه ليست شخصيتي الحقيقية، وأنا لست كذلك دائماً. لكنني تغيّرت بعد الطلاق. لذا يمكن أن تكون هذه شخصيتي الجديدة، مع أنني آمل العكس».

توقفت فجأة، بعد أن شعرت أنها تتكلم بحماقة. أنهت كلامها ببرودة: «على أي حال، أنا آسفة».

وهي حقاً كذلك.

سألها بتركيز: «بأي مقدار؟».

تغضّن حاجبها وقالت: «ماذا؟».

- إلى أي مدى أنت آسفة؟

سألها ذلك بلطف مهيب، فيما صوته ومظهره يظهران نوعاً من اللين الودي، وتابع قائلاً: «هل أنت آسفة كفاية لتشاركيني الوجبة الوحيدة التي أتناولها عندما أكون في هذا الجزء من العالم، دون التفكير أن لدي بعض الدوافع الخفية. أنت لست من نوعي المفضل من النساء، بيث، لكنني أجدك شخصاً مثيراً للاهتمام. وعلى فكرة... هذا إطراء».

أضاف بلطف قائلاً: «هناك عدد قليل من الأشخاص الذين أجدهم مثيرين للاهتمام، سواء كانوا رجالاً أم نساءً».

بدت بيث مصدومة جداً، فردت بصورة آلية كأنها مخدرة: «فهمت».

إنه ساحر! ساحر بكل ما للكلمة من معنى.

- نحن جاران قريبان، وفي هذا الجزء من العالم، وهذا يعني أن علينا أن نعتني ببعضنا، وعلينا القيام بالأشياء اللائقة بالجيرة.

تابع تراڤيس بابتهاج قائلاً: «أفهمت؟ بما أنك تعيشين حياة منعزلة،

www.elromancia.com

أكره التفكير بأنك مريضة أو أن حادثاً حصل معك دون أن يعرف أحد بالأمر».

قالت بنبرة حازمة: «لدي هاتف جوّال».

ثم أضافت بسرعة: «وأنا أتحدث إلى شقيقتي وأصدقائي بصورة دائمة».

قال ملاطفاً: «بالطبع تفعلين ذلك».

لم تستطع تمالك الرعشة التي سرت في عمودها الفقري، كما أحسّت بوجنتيها تتقدان. استجمعت قواها قائلة بتجهم: «أنا قادرة تماماً على الاهتمام بنفسي، لذا لا تقلق بشأني».

كيف يجرؤ على الشعور بالشفقة عليها؟.

- ومع ذلك، أرغب بأن أشعر أنه يمكنني الاتصال بك، كما يمكنك الاتصال بي إذا دعت الحاجة. أفهمتِ؟ ما أحاول قوله هو أنه سيكون من الجيد أن نكون صديقين، بيث. ما رأيك؟

أقلقتها الفكرة رغم أنها حاولت إقناع نفسها بأنها غير عقلانية تماماً، بالنظر إلى أحاسيسها المتناقضة. هي لا تريده أن يكون مهتماً بها، أليس كذلك؟

بالطبع لا تريد! إنها تحاول إقناع نفسها بذلك منذ أن وصلت إلى شروبشير، وها هو يعرض عليها صداقة أفلاطونية دون أي قيود، لذا يجب أن تشعر بالارتياح. لكنها تشعر... آه! لا تعرف بماذا تشعر، وذلك يثير غضبها بصورة أكبر.

حين أدركت أنه ينتظر الإجابة أظهرت تكشيرة وجهها ليظن أنها تبتسم، وقالت: «أجل... بالطبع، أفهم... هذا جيد».

- حسناً!

لديه الوقاحة ليظهر ابتسامة كأنها تقول: اهدئي، ستكونين بخير يوماً ما.

على الأقل هكذا فسّرتها بيث، وهذا ما جعل دمها يغلي. تابع قائلاً: «أنا سعيد لأن الفرصة سنحت لنوضح الأمور بيننا. أنا عائد الليلة، لكن

ما رأيك بوجبة طعام أو أي شيء في المرة المقبلة عندما أكون هنا؟».

صرّت بأسنانها قائلة بمرح: «أجل، حسناً».

- عظيم!

قام تراڤيس بحركة كأنه يفتح باب السيارة، لكن يبدو أنه غيّر رأيه، فمشى عائداً نحوها. شعرت بيث بمعدتها تقفز كالسدادة.

- إذاً، أراك قريباً.

قال ذلك بخفّة، ثم انحنى وقام بذلك الشيء: عانقها من جديد!

بدا بوضوح أنه عناق خفيف من نوع اللياقة الاجتماعية، فكّرت بيث مرتجفة أثناء مراقبتها له يعود إلى السيارة وينسل إلى داخلها هذه المرّة. بعد لحظة، ابتعدت السيارة، وراحت ساندرا تلوّح بيدها من نافذة الركاب. ذكّرت نفسها بمرارة أن تراڤيس ليس مولعاً بها، فهي لم تؤثر فيه كامرأة. في حين أنها هي... مولعة به بشكل كبير.

إنه مجرد انجذاب جسدي! هذا ما أكدته لنفسها بسرعة في اللحظة التالية. وهذا بحد ذاته أمر يمكن السيطرة عليه بسهولة. ما من تورط عاطفي برغم كل شيء. إنها فقط هرمونات ثائرة، وهذا أمر يمكن اعتباره مفهوماً إلى حد ما. لقد عاشت حياة مثيرة مع كيث، وفجأة توقف كل شيء، لذا فإن هذا طبيعي.

بدأت الآن تشعر أنها بحال أفضل من جديد، وجسدها يذكرها بأنها امرأة من لحم ودم. عندما كانت تعمل طوال الوقت لتتغلب على خسارتها لوالديها وعلى الألم الذي سببته لها خيانة كيث، كُبِحَت هذه الأحاسيس لديها بقوة، أما الآن فقد بدأت تعمل من جديد.

استدارت، ومشت إلى الباب الأمامي حيث يستلقي هارڤي بانتظارها. وقف الكلب الضخم حين اقتربت منه، مدلياً لسانه ومحركاً ذيله. ابتسمت بيث له، ثم انحنت وربتت فروه الخشن وهي تفكر، أن ما تشعر به لا علاقة له بتراڤيس، لكن صادف أنه هو الرجل الوحيد هنا في هذه اللحظة، الرجل الذي أيقظ ذلك الجزء من أحاسيسها مرّة ثانية.

جعلت بيث نفسها تدرك الشيء نفسه عدة مرات خلال السهرة قبل أن تأوي إلى الفراش، وبقيت تذكر نفسها به إلى أن غطّت في النوم.

٥ - أريدك ولكن...

مرّ الأسبوع التالي ببطء مذهل، على الأرجح لأن بيث لم تتمكن من التوقف عن التفكير بتراڤيس. أين هو؟ ماذا يفعل؟ ومع من؟ تفاقم ذلك الأمر مما أدّى إلى شعورها بالاضطراب. ومع أنها جرّبت علاجات متعددة كالمشي المتواصل مع هارڤي، وتنظيف الكوخ بأكمله، وكتابة رسائل كثيرة للجميع بلا استثناء تخبرهم فيها كم تشعر أنها بحال أفضل... لكن لا شيء أوقف تفكيرها به لوقت طويل.

عندما اقتربت عطلة نهاية الأسبوع، وجدت نفسها تعدّ الساعات وبدت مرتعبة بشكل حقيقي من ضعفها، لاسيما أنها لم تستطع أن تتبين إن كانت تلك المشاعر المضطربة التي تجعل قلبها يتوقف عن الخفقان من جديد هي بسبب الحماسة أم التوتر.

صباح يوم الجمعة، سمعت صوت هاتفها الجوّال أثناء جلوسها في الحديقة الخلفية الصغيرة مع هارڤي، وإلى جانبها فنجان من القهوة. قفز قلبها بجنون فانقضت على الهاتف لتجيب عن الاتصال قبل أن تدرك أن تراڤيس لا يعرف رقم هاتفها، لذا لا يمكن أن يكون هو المتصل للقيام بترتيبات عطلة نهاية الأسبوع.

بدا صوت كاثرين حماسياً حين قالت: «احزري ماذا؟ أبدت والدة ميشال استعدادها للاعتناء بجيمس لبضعة أيام، لذا يمكننا تمضية نهاية أسبوع لوحدنا. حجز ميشال في فندق يقع في ضواحي شروبشير، وهكذا يمكننا أن نذهب لاصطحابك لبضع ساعات، فنتناول وجبة طعام معاً. ما رأيك؟ آه، نيدي. أنا أتحرّق شوقاً لرؤيتك، أشعر كأننا لم نرَ بعضنا منذ

www.elromancia.com

سنوات طويلة».

استعمال كاثرين للقبها القديم، كشف لبيث أن شقيقتها تعني ما تقوله.

راوغت بيث قائلة: «لكن من المفترض أن تقضيا العطلة بمفردكما أنت وميشال. ألن يمانع؟».

مع أن علاقتها جيدة مع صهرها، لكنها لا تريد استغلال حسن معاملته لها. وهي تشعر أن كاثرين تميل إلى ذلك في بعض المناسبات.

- عزيزتي، ميشال هو الذي اقترح ذلك وحجز في الفندق. هو يعرف كم افتقدتكِ. سيكون لقاؤنا لساعات قليلة فقط. سأتأكد من مكافأته بشكل ملائم على تضحيته. اطمئني.

قهقهت كاثرين متابعة: «ما رأيك بأن نعرّج عليك غداً مساءً؟ عند الساعة السادسة تقريباً؟ ويمكنك إخباري بكل القصص الريفية. سيكون ذلك ممتعاً».

- كاثي، أنا هنا لا أرى مخلوقاً، لكنني سأفرح بزيارتكما فعلاً. سيكون ممتعاً أن أراكما، إذا كنت متأكدة فقط.

- تماماً. وسأحضر معي آخر الصور التي التقطتها لجيمس. لن تصدّقي كم تغيّر خلال هذا الشهر. أحبك كثيراً، شقيقتي الصغيرة.

- أنا أحبك أيضاً، وأتحرّق شوقاً لرؤيتكِ.

أنهت بيث المكالمة ووضعت الهاتف، ثم تناولت الكوب المليء بشراب قهوة البندق. أملت أن يقوم تراڤيس بزيارتها قبل يوم الأحد، كي توضح له أنها ستخرج في المساء. ذلك سيعلمه بألا يعتبرها بائسة محرومة من الأصدقاء.

جلست مستقيمة بحدّة، منزعجة من نفسها لأنها مهتمة بما سيفكّر تراڤيس. آه، بحق السماء! ما بالها؟ إنها تسمح له بأن يسيطر على أفكارها بطريقة لم تحصل لها من قبل أبداً.

شربت القهوة وتشاركت البسكويت مع هارڤي، قبل أن تقوم بنزهة طويلة. وحالما وصلت إلى المنزل، عملت في الحديقة الأمامية لبقية النهار.

عملت بجهد إلى أن حلّ الغروب بعطره اللطيف، رافضة الاعتراف أنها خلال الساعات القليلة الماضية أبقت أذنيها منتصبتين لتسمع صوت سيارة تقترب. أخيراً، عندما اشتدّت الظلمة، عادت إلى الكوخ مع هارڤي خائبة الأمل إلى حد ما.

برغم كل شيء، ربما لن يأتي تراڤيس هذا الأسبوع. أثناء تحضير العشاء، راحت بيث تقنع نفسها أنها غير مهتمة للأمر. ربما بقي في بريستول لقضاء بعض الأعمال أو أن لديه أشياء شخصية أكثر تبقيه هناك. هو رجل جذّاب جداً، ولا بد أن هناك عدداً كبيراً من النساء اللواتي يحطن به ويضعن أعينهن عليه.

لم تعرف بيث لما تشعر أنها مستاءة جداً، ومنفعلة، أو لما تبقى مستيقظة لبضع ساعات قبل أن تغط في نوم مزعج مليء بالأحلام المشوشة المعقّدة والصور المظلمة. ربما هي فقط لا تريد أن تعرف.

وصلت كاثرين وميشال في اليوم التالي عند الساعة السادسة تماماً. بدا هارڤي مسروراً لرؤية صديقيه القديمين، فرحّب بهما بابتهاج غامر. أما شقيقة بيث وزوجها فأعلنا أنهما أحبا الكوخ كما أحبا موقعه.

- فهمت الآن لماذا اخترتِ هذا المكان!

قالت كاثرين ذلك بعد أن رافقتهما بيث في جولة حول الكوخ، وبعد أن استقرا على الأريكة، حيث قدمت لهما مشروباً بارداً، تابعت قائلة: «إنه مكان هادىء جداً. انتبهي، أنا لا أعتقد أنني أرغب في أن أكون هنا بمفردي في الشتاء».

ابتسمت بيث قائلة: «في ذلك الحين سوف أعود إلى لندن».

إلا أن قلبها ترنّح لفكرة رحيلها، فالآن بدا لها الكوخ بمثابة منزلها.

أومأت كاثرين برأسها، وسألتها بمكر: «وماذا عن... فارسك بدرعه اللامع؟ هل رأيته بعد أن أنقذك من تلك الكارثة؟».

- بالكاد يمكن تسميتها كارثة.

ضحكت بيث وأملت ألاّ تلاحظ شقيقتها أن ضحكتها متكلّفة.

لقد أخبرت شقيقتها عن البداية المتقلقلة إلى حدّ ما في شروبشير، لكنها حرّفت قدر الإمكان بالجزء المتعلق بتراڤيس، مع يقينها التام أن كاثرين ستتمسك بالحقيقة، وهي أن رجلاً جذاباً غير مرتبط يسكن في الجوار مباشرة.

- إذاً، هل رأيته ثانية؟

واصلت كاثرين كلامها بعزم، متجاهلة نظرة ميشال الثاقبة وتابعت: «اسمه تراڤيس، أليس كذلك؟».

أومأت بيث برأسها قائلة من غير قصد: «مرة أو اثنتين بالصدفة. وأين تلك الصور التي أحضرتها لجيمس؟ أنا متشوقة جداً لرؤيتها».

تغيير الموضوع نجح كما توقعت بيث، فكاثرين تعبد الأرض التي يدرج عليها طفلها، وسبق أن اعترفت بأنها اتصلت بوالدة ميشال ست مرات منذ أن غادرت لندن، فقط لتتأكد بأن كل شيء على ما يرام.

عبّرت بيث عن فرحها ودهشتها بصور ابن شقيقتها. لكن بينما راحت تنظر إلى صور الطفل ذي العينين اللامعتين وتقوم بكل ردّات الفعل اللازمة، كانت تفكّر بأنها محظوظة جداً لأن تراڤيس لم يأتِ، لأن كاثرين ستفهم الأمر بشكل خاطىء. وعندما تضطلع كاثرين بمهمّة ما، فحتى الأحصنة المتوحشة لا تستطيع إزاحتها عند هدفها.

حجز ميشال طاولة في مطعم الفندق الذي سيمكث فيه هو وكاثرين، والذي يبعد مسافة نصف ساعة عن الكوخ. مع أن بيث شعرت بالذنب قليلاً بسبب الأميال التي قطعاها لرؤيتها، إلا أنها أدركت بنفسها أنه قرار ميشال، وهو شيء رحّبت به سراً. هناك، ما من فرصة لرؤية تراڤيس.

أمضت بيث بعض الوقت وهي تجهّز نفسها قبل أن تصل كاثرين وميشال، وحرصت على أن تُظهر صورة متفائلة لشقيقتها، فهي تعرف أن كاثرين قلقة بشأنها، ولهذا السبب احتمت بمظهرها. اختارت ثوباً من الشيفون من دون كمين، يتدرج لونه من اللون الأزرق الغامق الذي

يعكس لون عينيها حتى الأزرق الفاتح. ارتدته مع حزام عريض مزيّن، وانتعلت صندالاً رقيقاً ذا رباطين فوق الكاحل.

عندما أصبحت الساعة السابعة تماماً، اقترح ميشال أن يذهبوا، وكانت بيث جاهزة بعد أن أحضرت بسرعة من غرفة النوم حقيبتها وسترة قطنية ذات كمين قصيرين.

بعد تنبيه هارڤي كي يكون متيقظاً، وهو تنبيه يفهم منه الكلب الضخم أنه لن يرافقها، سارت بيث إلى الباب الأمامي. استعلمت كاثرين وهي تضحك بملء فمها إذا ما كانت بيث متأكدة بأن المفتاح معها عندما فتحت بيث الباب وهي مبتسمة. كانت بيث على وشك أن تجيبها إلا أن فمها فشل في صياغة الكلمات...

اتسعت عيناها، ونظرت إلى تراڤيس مذهولة، فيما أنزل هذا الأخير يطء يده التي رفعها ليطرق الباب. بدا رائعاً جداً، بل أكثر من رائع!

- مرحباً، بيث!

جاء صوته لطيفاً، لكن التمتمة الخفيفة كانت كافية لتدفع كاثرين إلى الباب بسرعة. قالت متلهفة بصوت يحمل إشارات المرح: «آه! مرحباً. لم نسمعك تطرق الباب. أليس كذلك بيث؟ بالمناسبة، أنا كاثرين، شقيقة بيث. وبما أنه لا يبدو على بيث أنها ستعرّفنا ببعضنا فهذا...».

وأشارت إلى ميشال، الذي كان بعيداً. أضافت: «... زوجي، ميشال».

أخذت بيث نفساً عميقاً، وقالت بهدوء: «أنا آسفة، لقد فاجأتني. هذا كل ما في الأمر. كاثرين، ميشال، أقدم لكما تراڤيس بلاك. أعتقد أنني ذكرت لكما أنه ساعدني في الليلة الأولى التي وصلت فيها».

قالت كاثرين: «عندما أقفلتِ الباب على نفسك في الخارج، وأخذك إلى منزله لتمضي الليل، كما استضافك على الفطور. بالطبع أذكر».

- لا تنسي أن الضيافة تضمّنت عشاء جيداً أيضاً.

ابتسم تراڤيس لكاثرين على الجانب الآخر من كتف بيث التي أُجبِرت على التراجع لتتمكن كاثرين من مصافحة تراڤيس.

- سررت بالتعرف إليك، كاثرين.

ابتسمت كاثرين لتراڤيس، وتقدّم ميشال ليصافحه أيضاً، فوجدت بيث نفسها تُبعَد أكثر إلى داخل الغرفة، حتى تكاد تصبح في الحديقة الخلفية.

قالت كاثرين بمرح: «كنت على وشك ألاّ تجدنا».

وأضافت بمكر: «أتينا لاصطحاب بيث إلى العشاء. هل تناولت العشاء سيد بلاك؟».

قال تراڤيس بهدوء: «تراڤيس، من فضلك. لا، لم أتناول العشاء بعد. في الواقع، كنت سأسأل بيث السؤال نفسه، وأقترح عليها إذا كانت ترغب في مرافقتي. لكن بالطبع، بما أنكما هنا...».

توقف بكياسة، وتمنت بيث لو أنها تستطيع مقاومته.

- آه! لا، لا، يجب أن تنضم إلينا.

اعترضت كاثرين بسرعة حين رأت تراڤيس يتراجع، وأضافت: «نحن نصرّ. أليس كذلك ميشال؟ حجزنا طاولة في مطعم الفندق الذي سنمكث فيه، اللاركس هل تعرفه؟ فهمت أن الطعام هناك رائع».

أومأ تراڤيس برأسه موافقاً، وتجاوزت عيناه الرماديتان الثاقبتان الزوجين لتركزا على وجه بيث المشدود، وقال بنعومة: «ربما تفضل بيث أن تكون معكما بمفردها. أنا متأكد أن هناك أشياء كثيرة لتناقشاها معاً أنتِ وبيث».

- لا، أبداً!

التفتت كاثرين، ففوجئت بملامح بيث الجافة. استدارت لتواجه تراڤيس ثانية، قائلة بمرح: «نتحدث على الهاتف لساعات كل يوم تقريباً، ونحن نودّ أن نشكرك على اهتمامك بها بشكل جيّد تلك الليلة».

إنهما يتحدثان عنها كما لو أنها فقدت بصرها، سمعها وقدرتها على

الكلام فجأة. تحرّكت بيث وقالت لتراڤيس بلطف: «بالطبع يمكنك المجيء إذا كنت لم تتناول الطعام بعد، أنا لا أرغب برؤية صديق يعاني من الجوع، في حين أن الحل سهل جداً».

التوى فم تراڤيس بابتسامة مثيرة جداً، وفكرت بيث أنه بالتأكيد وقف لساعات أمام المرآة ليتمرّن عليها كي يحصل على هذه النتيجة المدمّرة.

- إذاً، أشكركم. ولا مانع لدي.

قال ذلك بارتياح مستديراً نحو كاثرين وتابع: «ماذا لو تبعناكما بيث وأنا؟ هكذا سأوفر عليكما العودة هذه المسافة بعد انتهاء العشاء».

ابتسمت كاثرين قائلة: «حسناً! إذا كنت متأكداً...».

بادلها تراڤيس الابتسامة قائلاً: «متأكد تماماً».

أحسّت بيث بجفاف في فمها، وكان عليها أن تبتلع ريقها مرتين قبل أن تقول: «بما أن الأمر سوي الآن، ربما علينا أن ننطلق، إذ حُجزت الطاولة الساعة الثامنة».

- من غير ريب. أتعرف؟ هذه أول عطلة نهاية أسبوع لنا بمفردنا أنا وميشال، منذ أن وُلِد ابننا. والدة ميشال تعتني به...

بينما شبكت كاثرين يدها بذراع تراڤيس وراحت تثرثر أثناء سيرها في الحديقة، تسنى لميشال الوقت الكافي ليقول «آسف» لبيث قبل أن يفكّ تراڤيس ذراعه من يد كاثرين، ويفتح بوابة الحديقة للجميع ليخرجوا منها.

أدركت بيث بشدة طول قامته وعرض كتفيه عندما مرّت به، ولاحظت البنطلون الغامق والقميص البيضاء اللذين يرتديهما، واللذين يبرزان نحافة جسمه وعرض كتفيه القويتين. كما تنشقت الرائحة الزكية لعطر ما بعد الحلاقة الثمين على بشرته النظيفة، وشعرت بأن هناك عذراً لحقيقة عدم تمكنها من التنفس. إنها جاذبية جسدية تؤدي إلى الانبهار. كيث كان يملك تلك الصفة أيضاً، لكن بطريقة مختلفة عن تراڤيس، إلا أنها كانت موجودة برغم ذلك. تستسلم النساء بسهولة لمثل هؤلاء الرجال، وهذا أمر خطير. فما إن يرفع الرجل إصبعه الصغير ليشير إليها حتى يصبح هناك احتمال كبير

www.elromancia.com

لحصول كارثة في حياة المرأة المعنية. لكن هذه حقيقة لا يمكن إنكارها، وهي أن بعض الرجال يكفيهم أن يبتسموا للنساء ليسقطن كالقناني الخشبية. أما هي فلا! من المستحيل أن يحصل لها هذا الأمر ثانية.

كانت بيث مستغرقة في تفكيرها، فلم تلاحظ سيارة تراڤيس إلاّ عندما أصبحت واقفة بجانبها تقريباً، وحتى في تلك اللحظة، فإن صوت كاثرين الواضح المروّع هو الذي لفت انتباهها إلى السيارة الرياضية.

- آه! لا بد أنها كلفتك ثروة! ميشال يتوق جداً إلى امتلاك واحدة مثلها، أليس كذلك، ميشال؟

نظرت بيث إلى التصميم الجميل لسيارة آستون مارتن الأنيقة المتوقفة بجانب سيارة كاثرين وميشال العائلية الضخمة. قالت بنبرة اتهامية أثناء فتح تراڤيس الباب لها: «هذه ليست سيارتك المعتادة».

تفحّصها تراڤيس بتلك النظرة العميقة التي يبدو أنه يحتفظ بها لها. نظرة كأنها تقول: ها قد عدنا من جديد! والتي تظهر صبراً واحتمالاً كبيرين، كما فكّرت بيث بغضب.

قال بلطف: «أنا أستخدم السيارة الكبيرة عندما أحضر الكلبتين معي، وهذه عندما لا تكونان معي. نظراً لكثرة الضغط في العمل، لم أستطع المجيء إلا في وقت متأخر اليوم، وعليّ العودة غداً ظهراً. لا يستحق الأمر إحضارهما إلى هنا في حين أن مدبّرة منزلي في بريستول سوف تعتني بهما بشكل جيد».

إنه يملك سيارة مرسيدس وسيارة آستون مارتن، والبيت الذي رأته في الليلة الأولى لها هنا، بالإضافة إلى منزل آخر مع مدبّرة منزل في بريستول. كم يبلغ مدخول المصمم الصناعي هذه الأيام بحق السماء؟

انسلت بيث إلى الداخل، وانضم تراڤيس إليها مباشرة. تمنت لو أنها أصرّت على الذهاب مع كاثرين ومايكل. بالطبع كان ذلك سيجعلها تبدو سخيفة، غير شاكرة وأنانية أيضاً، نظراً إلى أنه سيعني بأن ميشال عليه أن يقود هذه المسافة كلها ليوصلها إلى الكوخ. لكن الأمر يستحق العناء، فها

هي عالقة في هذه السيارة المثيرة، وتراڤيس قريب منها جداً، وهي تكاد تشعر بالاختناق بقربه.

جلست متصلّبة كلوح خشب، في حين راح تراڤيس يحرّك السيارة القوية بخبرة ليوجّهها إلى الاتجاه الذي يقصدونه. راح قلبها يخفق بسرعة، وفي محيط بصرها أمكنها ملاحظة اليدين القويتين وهما تحرّكان المِقوَد ببراعة متناهية.

عندما بدأ يتبعان السيارة الأخرى، استقرّ تراڤيس بارتياح أكبر في مقعده، وأحسّت بيث بهذه الحركة في كل جزء من جسدها. ابتلعت ريقها، متظاهرة بالنظر إلى الخارج من النافذة.

علّق تراڤيس بهدوء قائلاً: «شقيقتك لا تشبهك كثيراً».

نظرت بيث إليه من زاوية عينها، ولاحظت أنه يستلقي إلى الخلف بارتياح كبير. الاستياء الذي أحسّت به حملها على القول بفتور: «في الواقع، الناس دائماً يقولون إن هناك شبهاً بيننا. كاثرين تكبرني ببضع سنوات فقط، وفي بعض الأحيان عندما كنا أصغر سناً كان البعض يعتقد أننا توأمان. أقرباؤنا كانوا دائماً يخطئون بيننا».

- أنا لم أقصد المظهر الخارجي.

- آه! لا؟

أحسّت بطريقة ما أنها غير مسرورة بالمقارنة. هي لا تريد أن تسأله كي لا تشبع رغبته بإغاظتها، لكنها لم تتمكن من مقاومة فضولها، فقالت: «إذاً، ما الذي تقصده تماماً؟».

هزّ كتفيه، وهو يفكّر ملياً بكلماته للحظة قبل أن يتمتم قائلاً: «إنها لطيفة، مرحة، مندفعة دائماً».

حدّقت بيث إلى فكه الأنيق القوي، فلاحظت حدوده البارزة التي توحي بالصرامة، والظل الخفيف لشعر ذقنه الداكن. لم تعرف لماذا جعل هذا معدتها تترنّح. قالت بعنف: «تجعلها تبدو مثل كلب صغير مدلل».

ابتسم ابتسامة ملتوية قائلاً: «أؤكد لك أنني لم أقصد هذا».

عرفت أنه يجب عليها ألا تسأل.... مع ذلك سمعت نفسها تقول ببعض الحذر: «إذا كنت ترى كاثرين أشبه بالكلب المدلل، فكيف تراني أنا؟».

- مختلفة تماماً.

أتراها تشعر بالدفء في صوته أم أنها تتخيل ذلك؟ لكن هذا جعلها ترتجف بأي حال. بدت ممتنة بشكل كبير لأن عليه أن يركّز على الطريق أمامه فلم يلاحظ ارتجافها. قالت مجبرة نفسها على أن تكون لطيفة: «هل يضعني هذا في خانة الكولي الرزين أم كلب الصيد؟».

رأته بيث يضحك ضحكة خافتة قبل أن يقول: «أنا لا أرغب في مقارنتك بكلب، بيث».

تسلّيته المتكاسلة أثارت إحساساً غامراً وقوياً في جسدها الخائن. أخذت نفساً طويلاً صامتاً وقالت: «لكنك معجبٌ بمرح كاثرين».

أبقت صوتها خفيفاً وكأنها لا تهتم. يجب ألاّ تهتم! أكّدت ذلك لنفسها في سرها.

- لكل شخص ميزاته الخاصة، وهذا ما يجعل العالم يسير بشكل جيد.

من غير شك! لكن لا تعتبر هذه إجابة عن تساؤلها، فاختلست نظرة إلى جانب وجهه من تحت أهدابها. جاءت ابتسامته مشدودة هذه المرّة، ما جعل بيث تدرك أنه لاحظ نظراتها إليه، فأدارت وجهها فوراً إلى الأمام.

رجل حقير! عليها أن تبقى هادئة ورابطة الجأش لتتمكن من التعامل مع تراڤيس بلاك، فلا يمكنها أن تسمح له بأن يسيطر عليها. قررت تغيير الموضوع كلياً، فقالت بتزمت: «يبدو واضحاً أنك منشغل جداً في هذه الأثناء. أنا متفاجئة لأنك قررت المجيء هذا الأسبوع».

- أحقاً أنتِ متفاجئة؟

نظرت عيناه الرماديتان إلى وجهها للحظة، قبل أن يعود ليركز على الحاجب الزجاجي أمامه.

انتظرت بيث أن يقول المزيد، وعندما لم يفعل شعرت بأنها تتوتر أكثر

فأكثر. بعد مضي بضع دقائق، قطعت الصمت المتوتر من جديد قائلة: «الحساب من بالضبط تعمل في بريستول؟».

- مؤسسات بلاك.

- مؤسسات بلاك؟! إنها صدفة، أليس كذلك، الشركة تحمل الاسم نفسه...

فجأة توقفت عن الكلام، ثم قالت: «ألديك مؤسسة خاصة؟».

بالطبع هو يملك مؤسسة خاصة به.

- أجل.

وصلا إلى الطريق الرئيسي الآن. أبعدت نظرها عنه وقالت بوهن: «هل هي مؤسسة عائلية؟ أعني، هل والدك هو من أسسها؟».

هزّ رأسه قائلاً: «لا. توفي والدي عندما كنت في العاشرة من عمري، وتزوجت والدتي ثانية عندما كنت في الثامنة عشرة. لم تكن علاقتي جيّدة مع زوجها، لكن، بما أنني ابتعدت لأتابع دروسي الجامعية، لم نضطر إلى رؤية بعضنا باستمرار. بعد ذلك بوقت قصير هاجرت أمي وزوجها إلى نيوزيلاندا وأخذا شقيقتي معهما، لكنها عادت إلى إنكلترا حالما أصبحت قادرة. آنذاك كان عملي جيداً واستطعت أن أقدّم لها وظيفة».

- إذاً، أنت اعتنيت بها؟

لم تعجبها حقيقة أن تجد هذه اللمحة عن حياته فاتنة جداً، لكنها لم تستطع تمالك نفسها عن الإعجاب به.

التوى فم تراڤيس وقال: «لو سمعتك ساندرا تقولين هذا لانزعجت كثيراً. لا، أنا لم أعتنِ بها تماماً، فنحن نشبه بعضنا، ولا نسمح لأي شخص بالقيام بهذا، لكنها فعلاً عملت لحسابي لفترة قبل أن ترحل إلى لندن. إنها الآن مسؤولة المبيعات في مصنع ألبسة كبير، وتحبّ كل لحظة من حياتها».

أومأت بيث برأسها قائلة: «تبدو مشاكسة».

- آه! فعلاً، بيث. إنها مشاكسة جداً.

www.elromancia.com

قال ذلك بشكل متحفّظ، مضيفاً: «وامرأة عاملة تماماً».

في المرّة السابقة، أخذت بيث انطباعاً بأنه لا يحبذ طريقة عيش شقيقته، وأصبح هذا الانطباع أقوى الآن. هل حقيقة أن شقيقته تنافس في مكان ما زال يسيطر عليه الرجال، هو ما يزعجه؟ هل هو من نوع الرجال الذين يحبّون أن تعرف نساؤهم مكانها فلا تتجاوزه؟ بالتأكيد هي، كمهندسة، لن تناسبه.

ربما لهذا السبب لم يولع بها كامرأة؟ أدارت رأسها لتنظر خارج النافذة.

لم تدرك كم أزعجها تعبيره في المرة الأخيرة التي تقابلا فيها، إلاّ الآن في هذه اللحظة. سوف تقبل بهذه الحقيقة حتى لو كان من المزعج أن تعترف بها لنفسها. آه، كم يبدو الأمر سخيفاً! فرأيه فيها لا يهمها.

– التحدث معكِ أشبه بالمشي معصوب العينين في حقل ألغام.

جاء صوت تراڤيس ناعماً، وللحظة لم تفهم بيث كلامه جيداً. وبعد أن استوعبته، التقت عيناها بعينيه. توقفا فجأة خلف كاثرين وميشال عند إشارة سير، مما يعني أنه سيعطيها كامل اهتمامه، مركزاً عينيه الرماديتين عليها كأشعة الليزر.

قالت بيث بحدّة: «ليس لديّ أدنى فكرة عمّا تتكلم».

ارتفع حاجباه الأسودان وقال بتهكم: «أنا أتكلم عن الطريقة التي كنت تنظرين فيها بعبوس خارج النافذة منذ لحظات».

عدّلت نظرتها، لكن بعد فوات الأوان، أجابته قائلة: «لست عابسة».

قال بلطف: «لا أحب أن أكون فظاً، لكن ما الذي تعترضين عليه تحديداً؟».

صرّت بيث بأسنانها غضباً، وراوغت بنصف الحقيقة قائلة بحدة: «أنا لا أفهم لما تعترض على اتباع شقيقتك طريقتها الخاصّة في العيش، أو رغبتها في إيجاد وظيفة. برغم كل شيء، إنه القرن الحادي والعشرون».

– أنا لا أمانع.

بدا متفاجئاً لأنها فكّرت بذلك، وتابع قائلاً: «إلا أنها أجهدت نفسها في العمل كثيراً إلى أن انهارت مرتين في الأشهر الثمانية عشرة الماضية. ولا أريد أن يكون هناك مرة ثالثة».

– آه!

أسندت بيث ظهرها، وقد شعرت بالارتباك إلى حد ما. ثم استجمعت قواها قائلة: «لكن هذه حياتها وإذا كانت هي سعيدة...».

– إنها ليست سعيدة.

قاطعها تراڤيس، وفي هذه الأثناء تغيّرت الإشارة الضوئية، واستدار ليركز على الطريق أمامه متابعاً: «ارتكبت غلطة كبيرة وهي التخلص من حب حياتها قبل أن تغادر إلى لندن، معتقدة أنه لا يمكنها المحافظة عليه وعلى وظيفتها التي ترغب فيها في الوقت نفسه. لكنها كانت مخطئة، إذ كان يمكنها الحصول على الاثنين معاً. كان عليها أن تعمل بجهد أكبر للحصول على ذلك».

فجأة أحسّت بيث بأسف شديد على ساندرا، فقالت: «هذا أمر فظيع!».

– إنه أمر فظيع بالنسبة إلى الرجل المعنيّ أيضاً، وهو صديق لي.

لا تدرك بيث كم تملك من صفات مشتركة مع شقيقتها كاثرين، لكنها تعرف أن شقيقتها ستكون فخورة بها إذا أمكنها سماعها الآن وهي تقول: «في هذه الحالة، ألا يمكنك أن تعيدهما إلى بعضهما؟ حاول أن تجمعهما من جديد».

هزّ تراڤيس رأسه عجباً: «أخذت ساندرا وقتاً طويلاً لتعود إلى رشدها، وفي ذلك الوقت كان كولن قد تزوج بامرأة أخرى».

ذُعِرَت بيث قائلة: «لكن إذا كانت ساندرا هي حبّ حياته...».

– أنا قلت إنه هو كان حبّ حياتها... هنالك فرق.

قال تراڤيس بنعومة مضيفاً: «لا أدري ما كان شعور كولن في النهاية.

www.elromancia.com

ربما ساندرا هي واحدة من النساء اللواتي يشعر بالسعادة معهن، وربما زوجته هي حبّ حياته. لا أدري، لم نناقش هذا أبداً».

- إذاً...؟

هنا فكرت بيث بحالتها هي، إنها تتلمّس طريقها في الظلام. سألته قائلة: «هل تعتقد أن الناس يمكن أن يلتقوا بأشخاص آخرين، ويكونوا سعداء معهم، مع أن هناك شخصاً واحداً هو حبّ حياتهم؟».

- تماماً.

بدا صوته هادئاً، ولم ينظر إليها عندما تابع قائلاً: «وتكونين محظوظة جداً إذا وجدتهم، فقلائل هم من يفعلون. والحظ يكون أكبر إذا بادلوك الحب بالطريقة نفسها، فهذا يحدث لكنه نادر جداً».

قالت بيث: «هذا يعني أن بعض الأشخاص لا يعيشون سعادة حقيقية أبداً، أو على الأقل ليسوا سعداء كما يجب أن يكونوا».

- لهذا السبب يحدث الطلاق. لا تنسي أن ملايين الأزواج يعيشون معاً لسنوات ثم ينفصلون. كم من أصدقائك هم في علاقتهم الجديّة الثانية، أو الثالثة أو حتى الرابعة؟ كلهم يبحثون عن ذلك الشيء المحيّر الذي يعرفون أنه موجود، لكن هناك فرصة ضئيلة في إيجاده.

بدت بيث مرتعبة. ما من شك أنه يعني كل كلمة قالها. بعد لحظة أو لحظتين قالت: «إذاً، العالم هو مكان حزين بالنسبة لك».

صحّح لها بهدوء قائلاً: «العالم يمكن أن يكون مكاناً حزيناً إذا ارتبطتِ بالشخص الخاطىء، وإذا لم تميزي الشخص المناسب أو لم يبادلكِ الآخر الشعور نفسه. لكن بالنسبة لأولئك الذين يصيبون الشخص المناسب، فحياتهم تكون بمثابة الجنّة على الأرض. والداي أحبا بعضهما بهذه الطريقة، وعندما توفي والدي تزوجت أمي من جديد. ربما شعرت بالوحدة أو الخوف من أن تصبح عجوزاً وحيدة، لا أدري... لكن من المؤكد أن وضعها كان أفضل لو أنها بقيت وحيدة. إنها غير سعيدة بزواجها هذا».

قالت ببطء: «إذاً، إن لم تقابل حبّ حياتك، ستبقى وحيداً إلى الأبد؟».

سألها بلطف: «وما أدراكِ أنني لم أجدها؟».

- لأنك عندئذٍ ستكون متزوجاً، وأنت لست متزوج، أليس كذلك؟

- لا، لست متزوجاً.

ابتسم مضيفاً: «لكن السبب يعود إلى أنها لا تبادلني الشعور نفسه».

شعرت بيث كأن أحدهم ضربها على معدتها. لماذا عليها أن تهتم إن كان تراڤيس يحب شخصاً بجنون، ويعتبر أنه حبّ حياته، وهذا الشخص ما زال يحتلّ قلبه، كما يبدو؟

هي لا تهتم! أخبرت نفسها بعد لحظة. هو ليس اهتماماً شخصياً بأي حال. هي فقط تشعر بالأسف عليه، كما ستشعر بالأسف على أي شخص في مثل هذا الوضع.

تنحنحت قائلة بهدوء: «أنا آسفة».

هزّ تراڤيس كتفيه، وبعد قليل سألها بلطف: «هل الرجل الذي كان زوجكِ هو حبّ حياتك، بيث؟ ألهذا السبب تزوجته؟».

- ماذا؟

أدارت رأسها لتنظر إليه بسرعة كبيرة إلى درجة جعلت رقبتها تتشنج.

أصرّ بلطف مكرراً: «زوجكِ، هل كان حبّ حياتك؟».

أرادت أن تقول له بألاّ يتدخّل بما لا يعنيه، لكن بعد أن بدا منفتحاً معها، لم تستطع قول ذلك. استدار للحظة، والتقى نظره بنظرها قبل أن يعود فينظر إلى الطريق أمامه. زاد من سرعة السيارة، فراحت تلتهم الأميال بسهولة وبدأ عقل بيث يدور، في محاولة لإيجاد إجابة. كيف يمكنها الإجابة عن مثل هذا السؤال؟ أحسّت بأن عالمها انهار أمامها حين سمعت ما قالته آنا ذلك اليوم، وأخذت على نفسها عهداً بألاّ تثق بأي شخص من جنس الرجال من جديد، لكن... ما إن توقف عقلها عن ذعره حتى اتسعت عيناها.

www.elromancia.com

ابتلعت ريقها بصعوبة وقالت بعد مضي دقيقة كاملة: «لا أدري. لا أعرف إذا كان كيث هو حبّ حياتي».

قال تراڤيس بهدوء بعد نظرة سريعة عليها: «ألا تعرفين؟ هل هذه حقيقة أم هي طريقة لتقولي لي بأن أخرس؟».

قالت بصوت مرتعش: «هذه هي الحقيقة. كيف لي أن أعرف ذلك؟».

- إذاً، هو ليس حب حياتك.

جاء صوته واضحاً جداً، جازماً جداً، إلى حد جعل بيث تثور فجأة وتعترض بحدة قائلة: «لا يمكنك قول هذا. أنت لا تعرف كيف شعرت، وكيف أشعر».

- هذا صحيح. لكن ما أعرفه فعلاً هو، لو أنه ذاك الشخص لكنت عرفتِ الآن.

لم تصدّق بيث ما تسمعه! كيف يتجرأ على اتخاذ قرار عنها؟ قالت بعنف: «أنا لا أقبل بهذا».

- هل هناك جرح غير ملتئم تعرفين أنه لن يشفى إلاّ إذا عدت إلى ذلك الرجل؟

بدا صوته واقعياً وبارداً. تابع قائلاً: «أهناك شيء ما تقنعين نفسك بأن عليك تعلّم العيش معه، لكنه يعذبك مثل الجحيم كل دقيقة؟».

لا يمكنها أن تقول إن هناك شيئاً ما من هذا القبيل، لكنها لن تعطيه ذخيرة قوية لمناقشته باعترافها بذلك. فقالت: «أنا لست مستعدة لمناقشة الأمر أكثر».

- هذه إجابة بحدّ ذاتها، وهي تبرهن أنني محق.

قال ذلك بطريقة اعتبرتها بيث غطرسة هائلة. ثم تابع قائلاً: «ويجب أن تعتبري نفسك محظوظة. فمن القليل الذي أخبرتني عنه، يبدو أن زوجك السابق هو بصراحة أحمق، ولا يستحق مجرد التفكير به. ليس عليك التحمل بعد الآن، فأنتِ تحررت منه».

حدّقت إليه وقالت بأكثر ما تستطيع تجميعه من ازدراء: «لا أعتقد أنني

قابلت رجلاً عنيداً مثلك. أنتَ حقاً تحصل على ما تريد في النهاية».

كل ما حصلت عليه كإجابة هو ابتسامة.

- إذا أخذنا بعين الاعتبار الحديث الذي دار بيننا، أعتبر نفسي محظوظاً لأن هذا أكثر ما نعتني به.

قال ذلك بمرح، وأدار رأسه ليواجهها فالتقى نظرها بنظره، ورأت بيث التسلية الحقيقية هناك.

نظراتهما المتبادلة أصبحت أكثر عمقاً وثباتاً. وجدت بيث نفسها غير قادرة على تحويل نظرها، ولم تستطع أن تفهم لماذا، لكن راح كل وتر من أعصابها يضج بالحياة والحرارة، كما بدأت تحسّ بوخز خفيف في جسدها بأكمله. لم يعد تراڤيس يبتسم، ولم تستطع تسمية التعبير الذي ارتسم على وجهه.

لا تعرف بيث كم استمرت هذه الفترة، ربما مرت ثوانٍ أو ربما ساعات بالطريقة التي تشعر فيها، لكن عندما فُتِحَت الطريق أمامهما، أدار تراڤيس رأسه، وكسر جمود اللحظة ليتقدم بالسيّارة القوية إلى الأمام.

اكتشفت أنها تحبس أنفاسها، فأجبرت نفسها على تعديل تنفّسها وإرخاء يديها اللتين كانتا - من دون أن تدري - تلتفّان بشكل قبضتين في حجرها.

إنه خطر كالديناميت، وهي لا تحبّ الاقتراب من الألعاب النارية. أنت بيث بصمت في داخلها. لكن، بصرف النظر عن انجذابها الجسدي إليه، إذ هذا ما هو عليه الأمر، مجرد انجذاب جسدي، فإن تراڤيس ليس مولعاً بها. لذا إنها بأمان، رقصة التانغو تحتاج إلى شخصين!

استمرّت بالتنفس بهدوء وبعمق، وخلال ثوانٍ قليلة عاد جسدها يتصرف بطريقة طبيعية. لكن على الرغم من أنها تجلس مستقيمة، شعرت بأنها لينة كخرقة مبتلة. إنه أمر سخيف! تلك النظرة الوحيدة جعلت مشاعرها تضطرب بقوة.

أرجوك، يا إلهي، لا تدعه يعرف أنني مولعة به! راحت تصلّي بحرارة

طوال المسافة المتبقية من الرحلة. سوف تموت خجلاً إذا عرف. ستموت حقاً، إذ ما زال أمامها خمسة أشهر أو أكثر تمضيها في الكوخ. صحيح أنه يزور منزله الثاني في شروبشير بين الحين والآخر، إلا أنها ستشعر بالإحباط والتوتر إذا فكرت بتجنبه. سوف تعيش في توتر وقلق طيلة فترة نهاية الأسبوع، منتظرة لتعرف إذا ما كان في الجوار أم لا.

بعد وقت قصير، عندما تبع تراڤيس ميشال وكاثرين إلى موقف السيارات، التابع لذلك الفندق الريفي الجميل، أدركت بيث أنهما وصلا. لم تعرف إن كان عليها أن تشعر بالارتياح أم لا، لكن الأمر الجيد هو أنها سوف تخرج من حميمية السيارة، وتنضم إلى كاثرين وميشال، مع أنها كانت قلقة لكيفية تصرف شقيقتها خلال السهرة. تبدو كاثرين مصممة على ارتباطها بتراڤيس، فقط لأنه ساعدها في تلك الليلة.

- أنتِ متوترة!

عندما أوقف تراڤيس السيارة، مدّ يده ووضعها على يديها. تابع قائلاً: «حسناً! أنا أعرف ما المشكلة. تعتزمين البقاء متحصنة بثبات شديد في ذاك البرج العاجيّ الذي بنيته حول نفسكِ، فتطردين من يحاول اجتياحه. وهذا حسن إذا كان ذلك ما تريدينه».

توقف عن الكلام قليلاً، ثم أضاف: «هل هذا ما تريدينه، بيث؟».

نظرت بيث إلى وجهه الداكن. في الواقع، هي لا تعرف ما تريد، فهي لم تشعر بأنها مشوشة هكذا في حياتها. وهذا كله بسببه، هو ونظرياته المتقلّبة. تمنّت لو أنها لم تقابل تراڤيس بلاك أبداً.

- أنتِ تعبسين من جديد!

قال ذلك ببرودة، وكأنه لا يهتم للأمر، لكنه لم يبعد يده عن يديها.

لماذا يهتم لما تريده هي؟ سألت بيث نفسها، فهي حتى لم تؤثر به حسياً ناهيك عن الناحية العاطفية. في المقابل فإن إحساسها بيده فوق يديها، جعلها تشعر بجسده الدافىء القوي. ما جعل قلبها ينبض بقوة. لكن من ناحية ثانية، كل شيء سار هذا المساء بطريقة خاطئة.

ترافقت هذه الفكرة مع إحساس دافىء سرى في جسدها، إحساس كافٍ ليجعلها تنفض يديها من تحت يده، وتقول بحزم: «ماذا تتوقع مني أن أفعل عندما تتفوه بمثل هذه العبارات السخيفة؟ أنا لست أعيش في برج عاجيّ، لقد عدت إلى هذا العالم من جديد، لكنني أعيش حسب شروطي، وأعتزم أن أستمر في ذلك، فأنا أملك عقلاً وأعتزم استعماله».

- أنا سعيد لسماعي هذا.

عاد تراڤيس واستند إلى مقعده، ثم تفحّصها بعينين ثاقبتين مضيفاً: «فأنا أقدر المواقف الإيجابية».

نظرت بيث إليه، ولمحت نظرة على وجهه لم تستطع فهمها تماماً.

- إذاً، ما هي هذه الشروط؟

سألها مباشرة عندما ترجل ميشال وكاثرين من سيارتهما وبدآ يمشيان نحوهما. وقبل أن تتمكن من الإجابة، أنزل زجاج نافذة السيارة، وقال لشقيقتها، التي توقفت بجانب بابه: «لن نتأخر، ادخلا وستنضم إليكما خلال لحظات».

- آه، حسناً!

الآن ستفسر شقيقتها الأمور على هواها، وتقفز إلى استنتاجات خاطئة كلياً.

- إذاً؟

استدار تراڤيس ونظر إليها ثانية، مضيفاً: «أهي تتعلق بقوانين الارتباط؟ اشرحي دون تحفّظ، بيث».

تنشّقت الهواء الدافىء اللذيذ الممزوج برائحة عطره الفاخر، وكررت لنفسها بصمت أنه ما كان عليها أن تركب السيّارة معه أبداً. هزّت كتفيها بلا مبالاة قدر إمكانها وقالت: «لماذا عليك أن تعرف؟».

جاء صوتها لاهثاً إلى حد ما، ما جعلها تشعر بشيء من الانزعاج. أضافت بحزم أكثر: «قلت إنك لا ترغب بي، وإنك فقط تريد أن نكون أصدقاء. لذا فإن قوانين الارتباط، كما تسميها، لا تهمك بالتأكيد؟».

www.elromancia.com

قال دون أن ترمش عيناه الرماديتان: «آه! لكنني كذبت، بيث».

- ماذا؟

حدّقت إليه متفاجئة تماماً.

- كذبت!

ظهرت ابتسامة صغيرة على فم تراڤيس، وأدركت بيث أنها تنظر إليه وقد فغرت فاها، وأنها تبدو حمقاء.

ردّت بحدّة قائلة: «لكن لماذا؟».

قال بهدوء: «عندما أخذتك من منزلك في المرة الأولى بدوت لي مذعورة، ولم تعجبني الفكرة مطلقاً. لقد بدأنا بطريقة خاطئة، أنا أعرف هذا، لكن انصرافك إلى التسكّع لساعات مع هارڤي لتتجنبي رؤيتي يبدو مفقداً للأمل. على أي حال، أنا لم أكذب كلياً».

سألته بحذر: «ماذا تعني؟».

- قلت إنني أجدكِ شخصاً جديراً بالاهتمام، وهذا صحيح.

انحنى إلى الأمام فتجاوب معه كل وتر في جسدها، وأضاف: «أنا لست مراهقاً طائشاً فكرته الوحيدة عن العلاقة هي اكتشاف أشياء تافهة. لطالما أقمت علاقات مع نساء وأنا لا أنكر هذا، وأكون كاذباً إذا قلت لكِ إنني لا أشعر بالانجذاب نحوك. لا أطلب منك شيئاً الآن، ليس قبل أن تكوني جاهزة. أود أن أتعرف إليكِ، وأن تتعرفي إليّ، وعندها... إذا أردت أن تتطوّر الأمور...».

- وإذا كنت لا أريد؟

كانت ترتجف بشدّة وعرفت أنه يمكنه ملاحظة ذلك. أضافت قائلة: «ماذا يحدث عندئذٍ؟».

أجابها دون أن يطرف له جفن: «عندها نودع بعضنا ونفترق».

مرّرت يدها المرتجفة على وجهها، وقالت: «أنا... أنا لست جاهزة لإقامة علاقة، مهما كنت متمهلاً في ذلك. هذا أمر مبكر جداً بعد... كل ما حصل».

عدّل تراڤيس وضعية جلوسه قليلاً أثناء كلامها، وعرفت أنه سيعانقها.

تغيّر شيء ما في اللحظة الأخيرة. شيء يتعذر تحديده، لكنه برغم ذلك قوي جداً. حدّقت إلى عينيه الرماديتين الغامضتين فانحنى تراڤيس وعانقها. لكن عناقه هذه المرة جاء مختلفاً، فقد بدا أكثر دفئاً وحرارة. لم يتحرّك ليغمرها أو ليقرّبها منه، إنه لا يحتاج إلى ذلك، إذ سبق واندفع انفعال متّقد في كل عرق من عروقها فشعرت بأنها مخدرة تماماً بسحره.

عرفت أن هذا ما سيكون عليه عناقه. ترسخت هذه المعرفة لديها منذ اليوم الأول الذي قابلته فيه.

بعد لحظة رفع تراڤيس رأسه، وتراجع إلى مقعده، تاركاً بيث مجرّدة من الإحساس للحظة، حتى إنها اقتربت منه من دون وعي. حدّقت إليه وهي ما تزال غارقة تماماً في غمرة الأحاسيس التي جعلها تشعر بها.

لم يستطع كيث أن يثير فيها مثل ردة الفعل الجسدية هذه، حتى في بداية علاقتهما حين كانت تعتقد أنه هو أول شخص وآخر شخص تنجذب إليه. بدا لها ذلك مخيفاً، مخيفاً جداً. لكنه منعش ومثير أيضاً. لم تعرف بيث من قبل أنه يمكنها أن تشعر بهذه الحيوية المطلقة.

- أنا أريدكِ، بيث.

قال تراڤيس ذلك ببرودة لافتة، وأضاف: «لكن كما قلت، أنا لست مستعجلاً. فحتى الآن لم أقم علاقة مع امرأة لم تكن جاهزة تماماً، عقلاً وجسداً. ولن أبدأ بذلك معكِ. هذا وعدٌ، حسناً؟».

أومأت بيث برأسها بعجزٍ، غير قادرة على الكلام.

- إذاً، لدينا موعد محدد. نرى بعضنا عندما أكون هنا، مجرد لقاءات لطيفة. مع الوقت أنت ستعرفين أشياء عني وأنا كذلك. قد يعجبنا ما نكتشفه، وقد لا يعجبنا.

ركّز نظره على وجهها قائلاً بتكاسل: «سيكون صيفاً ممتعاً».

www.elromancia.com

٦ - إنطلاق أم جنون؟

بدت كاثرين مشرقة العينين ذات نظرات فضولية عندما دخلا إلى مطعم الفندق بعد بضع ثوانٍ. راح نظرها يتحرك بحدّة على شقيقتها، فيما حاولت بيث تجاهل السؤال الصامت في عيني كاثرين، والانضمام إلى الحديث القصير الذي يتشارك فيه تراڤيس معهم، لكن بدا ذلك صعباً.

تلعثمت وتأتأت خلال مشاركتها في المحادثة التي حافظ تراڤيس على سيرها بسهولة، حيث تحوّل إلى رفيق عشاء ساحر. لكنها ارتاحت عندما ظهر النادل بجانب ميشال، وأعلمهم أن طاولتهم في المطعم أصبحت جاهزة.

بعد أن اختاروا ما سيطلبونه من لائحة الطعام، لم تنتظر كاثرين سوى لحظات لتقول: «أنا سأدخل إلى المرحاض. أتأتين، بيث؟».

حدّقت بيث إلى شقيقتها مفكرة أنه آخر شيء ترغب بفعله الآن، لكن إذا لم تذهب مع كاثرين الآن، وتُشبع فضولها الواضح، سوف تجرها إلى هناك لاحقاً. لذا من الأفضل أن تنتهي من هذا الأمر.

حالما دخلتا إلى مرحاض السيدات، لم تجد كاثرين في فضولها أمراً محرجاً، فالمراوغة لم تكن من صفاتها شقيقتها أبداً. بدت متلهفة جداً، فسألت: «حسناً! ماذا يقدّم؟».

قالت بيث بحذر: «ما الذي تعنينه بقولك هذا؟».

قالت كاثرين بمرح: «كان يُمسِك يدك، وذلك يظهر بأن حديثاً جدياً دار بينكما في السيارة. لا تقولي لي إنكما كنتما تناقشان حالة الطقس».

تحب بيث شقيقتها... هي فعلاً تحبّها. لكن في هذه اللحظة بالذات

تمنّت لو أن كاثرين بعيدة عنها آلاف الأميال. كيف تستطيع شرح ما لا تفهمه هي نفسها؟ أخذت نفساً عميقاً، وأعلنت: «سوف نكون أصدقاء فقط. أنا أعني هذا، كاثرين. اتفقنا أن نرى بعضنا من وقتٍ لآخر، عندما يكون تراڤيس هنا، لكن بشكل غير رسمي».

ابتسمت كاثرين بابتهاج قائلة: «لكنكِ وافقت على رؤيته، أليس كذلك؟».

- هذا ما قلته للتو، أليس كذلك؟

قالت كاثرين ذلك بصوت خفيض كصوت الهرّة: «أظنه وقع في الشرك».

عبست بيث محذرة شقيقتها: كاثرين! ليس الأمر كما تظنين. اسمعي... سبق وأخبرني أنه يحب امرأة لا تبادله الشعور نفسه، وأنه لا يستطيع التغلب على مشاعره».

- هل قال ذلك؟

تغيّر وجه كاثرين وتابعت: «أحقاً؟».

حسناً! عملياً قال تراڤيس ذلك. أومأت بيث برأسها، وقالت: «لذا لا جدوى من تعليق آمال عليه، وأنتِ تعرفين شعوري تجاه القيام بتعهد. ما من جديد أبداً».

- ماذا لو استطاع أحدهم تغيير رأيكِ؟ أنا أراهن على تراڤيس.

- سوف تخسرين الرهان، كاث، حتى آخر سنت. أنا لا أمانع بأن نتواعد بشكل غير رسمي، لكن هذا كل ما سيكون عليه الأمر.

نظرتا إلى بعضهما للحظة، ثم تنهدت كاثرين بخيبة أمل، قائلة: «حسناً! سأصدقك، الآن فقط».

قالت بيث باستياء: «هذا أمر جيد».

جعّدت كاثرين أنفها قائلة بمكر: «إنه رائع، بيث! ويمكنني أن أؤكد أنك مولعة به، أليس كذلك؟».

أضافت حين لم تجب بيث: «هذا أمر واضح كوضوح الأنف في

www.elromancia.com

وجهك».

سحبت بيث أحمر الشفاه من حقيبتها، وتظاهرت أنها تركز على تصحيح تبرجها قبل أن تقول: «بالطبع أنا مولعة به، من لا يود ذلك؟ لكنني لست من نوع النساء اللواتي يقبلن بالعلاقات العابرة».

أملت بيث بأن تصدم شقيقتها حتى تتركها وشأنها، لكنها فشلت، إذ قالت كاثرين بنبرة متزنة: «حياتك لم تكن عادية لأشهر طويلة. أنا لا أدّعي بأنني أعرف كيف كنت تشعرين خلال تلك الفترة، لاسيما مع رحيل والدي ووالدتي، لكن أعتقد أنه الوقت المناسب لتحصلي على المرح. أنت في الثلاثين بيث ولست في الثمانين. ما زالت أمامك الفرص لتلتقي بشخص لطيف وجيد في المستقبل، وربما تستقرين وتنشئين عائلة، أما الآن كوني مجنونة بيث، اخرجي عن شخصيتك، كوني...».

أعلنت بيث بنبرة جافة: «طائشة وغير مسؤولة».

ابتسمت كاثرين قائلة: «كنت سأقول عابثة. لكن طائشة وغير مسؤولة صفتان لا تضيران أيضاً. وبرأيي أن تراڤيس سيكون بداية رائعة لطريقة العيش تلك. لا بد أنه رفيق رائع».

أنهت كاثرين كلامها بطريقة حالمة على غير عادتها.

بالكاد تمكنت بيث من التصديق بأن هذه كاثرين تتكلم. على الرغم من انفتاحها على الآخرين وشخصيتها المحببة، تأخذ شقيقتها دائماً الجانب المتزمت.

لا بد أن وجهها أظهر ما تفكر به، لأن كاثرين اقتربت منها بعد لحظة وعانقتها. وظهر الضحك في صوتها حين قالت: «انطلقي في هذا، يا فتاة. هذه نصيحتي، تمتعي بصيف تتذكرينه دائماً».

- تراڤيس قال شيئاً مماثلاً أيضاً.

توقفت كاثرين عن الضحك، وأخذت وجه شقيقتها بكلتا يديها. بدت الرقة في عينيها عندما قالت: «لا تسمحي لكيث بأن يدمّر يوماً آخر، أو ساعة أخرى، أو لحظة أخرى، نيدي. هو لا يستحق هذا أبداً».

- أعرف ذلك.

تأثرت بيث بالحب الذي يسطع من وجه شقيقتها، لكن كيف يمكنها أن تشرح لها أن شيئاً ما فُقِدَ منها عندما اكتشفت أن الرجل الذي تزوجته مخادع؟ كانت كاثرين وميشال سعيدين جداً وهي مسرورة لذلك، بل أكثر من مسرورة، لكن بما أن شقيقتها قالت ما قالته، فذلك يعني أنها لا تعرف حقيقة شعورها. على أي حال، شعرت بالامتنان لأن كاثرين ما زالت متفائلة بشأنها.

عندما اختفت كاثرين في أحد مهاجع المرحاض، نظرت بيث إلى صورتها في المرآة. حدّقت إليها عينان كئيبتان، فشعرت فجأة بأنها لا تحتمل نفسها.

حسناً! ربما لن تستطيع الوثوق برجل من جديد، وبالتأكيد ما زال احتمال الاستقرار يوماً ما وإنشاء عائلة - كما اقترحت كاثرين - غير وارد، لكن هذا لا يعني أن عليها قضاء بقية حياتها دون رفقة رجل. فالحياة ما زالت أمامها، ويمكنها أن تعيشها كما ترغب. ما من شيء تخسره. لا شيء على الإطلاق.

أومأت برأسها لصورتها المنعكسة في المرآة، وأحسّت بأنها أكثر ارتياحاً مما كانت عليه من قبل.

ما إن انضمت إليها كاثرين من جديد، قالت لها بمرح: «حسناً! شقيقتي الكبرى، سآخذ بنصيحتك هذه المرّة. وسنرى إلى أين نصل، ما رأيك؟».

أبعدتها كاثرين برفق عن الطريق، ونظرت إلى المرآة، ثم عدّلت وقفتها، وقالت حين استدارت لتنظر إلى بيث: «جيّد جداً! في الواقع، أعتقد أنه جيّد إلى أبعد حد».

ثم تأبطت ذراع شقيقتها، وغادرتا المرحاض.

شعرت بيث بالخجل عندما جلست هي وكاثرين إلى الطاولة، كما لو أن الرجلين كانا يستمعان إلى محادثتهما. ما هي إلاّ لحظات، حتى راح

www.elromancia.com

تراڤيس يُضحك الجميع. بدا تصرفه عفوياً ومرتاحاً كما لو أنه يعرف كاثرين وميشال منذ سنوات لا منذ ساعة أو أكثر قليلاً. هذا الأمر هيّأ مزاجها للسهرة، فقد أصبحت الأمسية ممتعة بشكل كبير. وجدت بيث نفسها تضحك بارتياح لأول مرة منذ انتهاء زواجها. في الواقع، منذ مدة أطول من ذلك حتى، لأن كيث لم يكن يملك حس الفكاهة، في حين أن تراڤيس بارع ومسلٍ.

كانت الوجبة لذيذة جداً، أما فترة شرب القهوة فقد امتدت لفترة طويلة، على الرغم من أن بيث راحت تزعجهم بوجوب الرحيل. أصبح قلبها في فمها في آخر لحظة، لمجرد تفكيرها بأنها ستكون وحدها مع تراڤيس من جديد.

تراڤيس مختلف عن أي رجل آخر قابلته، هذه هي المشكلة. هذا ما قالته بيث لنفسها بعد أن ودّعا كاثرين وميشال، وخرجا إلى سيارته.

ليس لأنه جذاب بشكل جامح - برغم كونه كذلك - أو لأنه يسيطر على نفسه وعلى كل من حوله تماماً، برغم كونه كذلك أيضاً، أو حتى لأن مظهره، وشخصيته، وكل ما فيه يرشح سحراً مميتاً، بل هو الجانب الآخر منه... ذلك الرجل الحنون، المهتم الذي لمحته مرّات قليلة حتى الآن هو الذي يفرض عليها الانجذاب نحوه. ربما تراڤيس هو مزيج من تلك الأشياء كلها. هي لا تعرف أبداً، لكنها تعرف أنها ترغب في رؤيته عندما يكون في هذا الجزء من العالم، رغم أن ذلك جنون في نظرها.

- هل تمتعت بالسهرة؟

جاء صوته متكاسلاً أثناء فتحه باب السيارة لها وانسلالها إلى الداخل قبل أن تقول: «أجل، إنه أمر مفرح رؤية كاثرين وميشال من جديد».

رغم أنها تعرف أن ليس هذا ما يعنيه بسؤاله بالتحديد.

- وأنا؟

عندما انضم إليها في السيارة، سرت في عروقها ارتعاشات لشيء ما دافىء وغير سار البتة. أضاف تراڤيس: «هل من المفرح رؤيتي ثانية؟».

إنه يسخر منها. استطاعت رؤية الومضة الشيطانية في عينيه الرماديتين حتى وإن لم يكن يبتسم. ولسوء حظها، أنها عندما راحت تراقبه وهو يدخل السيارة، تراءت لها صور عن عناقهما السابق شوّشت تفكيرها، واكتشفت بيث أنها لا تستطيع العودة إلى الوراء.

قالت بصوت مرتعش قليلاً: «أمضينا سهرة لطيفة، أليس كذلك؟».

- آه! أجل، بيث.

قال ذلك بنبرة رزينة متابعاً: «أمضينا أمسية رائعة. آمل أن تكون الأولى من بين سهرات عديدة».

تنهدت بيث وهي تفكر أن قربه منها حقيقة موجعة، فالوهم يلتقي مع الحقيقة فيما هي جالسة هنا معه في موقف السيارات المظلل.

عاد تراڤيس يقول: «لكن هناك بعض الأشياء التي لم تكن كما أشتهي».

نظر إليها بتكاسل وبدا صوته عميقاً.

إن لم ترغب بأن يعانقها، فليس عليها أن تسأل ما هي هذه الأشياء. بيث تعرف ذلك، فالنظرة المرتسمة على الوجه الداكن أخبرتها بذلك. قالت بصوت ضعيف: «ما هي هذه الأشياء؟».

- الأول هو أن هناك عدداً كبيراً من الناس حولنا.

رفع يده ولاطف جانب وجهها المتورد متابعاً: «وهذا ما أدّى إلى الشيء الثاني، أعني أنني لم أستطع القيام بهذا».

جاء عناقه طويلاً ومرضياً بشكل عميق. تساءلت بيث إن كان يعرف أن عناقه يثير فيها مشاعر تهز كل خلية من خلايا جسمها. أتراه يثير مثل هذه المشاعر في كل امرأة يعانقها؟ على الأرجح أن هذا ما يحصل. توقفت عن التفكير واستسلمت للمشاعر الغنية التي يخلقها عناقه في كيانها.

بدا شعرها غير مرتب ومنفوش عندما عاد تراڤيس واستقر في مقعده، أما بيث فشعرت أنها مفعمة بالحيوية من رأسها حتى أخمص قدميها.

جاء صوته عميقاً حين قال: «تفوح منك رائحة شراب الشوكولا بالنعناع».

www.elromancia.com

ثم أدار المحرّك من دون أن ينظر إليها. وناسبها ذلك تماماً، فهي بحاجة لكل ثانية تستطيع الحصول عليها لكي تستعيد هدوءها. ارتاحت وبدا صوتها طبيعياً إلى حد ما، ومختلفاً كلياً عمّا تشعر به في داخلها عندما أجابته بنبرة حاسمة: «أنتَ أصريت على أن أتناول شراب النعناع بالشوكولا، أتذكر؟ أنا كنت أنوي الاكتفاء بالقهوة فقط».

- آه! أنا لا أتذمّر.

تقدّمت السيارة القوية ببطء من الموقف إلى الطريق برشاقة هرّة كبيرة. أضاف تراڤيس قائلاً: «في الواقع، ذكريني بأن أتنشق رائحة هذا الشراب بهذه الطريقة دائماً».

منحها ابتسامة بطيئة قبل أن ينظر إلى الطريق أمامه. تابعا طريقهما بصمت ومع كل ميل راحت بيث تستجوب نفسها. عناق تراڤيس جعلها تدرك بأن هناك الكثير مما فاتها في العلاقة بين شخصين، وأن هناك مشاعر لم تعرفها من قبل، فبالتأكيد لم يجعلها كيث تشعر بعشر الأحاسيس التي أثارها فيها تراڤيس.

جعلها تشعر أنها سريعة التأثر، وهي وعدت نفسها بأنها لن تتأثر بأي رجل كي لا تكون معرضة للسقوط من جديد.

لكنها ليست كذلك... أخبرت نفسها بذلك بسرعة. بأي حال هي لن تسمح لأي رجل بأن يقوم بأذيتها بشدة من جديد. وما تشعر به تجاه تراڤيس هو مجرد انجذاب جسدي فقط، وهو في حدّ ذاته لا يقارن مع التدمير الذي عانت منه عندما انتهى زواجها بشكل كارثي.

بدت السماء بلون أسود مخمليّ منقّطة بالنجوم أثناء سيرهما في ريف شروبشير، لكن بالرغم من أن تراڤيس ظل صامتاً وكذلك هي، أحسّت بيث أن الجو داخل السيارة مليء بشحنات كهربائية. أتراه يحسّ بذلك هو أيضاً؟ لا يمكنها التأكد. ظاهرياً بدا تراڤيس بحالته المرتاحة الطبيعية، إذ راح يحرّك السيارة القوية بجهد قليل.

أخيراً، انعرفا إلى الطريق المؤدية إلى كوخها ثم إلى منزل تراڤيس، فراح

قلب بيث يضاعف دقاته. هل سيقترح رؤيتها غداً؟ هل يتوقع أن يدخل معها الآن؟ تكلم عن أخذ الأشياء ببطء وسهولة، لكن ماذا يعني هذا بالنسبة لرجل مثله؟

إذا ما رغب في الدخول، سوف تكون صريحة معه، وكل ما سيحصل عليه هو عناق وداعي. أقنعت نفسها بذلك بحزم شديد.

لدهشتها، لم يفعل تراڤيس ذلك. خرج من سيارته فحسب واستدار حول غطاء المحرّك ليفتح لها الباب، ويساعدها على الترجل ثم دفع البوابة لتفتح قائلاً ببرودة: «سأنتظرك لتدخلي».

ثم شدها نحوه وعانقها بقوة، ما جعلها تدرك بحيوية مدى جاذبيته والقوة العضلية لجسده... مع ذلك هو من أنهى ذلك العناق، إذ أبعدها عنه بحزم وأرسلها إلى الباب الأمامي، لتمشي على رجلين مرتجفتين.

ما إن فتحت الباب، حتى قفز هارڤي إلى الخارج في ترحيب حار بتراڤيس. بعدئذٍ رفض الكلب الدخول إلى المنزل إلاّ عندما أعاده تراڤيس.

قالت بيث بنبرة ملؤها الاعتذار: «هو لا يتصرف بهذه الطريقة عادة. السبب هو فقط أنه تعوّد عليك».

ظهرت ابتسامة صغيرة على جانب فم تراڤيس وقال بلطف: «إذا كان هذا يساعد في قضيتي مع سيدته، فأنا لا أمانع».

ثم اقترب منها، ورفع ذقنها متابعاً: «وأنا فعلاً بحاجة إلى كل المساعدة التي يمكنني الحصول عليها. أليس كذلك، بيث؟».

أدرك تراڤيس أنها مذعورة. عندما وقفا خارج الكوخ، حدّقت إليه ثم قامت بحركة يائسة بيديها وتمتمت قائلة: «تراڤيس، أنا ما زلت مشوشة لأسباب كثيرة».

- أعرف.

هذه المرّة عانقها عناقاً سريعاً، وبعد لحظة استدار ومشى مبتعداً، ثم صعد إلى السيارة واختفى في الظلام دون أن ينظر خلفه. وقفت بيث لفترة طويلة تحدّق خلفه في الظلام بعد أن اختفى، بينما راح هارڤي يدور حول

الحديقة. بدا كل شيء ساكناً وهادئاً، والهواء الدافىء معطّراً برائحة الأشجار المحيطة بالكوخ التي يخالطها أثر ضعيف لرائحة دخان الحطب.

لم يذكر أنه سيراها ثانية. بدأ قلبها يخفق. أتراها صدّته بتوترها الشديد وطبعها الهستيري؟ أتراه لم يعد متحمساً جداً ليتورط معها، ظاناً أنه لن يشعر بالمرح؟ يمكن لتراڤيس أن يختار من بين عدد كبير من النساء، وهو لا يحتاج إلى تضييع الوقت معها.

عاد هارڤي إلى جانبها، وراح يضغط بأنفه البارد الرطب على يدها. نظرت إلى الكلب الكبير، ثم جلست القرفصاء وأخذت الوجه المغطى بالفرو بين يديها، وراحت تنفش وبره وهي تقول: «ماذا أفعل هارڤي؟ أتراني جننت أم ماذا؟ هل أفقدتني هذه العزلة عقلي؟».

أما الإجابة التي حصلت عليها فهي لسان قرنفلي طويل أخذ يلعق أنفها، ما جعلها تضحك قبل أن تبعده عنها وتقف. إنها تفكر كثيراً هذه الأيام. أصبحت هذه عادة لديها منذ أن انتهى زواجها. عليها القيام بما نصحتها به كاثرين، فتعيش كل يوم بيومه. إذا أراد تراڤيس رؤيتها من وقت لآخر عندما يكون هنا، فلابأس. هذا لا يمنع بأن يكون لديه صديقات في منزله في بريستول، فهو ما زال شخصاً حراً. لقاؤهما سيبقى أمراً غير رسمي، بل مجرد صداقة فقط.

أومأت برأسها باتجاه السماء المظلمة، ثم طقطقت بأصابعها لهارڤي، واستدارت، ودخلت إلى الكوخ، رافضة إمعان النظر بحقيقة أن جسمها ما زال يرتعش بسبب عناقه السريع الأخير أو بفكرة الدخول في علاقة جدية مع شخص مثل تراڤيس. سوف تبذل الكثير من الجهد لتمنع نفسها من التفكير في الأسابيع القادمة، لكنها ستتعامل مع هذا الأمر إذا أبقاها هادئة. هذا هو المفتاح...

أغلقت الباب خلفها، نظرت حول الغرفة التي تركتها قبل ساعات فقط، وتساءلت لما يبدو كل شيء مختلفاً! وما لبثت أن أدركت السبب: لأنها سعيدة الآن!

٧ - أريدك قلباً وروحاً

استيقظت بيث في اليوم التالي من نوم عميق خال من الأحلام، على صوت طرق على الباب الأمامي. جلست في السرير فوراً، فيما بدأ هارڤي ينبح باهتياج، وفي الوقت نفسه بدأ المنبه يموء كالهر.

آه! هذه ليست بداية هادئة لصباح يوم الأحد.

أطفأت المنبّه، ثم تناولت رداءها ذا الزغب، وارتدته فوق ثوب نومها الرقيق، رابطة الحزام بشدة أثناء توجهها إلى الباب الأمامي، مشيرة إلى هارڤي بالسكوت وهي في طريقها.

- مرحباً!

رأت تراڤيس يقف أمام الباب حاملاً بعض الأكياس. ابتسم لها، وتابع: «الفطور. إنه يوم جميل، وفكّرت بألاّ نضيّع دقيقة بما أنني سأغادر الليلة».

شعرت بيث أنها أشبه بسنجاب بري أوقظ من سبات الشتاء. حاولت استجماع قواها بسرعة، فقالت: «كم الساعة؟».

أجابها تراڤيس وكأن كل شخص على الأرض مستيقظ ما عداها: «إنها التاسعة».

رفعت خصلة شعر عن وجهها قائلة: «أنا... لم أستحم بعد».

بينما يبدو هو نضراً مثل زهرة الربيع.

- أحقاً؟

تفحّصها بعينين دافئتين مضيفاً: «تبدين رائعة بالنسبة لي. أنا أحب امرأتي مشعّثة الشعر وجذابة».

على الأرجح، أنها تبدو جذابة بقدر ما يبدو من اجتاز حاجزاً من الشريط الشائك. وقفت بيث جانباً قائلة على مضض: «ادخل. سأضع القهوة على النار».

- لا داعي لذلك.

تبعها إلى الداخل، ثم أخذها بين ذراعيه، وقبل أن تعترض، عانقها بطريقة جعلتها تستيقظ بسرعة. يا لها من طريقة جميلة للاستيقاظ! بعد ذلك أصبحت حرّة من جديد. دخل تراڤيس إلى المطبخ منادياً من فوق كتفه: «الكعك المحلى ساخن، وقد أحضرت من المتجر في القرية الكشمش المحفوظ ومربى العنبية، لذا أسرعي. سأضع القهوة على النار».

دخلت بيث إلى الحمام، واستحمت خلال ستين ثانية تماماً. بعد أن ارتدت ثيابها، سرّحت شعرها بسرعة وربطته بشكل ذيل فرس في أعلى رأسها. إن كان يرغب بامرأة ذات شعر مصفّف، وتبرّج كامل، عليه ألا يأتي من دون علم مسبق.

عندما دخلت إلى المطبخ، ابتسم لها، قبل أن يقول: «أنتِ جميلة بيث! تعرفين هذا، أليس كذلك؟ حتى عندما كان الوحل يغطي وجهك في المرّة الأولى التي رأيتك فيها، عرفت أنك جميلة».

قالت بطريقة جافّة: «لا أعتقد أنه كان وحلاً، تراڤيس».

ابتسم قائلاً: «حسناً! أردت أن أكون مهذباً».

إنها مصمّمة على إبقاء الأمور لطيفة وغير معقّدة. نظرت إلى طاولة الفطور الصغيرة، التي امتلأت بأطباق من اللحم البارد ذات مظهر غريب، وعدد من أنواع الجبنة، والسلمون البارد، بالإضافة إلى الفواكه الطازجة، وأنواع مختلفة من اللفائف المحشوة، التي ما زالت ساخنة، حسب ما تدل رائحتها، إلى جانب علب صغيرة من حبوب القمح وعلبة من العسل، بالإضافة إلى الكعك المحلّى الذي ذكره سابقاً. اتسعت عيناها قائلة: «هل أحضرت هذا كله؟».

إنها وليمة حقيقية!

- يعود الفضل إلى متجر الأطعمة المعلّبة الرائع في القرية. على فكرة، العسل طبيعي من النحل الذي يربونه هنا، وهو أفضل ما تذوقت على الإطلاق.

أشار إلى صينيتين أعدّهما، مع كوبين من عصير الليمون، وأضاف: «فكّرت بأن نتناول الفطور في الهواء الطلق. تعالي واملئي طبقك، وسنأخذ طعامنا إلى الحديقة».

وجدت بيث نفسها تتمرّد على الطريقة التي يتسلّط فيها. أومأت برأسها إلى إبريق القهوة قائلة: «أنا سأكتفي بالقهوة الآن، شكراً».

ثم أضافت موضحة: «أريد أن أعطي فرصة لمعدتي كي تستيقظ بشكل صحيح».

- حسناً! سوف أتدبّر الأمر.

بدا لا مبالياً تماماً، مما جعل بيث تشعر بأنها فظّة. نظرت إلى هارڤي، الذي كان يجلس وقد ظهر عليه الترقب، مركزاً نظره على كيس موضوع على بلاطة المغسلة. سألت متفاجئة: «ماذا جرى له؟».

- إنه يعرف أن هناك عظمة كبيرة في داخله.

ابتسم تراڤيس ابتسامته الجانبية وتابع: «أنا لست مترفعاً عن الرشوة والإفساد».

- لا حاجة لك لذلك مع هارڤي.

قالت بيث ذلك بنبرة فاترة، ولم يبدُ عليها أنها تمزح، وأضافت: «أعتقد أنه بدأ يفضلك علي».

- أنا لا أتكلم عن هارڤي.

كان تراڤيس يسكب القهوة في كوبين أثناء حديثهما، والآن أعطى بيث كوبها مضيفاً: «اخرجي إلى الحديقة، وأنا سأجلب العظمة لهارڤي، ليأكلها بينما نشرب نحن القهوة».

جلس هارڤي بابتهاج يقضم العظمة الكبيرة التي تحتوي على لحم كافٍ ليطعم عائلة من أربعة أشخاص.

المقعد الخشبي الصغير في الحديقة يتسع لشخص واحد بارتياح، لكنه بلا ريب يعني جلسة حميمة بالنسبة لشخصين. استطاعت بيث الإحساس بدفء الجسد المليء بالعضلات من خلال قماش ثوبها الرقيق، فيما ارتاحت يد تراڤيس على ظهر المقعد الخشبي لتقرّبها إلى دائرة جسده، رغم أنه لم يلمسها.

ما زالت القهوة ساخنة جداً، لكنها ارتشفت منها بالرغم من ذلك، محاولة تبديد الارتعاشات من قلبها. يا لها من طريقة سخيفة لتخبر نفسها أنه يمكنها السيطرة على تأثير الانجذاب الجسدي القوي بينهما عليها!

- إنه حيوان وديّ، أليس كذلك؟

قال تراڤيس من فوقها متابعاً: «منذ متى تمتلكينه؟».

لا يمكنها القيام بذلك. لا تستطيع الجلوس والتكلم فيما الاحساس بقربه يجعل رجليها ضعيفتين ونبضها متسارعاً. وضعت بيث الليلة الماضية بعض الكعك على طاولة العصافير في زاوية الحديقة، ووقع بعضاً من فتات الكعك على الأرض، فاستخدمت ذلك كعذر لتقف عن المقعد. بعد التقاط فتات الكعك، نثرتها على طاولة العصافير، ثم جلست على حوض الزهور الذي جلست عليه عندما كانا في الحديقة في المرة السابقة، وفي النهاية قالت: «هارڤي هو هدية من شقيقتي لمناسبة انتقالي إلى شقتي الجديدة منذ أكثر من سنة ونصف. كان يومها جروراً صغيراً».

نظر تراڤيس إلى الفك القوي الذي يتعامل بطريقة حازمة مع العظمة وقال: «لم يعد صغيراً جداً الآن. هل تأخذينه معكِ عندما تذهبين إلى العمل؟».

أومأت بيث برأسها قائلة: «عندما لا أستطيع اصطحابه، تبقيه كاثرين عندها. ابن أختي الصغير جيمس يحبّه، وهارڤي وديع كالحمل معه. لم أملك كلباً من قبل، ولم يخطر ببالي أبداً أن أشتري واحداً، لكنني لا أعرف ماذا سأفعل من دونه الآن. هارڤي هو أكثر من كلب، إنه...».

قال تراڤيس بلطف: «صديق!».

أومأت بيث ثانية قائلة بقليل من التحدّي: «صديقي المفضّل! ساعدني في أسوأ وقت من حياتي، وأنا سأبقى ممتنة له للأبد».

- حبّ من غير قيد أو شرط!

أنهى قهوته بجرعة واحدة وتابع قائلاً: «ميزة متوفرة في الحيوانات بكثرة، لكنها نادرة في الإنسان».

انحنى إلى الأمام قليلاً، فاستجاب له كل عصب في جسدها. أضاف تراڤيس قائلاً بهدوء: «أنا آسف لأنك تحمّلت شيئاً فظيعاً جداً، لكن الخطأ ليس خطأك، فالحياة تقسو علينا أحياناً».

نظرت إليه، فيما اندفع فيها أثر للألم القديم، وقالت: «ما يؤذيني أكثر عندما أعود بأفكاري إلى الماضي، هو خسارة والديّ بهذه الطريقة».

جاء صوتها منخفضاً جداً، ما جعله ينحني إلى الأمام أكثر ليسمعها. تابعت قائلة: «كانا شخصين رائعين، أفضل والدين في العالم... من الغرابة أن والدي لم ينسجم مطلقاً مع كيث. أمي كانت تعتقد أنه لطيف. كيث كانت لديه طريقته مع النساء...».

حمل صوتها إشارة مرارة للحظة ثم تابعت: «... لكن والدي كان دائماً حذراً جداً منه. أراد أن ننتظر لفترة قبل أن نتزوج، لكن...».

هزّت كتفيها مضيفة: «الحب أعمى».

- بيث، أي شخص يمكن أن يتعرض للخداع بواسطة شخص وماكر. هذا ليس انحرافاً في تفكيرك أو شيئاً من هذا القبيل. الأمور السيئة تحدث للأشخاص الجيدين أيضاً.

حدّقت إليه، وبدت عيناها كبيرتين وحزينتين. أذهلها أنها راحت تتحدث بصراحة معه في حين كانت تعتزم الصمت.

- بعض الأشخاص ساذجون أكثر من غيرهم.

التوقف القصير في صوتها أخبره بأن هذا الأمر يعني لها الكثير. تابعت قائلة: «لم أكن أعتقد أنني كذلك، لكن هذا أمر وارد، وإلاّ كيف يمكنني التزوج من شخص، وليس لدي أيّ معلومات عن حقيقته؟ ما كنت

لأصدق أن هذا ممكن لو لم يحدث معي».

- هذا ممكن.

مدّ يده، ولامست أصابعه خدها برقة، فيما بدا صوته عميقاً، وتابع قائلاً: «لكن كما قلت، هذا لا علاقة له بكون المرء ساذجاً. في حالتك هذه، كيث شخص دون أخلاق ومبادىء، وهذا يعطيه قوة متميزة. لسوء الحظ أنك وقعت ضحية خداعه وكذبه، لكن ظلت لديك القوة والشجاعة الكافيتين لتغيري هذا الواقع. هو لن يتقدّم، بيث. ابنتاه لن تحترماه، وربما لن تحبانه، ولن ترغبا بأن تكون لهما أي علاقة به عندما تكبران. أي امرأة يتورط معها في علاقة، سوف تعرفه على حقيقته في آخر الأمر. ويوماً ما سيموت كرجل سيء يعيش بمرارة الوحدة».

- ما أدراك بهذا؟

هزّت رأسها، وتابعت قائلة وصوتها يرتجف: «كيف تعرف أنني لست ساذجة؟ ولماذا يختلف وضعي عن كثير من الأخريات، فالنساء يتعرضن للخداع مرّة بعد أخرى».

قال بصوت حازم ودافىء: «أنا أعرفك».

- إنك لا تعرفني. تقابلنا منذ أسابيع قليلة فقط، وأنت بالكاد تعرف القليل عني. من المحتمل أن أكون ضحية نموذجية.

كرّر بلطف قائلاً: «أنا أعرفك، وهذا لا علاقة له بالوقت. أحياناً يحدث أمر كهذا، وأنتِ لست ضحية أكثر مني».

بدت بيث ضعيفة، وحذّرته عيناها بأنه أوصلها إلى آخر حدود الاحتمال. وقف تراڤيس وقال بصوت عادي وكأنهما كانا يناقشان حالة الطقس: «أنا سأتناول الفطور، ماذا عنك؟ هل ستأتين لتختاري بنفسكِ؟».

- أنت... أنت اذهب واخدم نفسك. سألحق بك بعد لحظة، عندما أنهي قهوتي.

عندما اختفى تراڤيس داخل المنزل، استرخت بيث بعد أن أدركت أنها

ترتجف. أملَت ألاّ يكون تراڤيس قد لاحظ ذلك. كيف جعلها تقول ذلك كله؟ وماذا يعني بتعليقه الأخير، بأنه يعرفها؟ ضغطت بيدها على قلبها الذي كان يخفق بقوّة في صدرها. هي لا تريد أن يعرفها أي رجل... إن فكرة لقائهما هي فكرة سيئة... عليها أن تخبره بأنها غيّرت رأيها. هي لم تأتِ إلى هنا للتورط مع أيّ رجل، لا سيما رجل استثنائي مثل تراڤيس. وقفت، مصممة على إنهاء هذه المسألة فوراً. دخلت إلى المطبخ، ثم توقفت متفاجئة عندما رأته خالياً. بعد لحظة ظهر تراڤيس، وقال بأسلوب عفوي: «تركت الصحف في السيارة».

مدّ يده وتناول صينيته وقد ملأ صحنه بطعام يكفي لفريق كرة قدم. وأضاف: «أراك في الخارج. لا تتأخري».

ثم اختفى قبل أن تتمكن من التفوه بكلمة، وعندما انضمت إليه في الخارج بعد لحظات، وجدت أنه يجلس على الحوض الذي أخلته، والصحيفة مفتوحة على الأرض أمامه، وهو كما يبدو منهمك بقراءتها أثناء تناوله الطعام. جلست بيث على المقعد، وهي تشعر بالارتباك، ولم تعرف كيف تبدأ كلامها. الآن تغيّر الجو بطريقة ما، فبدأت كلامها قائلة: «لا تبدو مرتاحاً وأنت تجلس هناك».

- إنه جيّد.

بدا صوته عادياً، ولم يرفع رأسه عن الصحيفة.

استسلمت بيث واختارت صحيفة من الكومة التي وضعها إلى جانب من المقعد، وراحت تأكل الكعك المحلّى أثناء قراءة الصحيفة. ستقول شيئاً ما لاحقاً، هنالك متسع من الوقت.

إنه صباح يوم أحد دافىء ومشجع على الكسل. أكل تراڤيس كمية كبيرة من الطعام، وبعد أن أكلا حتى شبعا، أعدّت بيث القهوة مرّة ثانية وتابعا قراءة الصحف وهما جالسان تحت أشعة الشمس جنباً إلى جنب على المقعد الآن.

كما في الليلة السابقة في الفندق، تحوّل تراڤيس إلى ذلك الرفيق

الساحر، بعد أن مدّ ساقيه الطويلتين وأمال برأسه إلى الخلف وأسنده إلى ظهر المقعد. بدا أنه غطّ بالنوم لفترة قبل أن يقف فجأة، ويسحبها لتقف معلناً: «تعالي لنمشي، فنحرق بعض الوحدات الحرارية قبل موعد الغداء».

سمع هارڤي الكلمة السحرية، وهكذا لم يعد بإمكانها الرفض.

راح هارڤي يطفر مرحاً أمامهما. سارا في الغابة، يتنشقان الرائحة اللذيذة للأرض الرطبة تحت أقدامهما، قبل السير على ضفاف نهر تتلألأ مياهه كالبلور. جعلها تراڤيس تضحك معظم الوقت أثناء تمشيهما، وتدريجياً وجدت نفسها ترتاح وتتمتع بالصباح الجميل.

أمسك تراڤيس يدها في بداية النزهة وهي لم تعترض، وتساءلت إن كان سيتوقف في مكان ما ويعانقها، لكنه لم يفعل. أبقى الحديث بينهما لطيفاً وممتعاً وغير مهدد. أهو تعمد أم صدفة؟ بيث ليست متأكدة. هي تعرف فقط أن عواطفها تحولت الآن من جديد، وأن فكرة التخلص منه انمحت من مفكرتها.

- ماذا؟

تأخرت بيث لتدرك أنها على الأرجح تحدق إليه، والآن راحت العينان الرماديتان الثاقبتان تتفحصان وجهها. سألها ثانية: «ما الأمر؟».

- لا شيء.

أجبرت نفسها على الابتسام مضيفة: «لا شيء هام».

توقف تراڤيس، وغمرها بذراعيه، لكن ليس بإحكام. ثم قال بهدوء: «لا تتملصي! بماذا كنت تفكرين؟».

فكرت بهدوء قائلة: «كنت فقط أتساءل عن هذا».

لمست الندب في وجهه مضيفة: «كيف حدث لك هذا؟».

نظر إليها وأدركت أنه لم يصدقها، لكنه لم يتابع الأمر. أخذ يدها من جديد، وشبك أصابعه بأصابعها عندما بدآ السير، قائلاً بدون انفعال: «كان لدي شقيق يكبرني بسنتين، اسمه كيرك. بعد أن قابلت والدتي

زوجها، اصطحبني وكيرك في يوم من الأيام لاصطياد السمك. انقلب القارب في النهر عندما راح زوج أمي يؤرجحه، وهو يعبث متباهياً. علق كيرك ببعض الأعشاب، فلم يتمكن من الصعود إلى سطح الماء. صرخت بزوج أمي كي يساعدني على إنقاذه لكنه كان مهتماً بالنجاة بنفسه أكثر. سحبت كيرك وأوصلته إلى السطح وكان عليّ أن أصعد لتتشق الهواء عدة مرات، لكن لم يحالفه الحظ بالنجاة».

لمس الندب على وجهه وتابع قائلاً: «هناك أشياء كثيرة في النهر، لا أدري ما الذي أصاب وجهي. حتى إنني لم أشعر به إلاّ عندما وصلنا إلى المستشفى، عندها بدأ يؤلمني».

- آه، تراڤيس!

بدت بيث مرتعبة. توقفت عن المشي ما جعله يتوقف أيضاً وينظر إليها. قالت بضعف: «أنا آسفة جداً، هذا أمر فظيع».

أومأ برأسه قائلاً: «أجل، كان فظيعاً».

للحظة، تحرك شيء ما في وجهه، ثم استطاع السيطرة عليه، وتابع قائلاً: «أصرّ زوج والدتي على أنه لم يساعد بسبب عدم تمكنه من السباحة، وأنه تدبّر أمر الوصول إلى الضفة بواسطة مرساة. أنا لم أصدّقه، فقد رأيته في الماء وهو يستطيع السباحة بشكل جيّد، لكن والدتي اختارت أن تصدق قصته».

ابتسم بأسى مضيفاً: «تكلمت سابقاً عن الحب الأعمى، وهذا الحب هو أعمى حقاً. أنت لم يكن لديك خيار في المسألة، ولا تحذير، أما هي فبلى. كل الإشارات كانت موجودة مع أجراس».

حدّقت بيث إليه قائلة: «هل صدقتك ساندرا؟».

- ليس في ذلك الوقت، بل لاحقاً. صدقتني عندما عاشت معهما بعد زواجهما. إنه... رجل بغيض.

سألته بلطف: «لكن والدتك ما زالت معه. أليس كذلك؟».

هزّ كتفيه قائلاً: «وهي لن تتركه. إنه إخلاص أعمى أيضاً».

www.elromancia.com

يمكن لبيث أن تؤكد بأن هذا الحديث أزعجه جداً. فجأة أحسّت باندفاع جنوني لتلف ذراعيها حوله وتعانقه، بفيضان غامر من العطف. كان هذا كافياً ليصدمها، فأخذت خطوة حادّة إلى الخلف، وقالت ثانية قبل أن تتابع سيرها: «أنا آسفة».

هزّ تراڤيس كتفيه قائلاً: «مضى على ذلك وقت طويل».

إنها تقصد بأسفها حقيقة أن والدته ما زالت تعيش مع رجل سيء، وأنها ما زالت مخدوعة به، لكنها لم تتوسع أكثر نظراً لهرموناتها الخائنة. لحسن الحظ، أو ربما لسوء الحظ، لا أحد يعلم، قام هارڤي بمقاطعتهما في هذه اللحظة بظهور، فجأة وهو مغطّى بالوحل. ما إن عادا إلى الكوخ، عادت الأشياء إلى شكلها اللطيف من جديد. عرض تراڤيس بلطف كبير أن يقوم بغسل هارڤي قبل تركه، ليغادرا إلى مقهى يعرفه في البلدة وذلك لتناول الغداء. وعندما عاد الاثنان، هارڤي أصبحت رائحته زكية وتراڤيس بدا جذاباً جداً، فجفّ فمها على الفور.

- إنه يشعر بالأسف على نفسه.

أشار تراڤيس إلى هارڤي بإيماءة من يده، وعندها فقط نجحت بيث باستجماع قواها والتصرف بشكل طبيعي. إنه شاب قوي فائق الوسامة، مع جاذبية أقوى بكثير من مجرّد وسامة.

- سأحضر حقيبتي.

تمتمت بـ[illegible] ناربة إلى غرفة نومها، ثم اتكأت على الباب المغلق للحظة لتهدىء روعها [illegible] مت يديها إلى وجنتيها المتقدتين. حمداً لله أنه لا يستطيع قراءة أفكارها.

عندما انضمت [illegible]، تراڤيس، لاحظت أنه يحافظ على تهذيبه الطبيعي الهادىء. في الناحية الثانية من الغرفة، بدا هارڤي متوعكاً وعابساً بلا ريب.

ابتسمت لتراڤيس ثم قالت: «هل تريد أن تبدّل بنطلونك قبل أن نذهب لتناول الغداء؟».

هزّ تراڤيس رأسه، وقال متكاسلاً: «سوف يجف في الشمس. المكان الذي سنتناول الغداء فيه يحتوي على حديقة مطلة على النهر، وقد حجزت طاولة في الهواء الطلق».

أملت بيث ألا يظهر عليها الارتباك الذي تحس به فعلاً حين غادرا الكوخ ومشيا إلى سيارة تراڤيس. ظلت غارقة في أفكارها إلى أن وصلا إلى المقهى العتيق الطراز الساحر بعد عشرين دقيقة. بدا المبنى قديماً جداً، مع سقف من القش، وهو يضم مجموعة من النحاسيات وموقد قديم. حين دخلا، اقتربت منهما امرأة قصيرة القامة ممتلئة الجسم ذات شعر أشقر فاتح. بدا وجهها مشرقاً حين قالت: «تراڤيس!».

وضعت المرأة ذراعيها حوله وعانقته بحرارة قبل أن تقول: «لم نرَ وجهك منذ فترة. كنت أقول لدايف منذ بضعة أيام إننا لم نرك منذ أسابيع».

- أنا آسف مايفيس.

أفلت تراڤيس نفسه من عناقها، ودفع بيث إلى الأمام قائلاً بلطف: «أقدم لك بيث. بيث، هذه مايفيس صاحبة المقهى، وهي متزوجة من صديقي دايف. عندما زرتهما منذ سنوات سمعت بشأن المنزل المعروض للبيع، وقررت أن أشتريه لقضاء العطلة هنا».

- سررت بلقائك، بيث.

أدركت بيث أنها تخضع للفحص بدقة بواسطة عينين زرقاوين يحيطهما كحل غامق. تمتمت متفاجئة: «مرحباً، مايفيس! سررت بالتعرف إليكِ».

- حجزت طاولتكما عندما أخبرني دايف أنك ستأتي.

استدارت مايفيس نحو تراڤيس وأضافت: «بنطلونك مبلل. ماذا كنت تفعل بحق السماء؟».

- غسلت كلب بيث. أخذناه في نزهة بعد الفطور، فتوسخ جسمه بالوحل.

- أحقاً؟

أومأت مايفيس برأسها متابعة: «إذاً، هو كلب شقي كالكلبتين اللتين

www.elromancia.com

تملكهما أنت. أليس كذلك؟».

لاحظت بيث الوميض في عيني المرأة الأخرى عندما نظرت إليهما معاً. فقالت بسرعة: «وصل تراڤيس إلى منزلي هذا الصباح بعد أن اشترى معظم الأشياء اللذيذة من متجر المأكولات المحلّ. لذا، إذا لم أكن منصفة لغدائكِ، فالذنب ذنبه».

- آه! لا تقلقي عزيزتي، لدينا أنواع كثيرة لتختاري من بينها، وإذا رغبت بشيء خفيف فالسلمون بالقريدس مع صلصة التوابل جيّد. اذهبا الآن إلى الحديقة وسأحضر لكما الشراب. بمَ ترغبان؟

بعد إعطاء مايڤيس طلبهما والتلويح بيديهما لدايف، الذي يدير المقهى بمساعدة اثنين من النادلات، أخذ تراڤيس يدها وأرشدها عبر المقهى إلى الحديقة. لم تكن الحديقة كما توقعت بيث أبداً، فقد تخيلت أنها حديقة كوخ وليست مرجة ممهّدة تنتشر فيها عشرات الطاولات التي تتباهى بها مثل هذه المؤسسات.

توقف تراڤيس بجانب طاولة معدة لشخصين موضوعة بعيداً عن الطاولات الأخرى، في ظل شجرة بتولا فضية تطلّ على المياه المتلألئة. سحب لها الكرسي، وما إن جلست حتى جلس هو أيضاً. عندها فقط قال بهدوء: «لماذا تتخذين موقفاً دفاعياً، بيث؟ أهذه الدرجة يزعجك أن يفكر أي شخص أنه يمكن أن نكون حبيبين؟».

نظرت إليه، وهي تتورد خجلاً، وقالت كاذبة: «لا أعرف ما الذي تعنيه. لم يقل أحد أي شيء عن كوننا حبيبين».

قال ونظرة عينيه الرماديتين لا تطرف: «رأيت وجهكِ وأنت تتكلمين».

- تراڤيس...!

- ما العيب الذي يجعل فكرة أن نكون صديقين حميمين بغيضة جداً؟

أدركت بيث أنه غاضب، إلا أنه يخبيء غضبه تحت مظهره الخارجي المنضبط. صوته يظهر دون حدّة، لكنها عرفت أنه غاضب. ابتلعت ريقها

بصعوبة، وتمتمت قائلة: «ليس الأمر هكذا. سبق لي أن أخبرتك أنني لا أستطيع التورط مع أي شخص، ولم أشأ أن تأخذ مايڤيس فكرة بأن علاقتنا جدية. هذا كل شيء».

- الأمر ليس أنك لا تستطيعين، بيث، بل أنك لا تريدين.

أبعدت نظراتها عنه وقد شعرت أن وجنتيها تتقدان: «ماذا؟».

- قلتِ إنكِ لا تستطيعين التورط مع أحد، وهذه ليست الحقيقة. أنتِ حرّة بيث، ويمكنك التمتع تماماً بما ستفعلينه في حياتك المتبقية.

استلقى في كرسيه إلى الخلف وراح يتفحصها بعينين رماديتين باردتين، وتابع قائلاً: «أنا أخبرتك بأنني لا أتوقع شيئاً، لذا، هل تسدين لي خدمة على الأقل، فتتظاهرين بالارتياح والاستمتاع حين نكون معاً؟ توقعك الدائم بأنني سوف أثب في أي لحظة وأقوم بعمل مؤذٍ، غير مريح بالنسبة لي».

- أنا لا أفعل هذا!

أحسّت بكتلة تتمدد كالعجين في حنجرتها. كل شيء انقلب فجأة واهتز كيانها بسبب سرعته. وبالتأكيد السبب في ذلك احتمال ألاّ تستطيع السيطرة على مشاعرها بعد الآن. لكن بالكاد يمكنها الاعتراف بهذا. برغم ذلك، عليها قول شيء ما وهي لا تعرف ماذا تقول.

انحنى تراڤيس إلى الأمام وأخذ يدها بيده، ثم سألها بهدوء: «إذاً، لماذا أنتِ ترتجفين الآن؟ اللعنة! تجعلينني أشعر وكأنني دراكولا».

لم تشأ بيث أن تجعل تراڤيس يشعر بالسوء، لكنها لم تعرف كيف تشرح وجهة نظرها دون أن تكشف بأنها سريعة التأثر، وهذا سيعطيه قوة أكبر عليها. تصارعت مع نفسها للحظات لا متناهية، ثم أخذت نفساً عميقاً قائلة في النهاية: «أنا خائفة من احتمال أن أعجب بك أكثر مما أريد. لم أكن مستعدة لمقابلة أي شخص عندما قابلتك، لا أريد أن أنجذب إلى رجل لفترة طويلة».

استمرت عيناه بتفحصها للحظة، ثم قال: «أهذا كل شيء؟».

أهذا كل شيء؟ يا لوقاحته! هي الآن تكشف عن خفايا روحها، وهو يتصرف وكأنه لا شيء. أومأت بيث برأسها إجابة عن سؤاله.

تنهد بهدوء، لكن شيئاً ما في وجهه ابتهج وبدا مثل تراڤيس الذي تعرفه من جديد. قال بنبرة جافة: «بيث، أنا لم أشك أبداً أنك بحاجة لإعادة التكيف من جديد. أنا لا أريد علاقة فقط...».

لم تستطع تمالك نفسها من الارتجاف، فيما تعمقت النظرات الرمادية الثاقبة أكثر حين أضاف دون تردد: «أريدك أنتِ. أتفهمين؟ عقلاً، وروحاً».

بدت السماء خلفه صافية وفي مكان ما في الأسفل، على ضفّة النهر أمكنها سماع صوت البط، فيما راح النسيم الصيفي الخفيف يلاطف وجهها بدفئه.

- إذاً، تفضلا! آسفة للتأخير، لكن هناك جنون في الداخل.

ظهرت مايفيس بسرعة مع زجاجة الشراب التي طلبها تراڤيس، وكوبين ولائحتي طعام. ثم أضافت موجهة كلامها لتراڤيس: «سيراك دايف لاحقاً، وهو يقول لك إنه طلب من الطاهي أن يحتفظ بقطعتين من لحم الحمل في حال رغبت بطلبك المعتاد. إنه يطهوها بالصلصة والكشمش الأحمر».

استدارت نحو بيث، لتشملها في حديثها متابعة: «بصراحة، لا يمكننا أبداً إشباع رغبات الجميع. لكن بالطبع هناك عدد من الأطباق الأخرى لتختاري منها إذا لم تكوني جائعة جداً. سأترككما لتختارا إذاً».

ابتسمت ابتسامة مشرقة لهما، وقالت قبل أن تعود إلى عملها: «سأعود بعد خمس دقائق لآخذ طلبكما».

- إنها كتلة من الطاقة...!

لاحظ تراڤيس تعابير بيث المذهولة، وتابع قائلاً: «... بينما دايف هو أكثر الأشخاص هدوءاً في العالم. حالة واضحة لنقيضين، لكن زواجهما صلب كالصخر».

- كم مضى على زواجهما؟

سألت بيث، وهي مسرورة للانتقال إلى موضوع آمن.

أجابها تراڤيس بهدوء: «عشر سنوات. كنا معاً في الجامعة، رغم أنني أعرف دايف منذ أيام المدرسة. أثبت أنه صديق مخلص عندما توفي كيرك».

شعرت بأنها عاطفية جداً ولا قدرة لها على التحدث في موضوع شقيقه، لذا قالت بدلاً من ذلك: «هل لديهما أولاد؟».

- خمسة.

وعندما فتحت فمها مندهشة تابع قائلاً: «لكن هناك توائم بينهم، ومن الواضح أن إنجاب التوائم متحدر من عائلة مايفيس. أنجبا ولداً في البداية، ثم توأمين من البنات، وبعدهما توأمين من البنات أيضاً. بالنسبة لدايف، إنه جنون السرير».

- آه!

تأثرت بيث بشكل حقيقي وتابعت: «أعتقد أنني لو كنت مكانها سوف أفقد أعصابي عند الولد الثالث».

- لكن عليكِ أن تأخذي الشغف في الحسبان.

قال تراڤيس بوقار متابعاً: «استنتجت أن الحمل الأخير ناتج عن تلك الليالي شديدة التوق حيث لم يستطيعا الاكتفاء من بعضهما، والوقاية كانت آخر شيء فكرا فيه».

رفضت بيث أن تحمرّ خجلاً لأنها تعرف أن هذا ما يفكّر فيه تماماً. كما رفضت إمعان النظر في نوعية صوته الضبابي والطريقة التي ينظر فيها إليها. فقالت: «إنهما شخصان محظوظان».

سرعان ما استعادت السيطرة على الأزيز في دمها. قالت بتزمت متجاهلة الالتواء في فمه: «أتخيل أن الحياة صعبة مع خمسة أولاد. لاسيما بوجود مقهى لإدارته».

- والدا مايفيس يعيشان معهم، والكل يعمل معاً، لذا فإن المساعدة موجودة دائماً.

أعطاها تراڤيس لائحة الطعام، وتابع قائلاً: «هذا لا يناسبني. أنا أريد زوجتي لي فقط».

انحنى إلى الأمام من جديد، لتعيد أصابعه الشريط الرفيع لفستانها إلى كتفها حيث انزلق. لمسته جعلت بشرتها تتقد، وأنّت بيث في داخلها بسبب ضعفها، فيما تمتم تراڤيس قائلاً: «بشرتكِ كالحرير. حرير دافىء وناعم تلونه أشعة الشمس. يمكن أن يخسر الرجل نفسه بمثل هذه النعومة. هل تعرفين هذا؟».

أرادت القيام بتعليق خفيف، شيء ما حذق يمكن أن يهدىء اللحظة لكنها لم تستطع. فقط نظرت إليه، وقلبها يرعد في أذنيها.

- أرغب في أن أغازلك حتى تنسي في أي يوم نحن، وأي شهر، وأي سنة. حتى لا يبقى في العالم إلاّ نحن. أعرف أن هذا ما سوف يحصل، سوف يتلاشى العالم كما لو أنه غير موجود.

قال ذلك ثم استقر في مقعده، وحمل لائحة الطعام، وفجأة قال بصوت واقعي سبب لها الصدمة: «لكن حتى ذاك اليوم، عليّ أن أكون صبوراً. على فكرة، لحم الحمل رائع. أنا أنصحكِ بتذوقه».

٨ - عاصفة في داخلها

وجدت بيث أن مذاق اللحم رائع، وكذلك الأطباق الأخرى وعند مرحلة تناول القهوة أصبحت الحديقة خالية تقريباً بعد أن أقفل المقهى أبوابه. انضم دايف ومايفيس إليهما، وجلس الجميع لوقت طويل يتحدثون ويضحكون، وفي وقت لاحق أحضر والدا مايفيس الأولاد. بدا من الواضح أن الصبي الصغير، الذي يبلغ السابعة أو الثامنة من عمره، يحبّ تراڤيس، فقد أصرّ على الجلوس على ركبته طوال الوقت المتبقي، إلا أن الجدة أدخلت الفتيات بعد دقائق قليلة لأخذ قيلولة.

تفاجأت بيث تماماً وهي تراقب تراڤيس مع الولد. فقد بدا لطيفاً مع الصبي الصغير، ومرتاحاً تماماً لدور «العم تراڤيس». لم تتوقع بيث أن يتصرف بتلقائية مع الأولاد، إلا أنه بدا طبيعياً تماماً، وفكرت أنه سيكون والداً رائعاً.

غادرا المكان عند الخامسة كي يتمكن دايف ومايفيس من التحضير لفتح المقهى ثانية عند السادسة والنصف. وأثناء ذلك دارت انطباعات كثيرة مختلفة في ذهن بيث. في كل مرّة تكون فيها مع تراڤيس يظهر لها وجهاً مختلفاً من شخصيته، وهذا أمر مربك. أملت أن يغدو انجذابها إليه أقل عندما تعرفه أكثر، لكن ما يحدث هو العكس.

في طريق العودة، لم يتكلم تراڤيس كثيراً، لكن بأي حال كانت بيث ضائعة في أفكارها، تلك الأفكار التي تدور حوله. لا يمكنها التصديق كم تشعر بالارتياح لأنها عرفته، لكنها تشعر أنها لا تعرف شيئاً عنه. إنه أمر غير مفهوم. هي لا تعرف لماذا يحق السماء يهتم تراڤيس لأمرها. على

www.elromancia.com

الأرجح لأنها تبدو امرأة مجنونة بالنسبة له.

عادا إلى الكوخ، وأدركت بيث مصدومة أنها حتى لم تلاحظ اقتراب السيارة وتوقفها إلى جانب الكوخ. ترجّل تراڤيس من سيارة آستون مارتن واستدار حول غطاء المحرّك، فتح لها الباب وساعدها على الترجل من السيارة المنخفضة بوضع يده على مرفقها. مشى معها إلى البوابة الأمامية للكوخ، لكن ما إن مدّت يدها لإخراج المفتاح من حقيبتها، وضع يده على يدها قائلاً بابتسامة وديّة: «أفضّل توديعكِ قبل ظهور هارڤي».

أخذها بين ذراعيه قبل أن تتمكن من التفوه بأي شيء، وغمرها بشدة قاطعاً الطريق على أي اعتراض من قبلها. أدركت بيث بضعف أنها راحت تنتظر هذه اللحظة في الساعات القليلة الأخيرة. استسلمت بسرور للاحساس الرائع الذي يغمرها، وراحت ترتجف ما إن غدا عناقه أكثر قوة.

تحرّكت يدا بيث إلى كتفيه. أنعشتها فكرة أنها قادرة على خلق نفس هذا التأثير في رجل كتراڤيس. ما من شك أنه منجذب إليها، فقلبه يضرب بقوة على الجدار الصلب لصدره، وبدا أنه يتنفس بصعوبة. لذا فوجئت حين ابتعد عنها بعد لحظة بلطف، إنما بحزم، وقال بسرعة: «عليّ الذهاب. أراكِ الأسبوع المقبل، بيث».

استعاد تراڤيس سيطرته على نفسه، رغم أنه ما زال يتنفس بصعوبة، إذ راح صدره يعلو ويهبط تحت القماش الرقيق لقميصه، لكن عينيه بدتا مركزتين وثابتتي النظرات وفمه صارم بشكل ضعيف أثناء تراجعه.

لم تتمكن بيث من التكلم. بدا الكلام بعيداً عنها عندما راقبته يستدير، ويمشي إلى سيارته. هي لا تفهمه. لا تفهم كيف يستطيع المغادرة في وقت كهذا، فكّرت بيث بانفعال شديد. لا بد أنه عرف بأنها منجذبة إليه. إنه رجل متمرّس في الحياة، برغم كل شيء، ويمكنه قراءة المشاعر غير المعلنة. وهي لم تكن تخفي مشاعرها تماماً.

عندما أوت بيث إلى الفراش أحسّت أنها بدأت تستعيد توازنها.

معرفتها أنها أثّرت فيه بشكل سريع الزوال لتمكنه من الرحيل في وقت كهذا، أغضبتها إلى أبعد حد. نعبت بومة خارج نافذة غرفتها مباشرة، لكن الصوت لم يخفها كما يفعل دائماً.

- لن أفكر في ذلك للحظة أخرى.

قالت الكلمات بصوت عالٍ، آملة أن يوضّح صوتها الأشياء وتابعت: «هو ذهب لأسبوع آخر، وهذا جيّد. إنه أمر رائع من غير ريب. إذا جاء في عطلة نهاية الأسبوع، لا شك بأننا سنمضي وقتاً رائعاً. وإذا لم يأتِ...».

كانت هناك حياة قبل تراڤيس وسوف تكون بعده. الأمر برمته ليس مشكلة حقاً، إلاّ إذا افتعلت هي واحدة. إنه أمر بسيط. لذا كل ما عليها القيام به الآن هو الخلود إلى النوم.

سبق لها أن أخذت حبة أسبرين لمعالجة ألم رأسها، والآن عزمت على إراحة نفسها بالقيام بتقنيات الاسترخاء التي تعلمتها إثر كارثة تحطّم زواجها. لم يكن الأمر سهلاً، لكنها ثابرت، وثابرت... مع ذلك، أشرقت الشمس قبل أن تغطّ في نوم مضطرب مليء بأحلام مزعجة.

الأيام القليلة التالية مرّت بالطريقة اللطيفة المتكاسلة نفسها التي تعودت عليها منذ انتقلت إلى شروبشير. نزهات مع هارڤي، وجبات حين تشعر بالجوع، نوم عندما تشعر بالتعب. لا أحد لتتحدث إليه إلاّ نفسها.

باستثناء ذلك اليوم، حيث بدا ذلك كله غير كافٍ. هنالك شيء مفقود، وهي لا تملك الجرأة لتكتشف ما هو هذا الشيء تماماً، لكن ما إن اقترب يوم الجمعة، حتى أصبحت متوترة مثل هرّة تقفز على صفيح حارّ.

أمضت يوم الخميس بتنظيف الكوخ، حتى أصبح كل جزء منه صقيلاً ولامعاً وأصبحت النوافذ برّاقة، أما يوم الجمعة فشغلت نفسها بالحديقة، وراحت تسقي النباتات، وتزيل الأعشاب الضارة. استمر الطقس الجيد رغم التحذيرات الملحة في نشرات الأخبار المنذرة بتوقع عواصف قوية.

عند الظهر تقريباً سمعت صوت السيارة قبل أن تراها، بدأ قلبها يضرب بسرعة، فوقفت على قدميها، ونظرت إلى الممر خارج حديقة الكوخ مظلّلة

عينيها بيدها المرتجفة. من الواضح أن هارفي تعرّف إلى صوت السيارة أيضاً، لأنه قفز إلى بوابة الحديقة حيث وقف ينبح باهتياج.

أثناء ترجّل تراڤيس من سيارة المرسيدس، كانت بيث قد استجمعت قواها. حيته بصوت لطيف وابتسامة دافئة قائلة: «مرحباً! إذاً، أتيت باكراً هذا الأسبوع؟».

فتح تراڤيس البوابة ثم أغلقها خلفه، مربتاً على ظهر هارفي، ثم مشى نحوها قبل أن يقول: «تأكدي أن لا شيء سيوقفني عن الحضور».

لم تعرف ما عليها أن تقول، وهو قريب جداً بمظهره الرائع ذاك.

تفحّص وجهها للحظة والتوت شفتاه بشبه ابتسامة، ثم تمتم قائلاً: «ناعمة كالحرير، شقراء ورقيقة الملمس. هذا ما فكرت به طوال الأسبوع».

ثم أخذها بين ذراعيه وعانقها بشدة، لكن رغم أن بيث بادلته العناق، بدا تراڤيس مسيطراً تماماً على نفسه. بعد لحظة أبعدها عنه وقال بهدوء، لامساً اللطخة على وجهها بإصبع متكاسل: «هناك بقعة على جبينك. ما رأيك بأن تذهبي وتنظفي وجهك بينما أضع أنا هارفي مع شيبا وسكاي في صندوق السيارة، ثم نذهب لتناول الطعام في منزلي الليلة؟ أحضرت شريحتي لحم وبعض الأطعمة اللذيذة».

أومأت برأسها موافقة، لأنها لم تثق بنفسها كي تتكلم بشكل جيد في هذه اللحظة. عاد تراڤيس وعانقها عناقاً سريعاً، ثم تركها واستدار مبتعداً مع هارفي الذي راح يقفز إلى جانبه.

فرحت بيث لأنه منحها بعض الوقت لتهدىء روعها أثناء استحمامها، وتغيّر قميصها والسروال القصير اللذين كانت ترتديهما وهي تعمل في الحديقة. بعدئذٍ ارتدت فستاناً صيفياً ناعماً. اعترفت لنفسها بأنها افتقدت تراڤيس في الأيام القليلة الماضية، هي لم تدرك كم اشتاقت إليه إلاّ عندما سمعت صوت سيارته تقترب.

عندما غادرت المنزل وانضمت إلى تراڤيس والكلاب في السيارة، بدأت

قطرات المطر الكبيرة بالانهمار وهدر صوت الرعد في السماء. لكن هذا لا يهم، لا شيء يهم لأن أمامها عطلة نهاية أسبوع بأكملها لتمضيها مع تراڤيس. مجرد التفكير بهذا يبدو مسكراً.

ركبت السيارة إلى جانبه، آملة أن تبدو هادئة وباردة أكثر مما تشعر. انحنى تراڤيس نحوها، فأصبح وجهه قريباً جداً، وراحت عيناه ذات الأهداب الكثيفة تومضان عندما ركز نظره على فمها. لمست إحدى أصابعه بنعومة خدها قبل أن تتحرك إلى ذقنها، وببطء تابعت إلى حنجرتها ثم انحرفت إلى كتفها ليقول بعدئذٍ: «فستان جميل».

ثم عانقها وأدار محرك السيارة.

أجابته بيث بتزمت، ودقات قلبها تتسارع: «شكراً».

ابتسم لها، فيما جسلها وميض شيطاني في عينيه تتساءل إذا كان يجدر بها اختيار فستان أخر. سألته بلطف: «هل مرّ الأسبوع بشكل جيّد؟».

نظر إليها قائلاً: «إلى حدٍ ما! أتناول الغداء وحيداً، والفطور يبدو أكثر وحدة».

ابتلعت بيث ريقها. إن كان يرمي إلى ما اعتقدت أنه يرمي إليه...

- ليس عليك أن تبقى وحيداً بسببي.

قالت بحذر متابعة: «أعني... أنا لا أتوقع أن تغيّر طريقة عيشك لأننا نلتقي عندما تكون في هذه المنطقة. إذا أردت... يمكنك مواعدة نساء أخريات، فلا بأس بذلك بالنسبة لي».

- تغيير طريقة عيشي؟

بدا صوته خالياً من التعبير، لكن شيئاً ما حذّرها بأنها أزعجته. تابع قائلاً: «ما هو تصورك لطريقة عيشي، بيث؟ علاقات لليلة واحدة؟ دوّامة من شريكات السرير؟ دفتر أسود صغير بجانب الهاتف، ربما؟».

لا، هي لم تفكّر بهذا. لا يبدو على تراڤيس أنه من الرجال الذين يقيمون علاقات مع عدد من النساء من هنا وهناك. إنه شخص مميز فائق الذكاء. ولا بد أنه يرغب بأكثر من مجرد علاقة جسدية من أي امرأة يتورط

www.elromancia.com

معها.

- أنا لم أقصد التلميح إلى ذلك.

نظرت إلى يديها، متسائلة لماذا تُدّر لها دائماً إفساد الأمور مع هذا الرجل، وأضافت: «أنا لم أفكّر أنك كذلك أبداً».

- أحقاً؟

توقف بحذر متابعاً: «هل أنت متأكدة من ذلك؟».

رفعت رأسها ونظرت إلى جانب وجهه، ثم قالت بحزم: «أجل، أنا متأكدة».

مرت لحظة من الصمت المتفجّر.

- جيّد!

بمجرد كلمة صغيرة، لكن بدا صوته دافئاً من جديد حين أضاف قائلاً: «لكن، للتوضيح فقط... دعيني أؤكد أن امرأة واحدة هي أكثر من كافية بالنسبة لي، لا سيما أن المرأة المعنية شقراء ذات عينين زرقاوين. هل فهمت ما أحاول توضيحه هنا؟».

- أنا فقط كنت أحاول أن أقول...

قاطعها قائلاً بلطف: «أعرف ما تحاولين قوله، بيث».

هذه المرة مرّت فترة صمت أقصر، لكن تراڤيس تابع قائلاً بالاندفاع نفسه: «لكنني أتوقع إخلاصاً بالمقابل، هذا ينطبق علينا معاً. بهذه الطريقة نعرف كلانا أين نقف».

أهو يفكر جدياً أن هناك فرصة لتعجب بشخص آخر عندما يكون هو موجوداً؟ قالت بسخط حقيقي: «أنا لا أستطيع أن أحلم برؤية شخص آخر، بالطبع لا يمكنني».

- ولا أنا أستطيع.

ابتسم تراڤيس، وبدت التسلية في صوته حين قال: «إذاً، لا بأس في ذلك، اتفقنا على المبادىء الأساسية، ما يعتبر بداية جيدة لأي علاقة. من الجيد توضيح الأمور، ما رأيك؟».

لم تحبه لكنها شعرت كأنها موجودة في غيمة من الدخان الكثيف حيث تسير ببطء دون رؤية أي اتجاه واضح. لقد أخافها... سَحَرها... أزعجها... وأحضر كل أنواع الأفكار والعواطف الغريبة إلى السطح، عواطف أقسمت منذ أسابيع أنها غير ممكنة. لكن برغم كل شيء لا يمكنها طرده من حياتها. ليس الآن... سوف تندم إلى الأبد إذا فعلت. هذا الانجذاب بينهما يجب أن يأخذ مجراه الطبيعي ويتضاءل تدريجياً، كما يحدث دائماً في مثل هذه الأمور. عندها فقط سوف تتمكن من فهم نفسها، وما تريده، وما هو ممكن في المستقبل.

عندما وصلا إلى المنزل، فتح تراڤيس الصندوق الخلفي للسيارة، وقفزت الكلاب الثلاثة إلى الخارج. بدا هارڤي مسروراً، من الواضح أن الكلبتين تقبلتاه، وهو مسرور برفقتهما.

بدأ المطر يتساقط بغزارة الآن، بحيث اشتدت العاصفة الصيفية فجأة، ورغم أنهما لم يسيرا سوى خطوات قليلة ليصلا إلى الباب الأمامي، أصبحت بيث تقطر ماء عندما وصلت إلى الردهة. أسرع تراڤيس إلى المرحاض في الطابق السفلي، وعاد مع منشفة، ثم ناولها إيّاها، فيما رفع شعره المبلل إلى الخلف غير آبه لقطرات الماء، وقال: «تفضلي. سأحضر بعض القهوة، أو ربما تفضلين فنجاناً من الشاي؟».

لم تعد تعرف ما الذي تريده بعد رؤية تراڤيس مبللاً بالماء على هذا النحو.

تدبرت القول: «شاي من فضلك».

- اختيار جيّد.

ابتسم لها، فاستجابت آلاف الأعصاب في جسدها كأنها أوركسترا من الإحساس الصافي.

ما إن وصلا إلى المطبخ الكبير، جلست بيث على كرسي عالٍ. حاولت التظاهر بأنها هادئة ومتماسكة أثناء اندفاع المطر بعنف على النافذة فيما هدير الرعد فوق رأسها يبدو منذراً بالسوء. لم تشعر أنها في أحسن أحوالها

مطلقاً أثناء العاصفة، لكن مع ثلاثة كلاب هادئة، ورجل مرتاح بشكل مطلق ومطمئن، تفضل بيث الموت على الاعتراف بتوترها. مع ذلك، ما إن تفرّع شقّ عنيف من البرق بوضوح في السماء، حتى أحسّت بنفسها تجفل، وعلى الفور نظرت عينا تراڤيس الرماديتان الثاقبتان إلى وجهها، وقال بلطف: «هل أنتِ بخير؟».

أومأت بيث برأسها مجيبة: «نعم، تفاجأت فقط، هذا كل شيء».

- عواصف الصيف هي الأسوأ دائماً.

فتحت فمها لتوافقه الرأي، لكن كلماتها لم تُسمع عندما دوى صوت الصاعقة كصوت انفجار هز النوافذ حولهما، فصرخت، ولم تستطع تمالك نفسها. لكن، بما أن الكلاب بدأت تنبح بجنون ضاعت صرختها في الضجيج الصاخب. في اللحظة التالية اقترب تراڤيس منها وأخذها بين ذراعيه، متمتماً بصوت مهدىء: «لا بأس، لا ترتعبي. أعتقد أنها ضربت شيئاً ما في الخارج، لكن ليس المنزل».

اكتشفت بيث أنها ترتجف حين قالت: «لكنه صوت قوي جداً».

أجلسها على الكرسي، ومشى نحو النافذة محدقاً إلى الخارج، فيما اندفع المطر بغزارة على الزجاج. قال بعد لحظة: «يبدو أنها إحدى أشجار السنديان، قسمها البرق إلى نصفين».

انضمت بيث إليه عند النافذة، حيث وضعت يدها على فمها، ونظرت برعب إلى ما يبدو فعلياً نصف شجرة كبيرة ممددة في المرجة.

- شيء فظيع!

همست بيث ونظرت إلى الجزء المكسور المتبقي الذي يبدو واضحاً في الطوفان وأضافت: «لن تنمو من جديد. أليس كذلك؟».

- إنه غصن رئيسي، والشجرة انشقت إلى نصفين عند الجذع، لكن مرونة الطبيعة مذهلة، سوف أحضر مهندساً زراعياً جيّداً، وبقليل من الثالبوم يمكن أن تلتئم. حتى في أقسى العواصف، ليس عليكِ أن تقبلي الهزيمة والخضوع.

لم يعد يتكلم عن شجرة السنديان... نظرت بيث إليه حين استدار ونظر إلى الوجه الشاحب قبل أن يضمها إليه من جديد. أحست بيث بحرارة أصابعه، فتسلل خدر بطيء ومتكاسل إلى أوصالها. ارتجفت عندما راحت أصابعه تلامس وجنتيها، أذنيها، رقبتها، فتجمعت الأحاسيس بقوة إلى أن أصبحت حارّة بشكل متقد. دارت رائحته العطرة في رأسها، ووجدت بيث أنها ليست قريبة منه بما يكفي، فتمسكت بكتفيه العريضتين. الصحوة التي أيقظها فيها سرت مثل النار في داخلها، وراحت تنتشر بشكل خطر، ولم تعد لديها أي نية في التراجع أو محاولة إيقاف السحر الذي حاكه حولها. اكتشفت لتوها عالماً مختلفاً، وكوناً مختلفاً، وكل شيء آخر ذاب واختفى.

حملها تراڤيس إلى غرفة الجلوس حيث جلس على أريكة منخفضة وأجلسها إلى جانبه، وعاد يعانقها ثانية، فتوقفت بيث عن التفكير. لم تأبه أين هما ما دام يغمرها بذراعيه. للحظة التمع شيء في العينين الرماديتين، ثم انسدل فوقهما ستار مخفياً العواطف، وقال تراڤيس بهدوء: «أنت تصيبيني بالجنون».

أجاب بذلك عن السؤال غير المعلن في وجهها، وأضاف: «إنها البداية، لكنني أرغب بأكثر من فضولك، لذا علينا التعرف إلى بعضنا أولاً كما اتفقنا».

اعتقدت بيث أنها هي من قرر هذا، والآن هي غير متأكدة. حدّقت إليه، وهي تشعر أن الأرض تتحرك تحت قدميها من جديد، في حين اعتقدت أنها وصلت إلى اليابسة. ثم غمرتها من جديد تلك المشاعر القديمة من الخجل، الإهانة، والرفض التي حملتها من خيانة كيث. كل ما يقوله تراڤيس لم يقنعها. إنه فقط لا يريدها، وهو ليس منجذباً إليها.

- أنا أشعر بالانجذاب نحوك، بيث.

كما فعل مرّات عدة من قبل. إنه يستطيع قراءة أفكارها. تابع قائلاً: «سوف أبرهن لكِ ذلك يوماً ما، أعدكِ. لكن الآن عليكِ أن تثقي بي».

ومضت عيناها ونظرت إلى الأسفل، لكن ليس قبل أن يدرك تراڤيس ما

تقوله نظراتها كما أكدّت كلماته حين قال: «وأنتِ لست هنا حتى الآن، أليس كذلك؟ لذا... لننتظر إلى أن تفهمي».

عادت الغيمة الدخانية الكثيفة مضاعفة. سأله بيث: «أفهم ماذا؟».

- يوماً ما ستعرفين.

مدّ يده الدافئة والحازمة وأخذ يدها قائلاً: «هيا لنحتسي الشاي».

٩ - اعتراف كاذب

خلال الأسابيع التالية، بدأت بيث تعتقد أنها كلما عرفت تراڤيس أكثر كلما فهمته أقل، وكلما فهمت نفسها أقل أيضاً، عندما يتعلق الأمر به.

في بداية شهر آب، وبعد مرور ثلاثة أشهر على تعارفهما قرر تراڤيس إقامة حفلة كبيرة لمناسبة عيد ميلاده الخامس والثلاثين، دعا إليها العديد من أصدقائه. أتى ميشال وكاثرين أيضاً، وكررت شقيقة بيث تأكيدها وموافقتها على تراڤيس عدّة مرات خلال العطلة.

- إنه وسيم جداً، نيدي! لكنك تعرفين هذا، أليس كذلك؟

بعدئذٍ تنهدت كاثرين حالمة، وكان ذلك مساء يوم الأحد عندما كان الجميع يتناولون اللحم المشوي، فيما علت أصوات الحديث والضحك حولهما وهما جالستان معاً على أرجوحة في ظل شجرة الزان.

أخذت كاثرين حبة قريدس طرية قبل أن تضيف بمكر: «أراهن أنني محقة بشأن اهتمامه بك ورغبته بأن تصبحا حبيبين، أليس كذلك؟ إنه ذو مشاعر ملتهبة. اعترفي بهذا».

ابتسمت بيث بضعف قائلة: «أنتِ تعرفين... لا يمكنني التحدث في مثل هذه الأشياء».

- قومي بأمر استثنائي... هذه المرة فقط.

- آسفة!

ملأت بيث فمها بشريحة لحم.

- بأي حال، أعرف أنني محقة.

ابتسمت لها كاثرين بسعادة، مضيفة: «رأيت الطريقة التي تنظرين فيها

www.elromancia.com

إليه والطريقة التي ينظر فيها إليكِ. أنتما الاثنان ملتهبا المشاعر».

وكزت بيث شقيقتها في ضلعها وضحكتا معاً، لكن ما إن انتهت عطلة نهاية الأسبوع وأصبحت وحدها من جديد، أطالت بيث التفكير في حديثهما. تراڤيس شخص لبق جداً وخبير تماماً في إقامة علاقة حب، هذا أمر أكيد، لكنه يتوقف دائماً قبل أن تتطور الأمور. عناقه ولمساته تخلق فيها شوقاً يجعل كبرياءها تطير من النافذة، لكن هناك أمر يمنعها... كلمة واحدة صغيرة: الثقة. هي لا تثق به، ولا تثق بأي رجل. لن تفعل هذا ثانية أبداً، فالانتحار العاطفي ليس خياراً.

تنهدت بعمق، ما جعل هارڤي يقترب ويضع رأسه الكبير على ركبتيها، وقد بدت عيناه البنيتان متسائلتين. عطلة نهاية الأسبوع هذه بدت مقلقة بشكل بارز، على الأرجح لأنها أكدت لها شيئاً ما تحاول بيث تجاهله منذ بضعة أسابيع. لا يمكنها المضيّ في علاقتهما هذه. إنه أمر سخيف، وكل شيء يصبح أسخف أسبوعاً بعد أسبوع. لكنهما وصلا إلى مرحلة التورط العاطفي. اقترحت على هارڤي: «أنذهب في نزهة؟».

الكلمة السحرية جعلته يركض إلى الباب الأمامي، وبالرغم من أفكارها لم تستطع بيث إلا الابتسام لحماسته. تساءلت كيف سيعود هارڤي إلى الروتين العادي في لندن عندما يغادران هذا المكان.

توقفت لتملأ حقيبتها بقنينتي ماء ووجبة خفيفة للغداء، ثم انطلقت مصممة على طرد الكآبة بالمشي.

مع ذلك لم يكن النجاح حليفها هذه المرة. لا الهواء الدافىء المعطر، ولا استمتاع هارڤي بمحيطه، ولا حتى القاوند بألوانه الساطعة والذي لمحته بيث وهي في طريق العودة إلى المنزل في وقت متأخر تمكن من جلب السرور إلى نفسها.

ماذا دهاها؟ هبط المساء وما زال أمامها بضعة أميال لتمشيها قبل أن يطل عليها الكوخ، لكنها جلست على ضفة النهر مباشرة فانتهز هارڤي الفرصة ليشرب. يجب أن يكون هذا مساءً صيفياً بامتياز. إنه ممتاز

باستثناء... أنها وحيدة... وهي مشتاقة لشخص واحد فقط.

- لا!

قالتها بصوت عالٍ، وكأن هذا سيساعدها في إنكار شعورها. إنها تفتقد تراڤيس. ودّعته الليلة الماضية فقط، لكنها تفتقده الآن. لم تفتقد بيث فقط المشاعر التي يثيرها فيها عندما تكون بين ذراعيه، بل إنها تفتقده هو؛ حسّ الفكاهة الذي يميزه، حديثهما معاً، الوقت الذي يمضيانه سوياً... وكل شيء.

- أنا لا أريد هذا!

تكلمت بصوت عالٍ من جديد، لكنها الآن تمكنت من سماع الذعر في صوتها. هي لا تريد أن تحتاج إليه في حياتها. يفترض أن تكون هذه الفترة عطلة رومنسية غير رسمية، وهذا كل شيء. لا يفترض بها أن تقع في حبّه. تقع في حبّه؟! من أين أتى هذا؟

ترددت الكلمات في رأسها، ودارت لتدخل في إطار وعيها؛ الحبّ! وضعت يدها على قلبها الذي راح يضرب بقوة ما جعلها تشعر بالمرض.

إنها تحبه! معرفتها بذلك واضحة ولا يمكن إنكارها، لكن ليس لديها الشجاعة للاعتراف بذلك. هذا ما فعلته حقاً: وقعت في حب تراڤيس بلاك... وقفت على الفور ونادت هارڤي، الذي أتى فوراً. بدا واضحاً أنه جاهز للعودة ولتناول عشائه. هي لا تريد أن تغرم بتراڤيس بلاك... لا يمكنها أن تحبّه. مع الحب تأتي كل أنواع التعقيدات التي يمكنها الاستغناء عنها. تابعت سيرها ببطء، فيما الأفكار المقلقة تشغل ذهنها، ما جعل ظهور الكوخ المحاط بالشفق الصافي أمامها شيئاً مفاجئاً.

تراڤيس لا يريدها أن تغرم به، وهي لا تريد ذلك أيضاً. أعلنت بيث ذلك لنفسها بانفعال شديد بعد لحظة، عندما كانت تحضّر عشاء هارڤي. آه! هو يريد صداقتها وثقتها هذا ما أوضحه لها. هذا مختلف تماماً عن الحب. في الواقع، إنه بعيد ملايين السنين الضوئية.

في الواقع أخبرها تراڤيس في بداية علاقتهما أنه أحب شخصاً ما، لكنه

خسر حبّ حياته، مع أنه لم يقل ذلك بكلمات صريحة. في ذلك الوقت لم تشعر أنه بحذرها من أن أي علاقة يقيمها مع امرأة أخرى سوف تكون محدودة. . . هي نفسها كانت تشعر حينها بأنها مشوشة ومرتبكة، لكن ربما يكون ذلك تلميحاً مهذباً لتلك الحقيقة. أجل بعد التفكير بذلك الآن، باتت متأكدة من هذا.

حضّرت بيث فنجاناً من القهوة لنفسها، وحملته إلى الحديقة الخلفية الصغيرة، التي بدت معتمة وهادئة الآن. راحت ترتشف القهوة المعطّرة، في حين استلقى هارفي عند قدميها. كيف وصل هذا الحب إليها؟ سألت نفسها بضعف. متى تحوّل الانجذاب الجسدي والافتتان إلى شيء أعمق؟ لا يمكنها تحديد أي شيء، لكنها تغيّرت. ربما جاء هذا الحب تدريجياً وبشكل ثابت في الأسابيع الماضية، عندما أقحم تراڤيس نفسه في حياتها. فهو أخذ يتحدث إليها، ويكشف أشياء كثيرة عن نفسه.

تارة يجعلها تضحك، وتارة يثير جنونها. أهذا ما حصل؟ أيمكن للمرء أن يغرم بشخص من دون أن يثق به؟ عبست في الظلام. بالتأكيد الحب والثقة هما رفيقان لا يفترقان!

ربما لو كان تراڤيس رجلاً عادياً، رجل عائلة قوي لا يملك أي شيء يميزه عن بقية الناس، لربما كان هناك احتمال بأن تخفف من دفاعاتها وتحاول إدخاله إلى حياتها. لكن تراڤيس بعد سنوات ضوئية عن الرجل العادي. الحفلة هذا الأسبوع كانت خير دليل على كيفية سير الأمور. كل الرجال يرغبون في أن يكونوا تراڤيس بلاك، وكل النساء، حتى اللواتي يعشن حياة زوجية سعيدة مثل كاثرين، يعتقدن أنه رائع وساحر، ولا يجدن في ذلك حرجاً. عندما تذكرت كم من النساء حاولن أن يستملنه. . . !

من هي تلك المرأة التي رفضت حبّه؟ اكتشفت بيث أنها تمسك بفنجان القهوة بشدة، لدرجة أنها تكاد تكسره، فأجبرت نفسها على إرخاء قبضتها. عضّت بقسوة على شفتها قبل أن تشرب القهوة المتبقية، ثم تتابع جلستها في الظلام. مع ذلك، أحست أن الهدوء الطبيعي الذي يمنحه هذا المكان عادة

مفقود.

بعد دقائق قليلة، جعلها جرس هاتفها الجوال الذي تركته في حقيبتها في المطبخ تقف على قدميها. عندما دخلت إلى المنزل، نظرت إلى ساعتها: إنها الحادية عشرة، وهو وقت متأخر لاتصال كاثرين. بدأ قلبها يضرب بقوة. اعتاد تراڤيس الاتصال بها في وقت متأخر، مرّة أو اثنتين في الأسبوع. وحتى الآن، هي ترفض الاعتراف بأنها أصبحت تشعر بخيبة أمل عندما لا يتصل بها.

- مرحباً، بيث.

جاء صوته عميقاً ودافئاً، وتابع قائلاً: «لم أوقظك. أليس كذلك؟ أعرف أن الوقت متأخر».

- لا! كنت جالسة في الحديقة، أشرب القهوة.

أضافت بحذر: «هل من شيء ما؟».

- نعم. . . الكثير!

بدا تراڤيس مستاءً، وأضاف قائلاً: «الشيء الأساسي هو أنني أنا في بريستول وأنتِ في شروبشير».

سادت فترة من الصمت، واكتشفت بيث أنها عاجزة عن خرقها تماماً. عاد تراڤيس يقول بلطف: «هل افتقدتني؟ ألا تتمنين أن أكون معك؟».

جداً! أجبرت نفسها على أن تقول بلطف: «أنت رحلت في وقت متأخر الليلة الماضية فقط».

- هذه ليست إجابة عن سؤالي.

أغمضت عينيها بإحكام. هذه الأيام باتا ينغمسان في مثل هذا النوع من المزاح معظم الأوقات، لكن، الآن، لم تعد تستطيع المضي في هذه اللعبة. أدركت أنها تلعب بالنار منذ أشهر، والآن يجدر بها أن تعي أن المسألة لا تحتمل المزاح، وأنها ستحترق بتلك النار.

أخذت نفساً عميقاً وطويلاً، يجب ألا يدرك مدى تأثيره فيها. لم يستطع كيث أن يجرحها، لكن تراڤيس سيفعل. ليس لأنه سيتعمد القيام بذلك،

فهو بعيد تماماً عن هذا. لن تعرف لحظة هدوء إذا أصبحت امرأته بكل ما للكلمة من معنى. فمنذ اللحظة الأولى التي سيرتبطان فيها معاً ستبدأ هي بترقب الوقت الذي سيتعب فيه منها ويذهب إلى امرأة أخرى ترمي بنفسها عليه. وسوف يحصل هذا عاجلاً أم آجلاً.

- بيث؟!

ما زال صوته دافئاً، لكنها اكتشفت نوعاً من الاستياء فيه. أضاف قائلاً: «ما الأمر؟».

- لا شيء.

تمنّت لو أن لديها مشروباً أقوى من القهوة ليعطيها الشجاعة للقيام بما توشك أن تقوم به. قالت: «في الواقع، كنت سأتصل بك غداً. أردت أن تكون أول شخص يسمع قراري. إنني أشعر بالتحسن، وأعتقد أن الوقت حان لأعود إلى العمل، وأستأنف المشاريع من جديد».

مرّت فترة من الصمت، ثم قال تراڤيس بصوت ثابت خال من أي تعبير: «فهمت. اعتقدت أنكِ ستمكثين في الكوخ لستة أشهر كاملة. ألم تكن هذه خطتك؟».

ابتلعت ريقها مضيفة: «نعم. لكن... أشعر أنني بخير الآن و... وفي بعض الأحيان أشعر بالملل هنا».

حاولت إدخال إشارة من الحقيقة في كذبتها.

هذه المرة بدت فترة الصمت أطول، وأخيراً قال: «حسناً! سوف نتحدث عن هذا في عطلة نهاية الأسبوع».

هذا ليس جيداً. هي تعرف أن هذا جُبْن منها، لكن يجب أن يتم الأمر بطريقة مهذبة بعيدة عن كل اتصال بينهما. فتحت فمها لتقول إنها تكون قد رحلت في نهاية الأسبوع، لكن شيئاً ما أوقفها، فتراڤيس قادر تماماً على المجيء فوراً لرؤيتها. في الواقع، هي متأكدة أنه سيقوم بهذا. أصبحا قريبين من بعضهما في الأشهر الماضية، قريبين جداً. لو أن شخصاً ما قام بما تخطط للقيام به، لاعتبرت أنه أحقر شخص في العالم. لكنها لا تستطيع

تحمل رؤية تراڤيس من جديد.

- بيث؟!

حثّها من جديد على الكلام، صوته هذه المرة حمل إشارة قلق، ما جعلها تشعر بأنها شخص جدير بالازدراء.

- هل حدث أمر ما؟ هل أنت بخير؟

لا! هي ليست بخير. لن تكون بخير طوال حياتها. لماذا جعلها تغرم به؟ كيف أمكنها أن تكون غبية جداً لتعتقد أن بإمكانها التعامل مع هذا الأمر ببساطة مطلقة؟ قالت بنبرة فاترة: «أنا بخير».

لجأت إلى عبارة فرار كونية قائلة: «أعاني من وجع في الرأس، هذا كل شيء. ربما السبب هو الطقس الحار».

- وجع في الرأس؟!

تراڤيس هو تراڤيس! لم يحاول حتى التظاهر بأنه صدقها، بل أضاف بطريقة مشكّكة: «هل تناولت دواء ما... أسبيرين، باراسيتامول؟».

- بالطبع.

كشّرت على الهاتف. كيف يعرف دائماً أنها تكذب؟ إنه تحرٌّ خبير بكذب الإنسان.

- إذاً، سأقفل الخط، وأدعكِ تذهبين إلى الفراش. عمت مساء بيث.

قالها بشكل فظ بارد متابعاً: «أتمنى لك نوماً عميقاً».

لم ينتظرها لتجيبه حتى. طرفت بيث بعينيها؛ لا أحلام سعيدة، لا محاولة لإقناعها بالإفصاح عما في داخلها. ليس لأنها ستفعل ذلك بالطبع، لكن على الأقل يمكنه المحاولة.

أجهشت في البكاء ثم راحت تذرع المكان لعشر دقائق، قررت بعدها الاتصال بتراڤيس ثانية، إلا أنها توقفت قبل إنهاء الرقم. كررت ذلك لكنها لم تصل إلى أبعد من نصف الرقم في المرتين الثانية والثالثة.

أصبحت الساعة الثانية فجراً قبل أن تأوي أخيراً إلى سريرها، فيما قاطع نعيب البومة نومها حتى الرابعة. لا بد أنها غفت في وقت لاحق لأنها

عندما استيقظت على صوت نقرة على الباب الأمامي كانت أشعة الشمس تغمر الغرفة.

- صباح الخير.

بدا تراڤيس كعارض لأحد المصممين، ببذلته الباهتة اللون، وقميصه الزرقاء القاتمة الخالية من العيوب، وشعره الأسود الذي يلمع تحت أشعة الشمس. حدّقت إليه بيث بحماقة، محاولة صياغة كلام مترابط بعيد عن التشوش الحاصل في عقلها.

سألها ببرودة: «هل أستطيع الدخول؟».

- آه! أجل... أجل، تفضل.

وقفت جانباً، ساحة له بالمرور من أمامها. ما إن أغلق الباب، تدبرت القول مدركة أن هذا ما يجدر أن يكون بداية لكلامها: «ماذا تفعل هنا؟».

- جئت لأراكِ.

لم يبتسم، ولاحظت أنه لم يحضر معه كعكاً محلّى أو أصنافاً أخرى من الطعام كعادته. بدأ قلبها يضرب بقوة.

- شعرت بأن علينا التحدث.

- كم الساعة؟

نظرت بضعف إلى الساعة المعلّقة على الحائط فوق المدفأة. إنها الثامنة! لا بد أنه استيقظ عند انبلاج الفجر.

- أتريد قهوة؟

سألته بضعف، مطقطقة أصابعها لهارڤي، فيما منح هذا الأخير تراڤيس ترحيباً كالعادة.

قال بصوت مهذب لكنه لا مبالٍ: «شكراً».

- سأخرج هارڤي أولاً.

فتحت الباب الأمامي من جديد، وسمحت للكلب الكبير بالخروج في جولته المعتادة حول الحديقة الأمامية، قبل أن تدخل إلى المطبخ وتحضّر بسرعة كوبين من القهوة الفورية.

عندما عادت كان تراڤيس واقفاً في المكان نفسه وما زال وجهه خالياً من أي تعبير. أخذ كوب القهوة بإيماءة، رافضاً دعوتها للجلوس. انتظر حتى جلست على الأريكة قبل أن يقول: «إذاً؟».

بدت نظرته الرمادية ثاقبة وهو يضيف: «ما هذا، بيث؟ لنناقش الأمر».

- ماذا تعني؟

- صحّحي لي إذا كنت مخطئاً، لكن عندما قلت إنك ستغادرين لم تقصدي شروبشير فقط، أهذا صحيح؟

نظرت إليه بضعف قائلة: «أنا لم أقل هذا».

أصرّ بتجهم قائلاً: لكن هذا ما قصدته بكلامكِ».

يمكنها أن تخدعه، فتختلق بعض الأعذار، لكن تحريف ما يبدو واضحاً سيؤدي إلى وداع فظيع.

- أجل.

رفعت نظرها عن القهوة مضيفة: «أنا قصدت هذا. أنا... أنا أعتقد أن الأمر سيكون أبسط إذا ودعنا بعضنا اليوم».

عيناه الرماديتان أصبحتا صلبتين وعنيدتين حين سألها: «لمن؟».

- لكلينا.

قالت بيأس مضيفة: «أمضينا... أمضينا وقتاً ممتعاً... وكان ذلك رائعاً، لكن ما إن أعود إلى لندن سيكون من الصعب رؤية بعضنا. المسافة...».

قاطعها ببرودة شديدة: «هذا هراء! وأنتِ تعرفين ذلك».

نظر إليها مباشرة لكنها لم تستطع تحديد ما يفكر به. تعابيره بدت غامضة، خالية من العاطفة، مثل لاعب بوكر مصمم على ألاّ يفصح عن أي شيء. فجأة أدركت أن هذا ما جعله رجل أعمال ناجح.

راحت تناقشه بتعاسة قائلة: «بالطبع، المسافة أمر هام. المسافة الطويلة... تتطور العلاقات دائماً بشكل خاطئ».

www.elromancia.com

– نحن لا نتحدث عن مسافة بين القارات، بيث. بالكاد هناك أميال قليلة بين مدينة وأخرى. لذا، لنتوقف عن تقديم الأعذار. اعتقدت أن كل شيء يجري بشكل جيد بيننا... ما الذي تغيّر بين ليلة وضحاها؟ هل أزعجك أحد خلال عطلة نهاية الأسبوع؟ هل سمعت شيئاً؟ ماذا حصل؟

شعرت بجفاف في حنجرتها. شدّت حزام ردائها حولها قائلة: «ألا يمكنك أن تقبل فقط بأن نودّع بعضنا الآن؟».

– لا، بيث. لا أستطيع.

بدا جسده هادئاً، تحت السيطرة. تابع قائلاً: «سوف تتحدثين إليّ هذه المرة. افتحي ذاك الصندوق المغلق في رأسك. كنا منسجمين تماماً معاً. كنا سنصل إلى مكان ما، وبدا هذا جيداً، أعتقد...».

توقف فجأة فسألته بيث بتردد: «ماذا؟».

لوّح بيده بنفاد صبر قائلاً: «لا تهتمي. هذا لا يتعلق بي بل بك. إذاً، ما الذي أعادنا إلى البداية؟ ما الخطأ الكبير الذي حصل ليجعلك تهربين خلسة دون أن تعطيني حق الشرح؟».

أرادت أن تكسر القيد الذي تفرضه عيناه عليها، لكنها لم تستطع. قالت: «أنا... أنا أخبرتك في البداية كيف جرت الأمور معي. أنا لم آت إلى هنا بحثاً عن علاقة...».

– لكن عندها قابلتني.

قاطعها بغطرسة كبيرة مضيفاً: «... وتغير كل شيء».

هي لا تريد أن تؤذيه، أخبرت نفسها ذلك بصراحة. لا بد أن كبرياءه سوف تنهار، لكن المسألة لن تكون صعبة عليه كما لو أنه أحبّها. خلال أسابيع أو حتى أيام، سوف يلتقي امرأة أخرى، ومن الممكن حتى أن يلتقي بواحدة تعوّضه حبّه الضائع.

تجاهلت الألم الذي أثارته فيها الفكرة، وقالت: «لا أستطيع أن أكون ما تريدني، تراڤيس. يجب أن تعرف هذا الآن، بأعماق داخلك».

أطلق تراڤيس شتيمة بهدوء لكن بشكل فظ، وللحظة سقط القناع.

أجابها قائلاً: «أنا لا أريدك أن تكوني أي شيء غير نفسكِ، ولن أفعل أبداً. أعتقد أنني أوضحت هذا تماماً».

أعلنت بيث بصراحة قائلة: «تريدني أن أثق بك».

– وهل هذا أمر صعب للغاية؟

– أجل... بالنسبة لي.

الآن بدأت تصرخ بصوت عالٍ، لكنها لم تأبه بذلك، وتابعت قائلة: «إنه أصعب شيء في العالم، إذا رغبت بأن تعرف. ولا أستطيع أن أفعله ببساطة شديدة... أنا لا أستطيع الوثوق بك».

– غبية!

بالمقارنة معها كان تراڤيس يتكلم بهدوء مفرط، قال متابعاً: «أنت لا تريدين هذا، هناك فرق».

– لا أستطيع، لا أريد، مهما يكن.

راح جسدها كله يرتجف.

أطلق تراڤيس شتيمة من جديد، لكن هذه المرة بدا عليه الغضب بل الغضب الشديد. عندما مشى نحو الأريكة وأوقفها واضعاً ذراعيه حولها، لم يكن لدى بيث أي نيّة بالمقاومة، لكنه لم يحاول معانقتها كما توقعت. بدلاً من ذلك، بالكاد أبقاها قريبة من جسده القوي، وقال بصوت هادئ من فوق رأسها: «لماذا تفعلين هذا بنفسك الآن، حبيبتي؟ ليس هناك حدود للوقت إلاّ في عقلك، وأنت بالتأكيد تعرفين هذا».

إنها كلمة «حبيبتي» التي أثّرت فيها بقوة. لتمكنت من الصمود أمام قلة احترامه أو غضبه، لكن ليس أمام تلك الكلمة الحنونة، انهمرت الدموع على وجنتيها، وسحبت نفسها بعيداً عنه، مغطية وجهها بيديها أثناء بكائها قائلة: «اذهب، من فضلك اذهب. أنا لا أريدك هنا... يجب أن ينتهي هذا الآن... من فضلك، تراڤيس».

لم يقم بأي محاولة لغمرها من جديد، لكن صوته جاء عنيداً حين صرّح قائلاً: «لن أغادر، بيث».

www.elromancia.com

- من فضلك!

لم تشعر من قبل بمثل هذا الألم، بمثل هذا اليأس...

- لا!

ثم غمرها بذراعيه من جديد قائلاً: «ليس قبل أن أدخل كلاماً منطقياً في رأسك المجنون. أنا لن أسمح لما فعله ذلك الزوج السابق الغبي بأن يخرب حياتنا. خلال الأسابيع الأخيرة بدوت سعيدة، أعرف ذلك. حسناً! أنا لست كاملاً، لكنني أعرف عندما يكون الشيء صحيحاً أو خاطئاً، ونحن منسجمان معاً. ربما لم يكن عليّ الانتظار، ربما كان علي مصارحتك منذ أسابيع، لكن ذلك يمكن أن يعالج حالاً. أولاً أود إخبارك شيئاً: أنا أردت الانتظار، كي أعطيكِ وقتاً إضافياً لتتعودي على وجود شخص في حياتكِ من جديد، لكنك الآن تفسدين المسألة. أنا لا أريد علاقة عابرة معكِ، بيث، ولم أفكر بهذا أبداً. لقد أقمت علاقات عابرة بشكل كافٍ، لذا أعرف متى تكون العلاقة حقيقية».

- ماذا؟

لم تستطع فهم كلامه. سمعت ما يقوله لكن الكلمات اختلطت في رأسها فلم تتمكن من فهمها.

أبعدها عنه قليلاً، ركز نظراته على وجهها الذي أصبح الآن أبيض اللون، وقال ببساطة: «أنا أحبكِ. وقعت في حبكِ منذ اللحظة التي رأيتك فيها وأنت تقفين في الظلام، مرتدية ثوب النوم القرنفلي المضحك المغطى بالأوساخ. أريد أن أتزوجكِ، بيث. أريد أن أستيقظ كل صباح وأراكِ بجانبي حتى نهاية عمري».

- لا!

أحسّت بأنها مخدّرة، أضافت قائلة: «لا! لا يمكنك أن تحبني. قلت إنكَ خسرت المرأة التي تحبّ. أنت قلت ذلك».

أصبح نظره أكثر حدّة، وعرفت أن ردة فعلها لتصريحه ليست ما أمل به. قال ببطء: «أعتقد أنني قلت إن المرأة التي أحب لا تبادلني الشعور

نفسه. وهذا مختلف».

- لكن... لكن جعلتني أصدّق...

لم تستطع متابعة كلامها، لكنه بأي حال عرف ما تحاول قوله. أجابها قائلاً: «لو أخبرتك بحقيقة شعوري في ذلك الوقت، لأخافكِ ذلك حتى الموت، ولأعادك بالتأكيد إلى لندن. آه! لقد أخافني أيضاً، إذا أردت معرفة ذلك، وهو ما زال يخيفني».

- لكنك لم تكن تعرفني في ذاك الوقت.

تابعت قائلة: «الحب من النظرة الأولى هو وهم، الكل يعرف ذلك».

- أنا أعرف أنكِ موجودة في روحي قبل هذا الوقت، هذه هي الطريقة الوحيدة التي أستطيع فيها شرح هذا الأمر. لو أن شخصاً آخر أخبرني منذ أشهر أنني سأقول هذا، لضحكت من كلامه. كنت أتمتع بحياتي، ولم أرغب بالوقوع في الحب، لم أرغب في أخذ أي شخص بعين الاعتبار، ولطالما أعجبتني طريقة عيشي، حيث لا أستجيب لأحد وأبقى حراً كالعصفور. لكن هذا كله تغيّر في لحظة.

قالت بصوت مخنوق: «من فضلك، لا تقل المزيد...».

- مشيت على قشر البيض طوال الأشهر الثلاثة الماضية بيث، وقد أرهقني ذلك. والآن ها أنت تقولين لي إنك جاهزة لتهربي لذا لا شيء أخسره في تسمية الأشياء بأسمائها، أليس كذلك؟ أنا أحبكِ.

ارتفع صوته، لكنه عاد وسيطر على نفسه مباشرة مكرراً بلطف: «أحبك بيث. ومهما قلتِ، أنا لا أصدق أنك غير مبالية بي. أنتِ تغيّرت في الأسابيع القليلة الماضية، وأنا أدركت هذا إن لم تدركيه أنتِ. لن أدعك تنهين علاقتنا لأنكِ ترسمين الرجال كلهم بالفرشاة نفسها. مهما كانت قصتك مع كيث سيئة، يجب أن تواجهي حقيقة أنك لا تستطيعين العيش في وهم».

- أنت لا تفهم.

رفعت بيث رأسها لكنها بالكاد استطاعت رؤيته من خلال سديم من

الدموع.

- لن أتظاهر بأنني أعرف. لم أتزوج من قبل، ولم أسلم حياتي لشخص ليتخل عني بأسوأ الطرق الممكنة، لكني أحببت أشخاصاً وخسرتهم. أنا أعرف معنى الحزن، خسارة كيرك علّمتني ذلك.

- أنا... أنا فقدت والديّ، لذا أعرف ما تعني، لكن هذا شيء مختلف تماماً.

حدّق إليها ملياً، وهذه المرة رأت الغضب يلوّن اللون الرمادي الصافي. ثم قال بنبرة حازمة: «أجل، الأمر مختلف، لذا عليك التوقف عن رثاء الذات والاعتقاد بأن العالم يدور حولك فقط».

صُدمت بيث كلياً. في كل الأوقات التي أمضياها معاً، لم يتكلم تراڤيس معها بمثل هذه الطريقة أبداً.

- يختبر الناس ظروفاً أسوأ مما اختبرته أنتِ.

تابع عندما لم تجبه مضيفاً: «أنا لا أقلل من أهمية ما عانيت منه، لكنك خرجت منه سالمة... وما زلت على قيد الحياة. هل تريدين إخباري بأن هذا كله لا شيء؟ وبأنك سوف تسمحين لمختل العقل ذاك بالضحك في النهاية؟ أين العزيمة التي جعلتك تجتازين مشكلة الطلاق؟».

- كيف تجرؤ على التكلم معي بهذه الطريقة؟

بدد الغضب حذر الصدمة لديها، وتوهّجت عيناها فيما كررت: «كيف تجرؤ؟».

- لأنني أحبكِ! هذا هو السبب. ربما سيكون من الأفضل لو أننا تقابلنا بعد بضع سنوات. ثمانية عشر شهراً ليست مدة كافية لتتوصلي إلى تفهم الأمور. لكن هكذا هي الحياة.

- أريدك أن تغادر.

أجابها تراڤيس بتجهم: «أحقاً؟ أنا أريد أشياء كثيرة، لكن يبدو أنني لا أحصل عليها كذلك».

حاربت بيث لتحافظ على رباطة جأشها حين وقفت لتواجهه قائلة:

«هذا منزلي، وإن يكن بشكل مؤقت، وأنت غير مرحب بك بعد الآن».

تلاشى الغضب الذي دعمها حتى الآن، وتركها مذعورة. لا يمكنها أن تضعف... بل ليس عليها أن تبدو ضعيفة. قال إنه يحبها، وربما يفعل، لكن هذا لا يغيّر حقيقة أن تراڤيس هو رجل وسيم فائق الرجولة. كيف يمكنها، هي بيث مارتون، أن تأمل بالتمسك برجل مثله؟ هي لا تملك مواصفات مميزة، إنها امرأة عادية، لا شيء مميز فيها. إذا لم تكن كافية لكيث، كيف يمكنها أن تكون كافية لتراڤيس؟

- أنتِ لا تصدقين بأنني أحبكِ. أليس كذلك؟

بدا وجه تراڤيس قاسياً، وظهر مزيج من الألوان على عظام وجنتيه القاسية.

- أنتَ ربما تعتقد ذلك.

جاء صوتها غير ثابت، ومليئاً بالحزن، فيما تابعت قائلة: «في الواقع، أنا متأكدة من أنك تصدق هذا».

- لكن أنتِ لست متأكدة.

لانت ملامحه وأضاف بلطف: «إذاً لنتابع علاقتنا كالسابق إلى أن تتأكدي. هل تعتقدين أن بإمكانك أن تحبيني؟ لا يجدر بي أن أسأل، لكن...».

أشاحت بيث بوجهها. تلك الليلة التي هجرت فيها كيث بدت ذكرى غير واضحة في رأسها. يومها قيلت أشياء كثيرة، وعلا الصراخ، وكانت هي شديدة الاضطراب. لكن شيئاً ما ظل واضحاً كالبلور. وسط كل الاتهامات والاتهامات المقابلة، وسط كذب كيث والألم والانذهال اللذين شعرت بهما، سألته بيث لماذا فعل هذا بها، مع أنه قال إنه يحبّها فاستمرّ برؤية آنا ونساء أخريات؟

نظر إليها وقال ما يمكن أن يكون أصدق تعبير قاله في تلك الليلة: «لأنني تمكنت من ذلك. لأنك سمحت لي. لم تشكي أبداً بأي شيء قلته. لم تتشاجري معي أبداً عندما كنت أتأخر أو أذهب في رحلات عمل. أخذتِ

كل شيء بسطحية منذ تقابلنا».

يومها بكت لأنها أحبته، ولأنها وثقت به بكل خلية من خلايا جسدها. حينها نظر إليها كيث للحظة قبل أن يهز كتفيه.

حتى في تلك اللحظة عرفت أنه واثق من سلطته عليها، ومقتنع بقدرته على إقناعها. وهي من أعطته تلك القوة في البداية بحبّها له، بقولها له كل يوم إنها تعبده، بإيمانها به وإغماض عينيها وعقلها عن أيّ علامات استفهام تبرز على نحو غير متوقع خلال الأشهر الإثني عشر من زواجهما. وهذا ما دمّرها. رفعت رأسها، وقلبها يضرب بخوف وذعر. هذه المرة على تراڤيس أن يصدقها حتى لو كانت تكذب.

- لا!

وتابعت بشكل ثابت جداً: «لا أستطيع أن أحبك».

رأت الدم يهرب من وجهه، وللحظة مرعبة كادت تندفع نحوه لتتوسل إليه بأن يساعها، لتعترف بحبها له أكثر مما اعتقدت أنها يمكن أن تحب، وأنه كل شيء تريده في رجل. لكن خوفاً غامضاً شل أوصالها. العاطفة نفسها مكنتها من الوقوف كالحجر حين أومأ تراڤيس برأسه ببطء.

مر صمت مثير للأعصاب، قبل أن يقول دون أي روح: «إذاً ليس هنا حقاً ما يمكن إضافته، برغم كل شيء. وداعاً بيث».

راقبته وهي مخدرة الإحساس يستدير على عقبيه نحو الباب الأمامي. فتحه دون أن ينظر إلى الخلف. قفز هارڤي إلى الداخل، وما إن أغلق تراڤيس الباب خلفه، راح ينبح ويضربه بقوة بقائمتيه الأماميتين وكأنه يسأل ما الذي حدث.

لم ترجع بيث إلى رشدها إلا عندما سمعت صوت محرّك السيارة. ودون تفكير، ركضت في الغرفة وفتحت الباب، منادية باسمه. مشت باضطراب في الحديقة إلى البوابة، وهارڤي ينبح بقلق إلى جانبيها، لكن فات الأوان... لقد رحل. وهذه المرّة عرفت أنه لن يعود.

١٠ - المواجهة الأخيرة

حدّقت كاثرين إليها، مذعورة تماماً وقالت: «ماذا فعلت؟».

- أنهيت علاقتي مع تراڤيس.

كررت بيث بصراحة مضيفة: «صباح البارحة انتهى كل شيء».

- لكن... لماذا؟ اعتقدت أن كل شيء يسير بشكل جيّد. أقصد...».

هربت من كاثرين الكلمات، ولم تستطع أن تعبر عما تعنيه، وبدلاً من ذلك انهارت على كرسي المطبخ.

نقرت بيث على باب شقيقتها منذ خمس دقائق وبما أن جيمس في الطابق العلوي يأخذ قيلولته الصباحية في سريره النقّال، قررت الاعتراف لكاثرين بما حصل. جعلت كاثرين تعتقد أنها جاءت إلى لندن في زيارة سريعة، إلى أن حضّرت شقيقتها القهوة، وأحضرت طبقاً من البسكويت بالشوكولا، ثم أبلغتها الخبر الذي وقع عليها مثل الصاعقة.

قالت بيث: «عدت إلى شقتي، الليلة الماضية، كما عدت إلى حياتي الطبيعية».

نظرت إليها كاثرين وكأنها مجنونة، ولم تستطع بيث لومها فهي تشعر بأنها ستجن فعلاً.

- حياة طبيعية؟!

هزّت كاثرين رأسها، وشعرها الأشقر يتأرجح استنكاراً وقالت: «أتعنين الحياة بدون تراڤيس؟».

سماع ذلك بترجم بهذه الطريقة جاء بمثابة وخزة في معدتها. لكنها تستحق ذلك، بل تستحق الأسوأ، كما فكرت بيث بيأس. إنها أكثر الناس جُبناً، وهي تعرف هذا. قال تراڤيس أشياء كثيرة وهي توافق معه.

تراڤيس! آه، تراڤيس! بالكاد تستطيع التصديق بأنها لن تراه ثانية.

- ما هو الشيء الخاطىء الذي قام به؟

أخذت كاثرين رشفة من قهوتها، وضاقت عيناها المركزتان على وجه بيث الشاحب وعينيها القرنفليتين.

أجابت بيث بطريقة جافة: «طلب مني الزواج به».

تنهدت كاثرين وجلست بشكل مستقيم قائلة: «أهذا كل شيء؟ باستثناء كونك غبية جداً، ما الذي حدث أيضاً؟».

- إن الأمر معقد.

أو بسيط بشكل رهيب. هي غير متأكدة.

- بالنسبة لك، الأمر هو كذلك بالطبع.

قالت كاثرين بصراحة الأخت مضيفة: «أتعنين أنه لم يغشكِ ولم يتحول إلى شخص عنيف، أو اعترف لك بأنه ارتكب جرماً ما؟».

- بالطبع لا!

- إذاً، الرجل قال إنه يحبكِ وأنت تخلصت منه. أهذا ما حصل؟ هو كشف ما في قلبه وأنتِ طردته؟

قالت بيث بصراحة، مع علمها بأن هذا ليس دفاعاً: «أخبرته أنني أريد إنهاء العلاقة قبل أن يخبرني بحبه».

حدّقت كاثرين إليها مضيفة: «آه! أنت تخلصت من رجل يساوي الملايين. لأي سبب، بيث؟ أعني... أخبريني، أود أن أعرف».

- أنتِ لا تجعلين الأمر سهلاً.

في الواقع، عدائية كاثرين يمكن التعامل معها، إنها أسهل من الشفقة. فالشفقة يمكن أن تدفعها إلى الصراخ، تماماً مثل جيمس في إحدى نوبات غضبه، لا سيما وهي تعرف أنها لا تستحق أياً منهما.

أخذت كاثرين قضمة من بسكويت الشوكولا بقوة، قبل أن تقول: «أعتقد أن هذا جنون، لا سيما أنك معجبة به. أليس كذلك؟ لا تحاولي إنكار هذا، فأنا أعرف أنكِ مغرمة به».

- لن أنكر هذا.

ركزت كاثرين عليها نظرة عابسة كما تفعل الشقيقة الكبرى عادة، وأصرّت قائلة: «أنت مغرمة به وهو مغرم بك أيضاً. أليس كذلك؟».

نظرت إليها بيث فقط، وتعابير وجهها أعطتها إجابة كافية.

سألتها كاثرين بعنف: «إذاً لماذا أنهيتِ علاقتكِ به، بيث؟ هذا جنون».

أجابت بيث بيأس: «لأن الأمر لن ينجح».

- من قال هذا؟ كان كل شيء يجري بشكل جيد حسب رأيي. هو يحبك وأنتِ تحبينه، وهو يريد الزواج بك، بحق الله! ما المشكلة إذاً؟

- كاثرين، الأمر ليس كما تعتقدين.

فركت بيث عينيها اللتين لم تشفيا بعد من أثر البكاء، قائلة: «أنا أحبه، لكن لا يمكنني المخاطرة بانهيار كل شيء من جديد. أنا لست جاهزة لإقامة علاقة، فما بالك بالزواج! لا أعتقد أنني سأكون يوماً جاهزة لذلك، فأنا لا أرى المستقبل بهذه الطريقة».

أبدت كاثرين تذمرها مطلقة كلاماً قاسياً جداً: «إنه هو... كيث... أليس كذلك؟ تسمحين له بالتأثير على كيفية تفكيرك بالأشياء. بيث، تراڤيس ليس كيث. بالتأكيد يمكنك رؤية ذلك؟ كيف تسمحين لكيث بتدمير كل فرصة أمامك للسعادة في المستقبل؟».

حدّقت بيث إلى شقيقتها قائلة: «هذا ما قاله تراڤيس».

هزّت كاثرين رأسها موافقة وقالت: «إنه محق».

- قال تراڤيس أيضاً إن وقت الإشفاق على الذات انتهى، وإن هناك أناساً مرّوا بأسوأ من هذا.

قالت كاثرين وقد بدا عليها التأثر: «أهو من قال هذا؟ أعتقد أنه محق أيضاً، لكني لن أجرؤ أنا على قوله».

أومأت كاثرين برأسها مثل ناظرة في مدرسة ثم تابعت تقول: «لكن ما يدهشني هو أنه وافق على إنهاء العلاقة، ما دام هو يحبك وأنتِ تحبينه. بعد معرفتي به، اعتقدت أنه من النوع الذي يقاتل بضراوة. أراهن بحياتي أنه

www.elromancia.com

ليس انهزامياً».

اعترفت بيث بصراحة: «هو... لا يعرف أنني أحبه».

- ألا يعرف؟

رفعت كاثرين حاجبيها مضيفة: «ألم تخبريه؟ حتى عندما عبّر لك عن شعوره؟».

هنالك أسوأ من هذا! أجابت بيث: «عندما سألني... في الواقع، قلت له إنني لا أحبه».

انتظرت الانفجار بعد تصريحها هذا، إلا أنه لم يحدث، ولهذه المرّة فقط ارتاحت بيث لرؤية شقيقتها صامتة، لكن في هذه الظروف لم يكن الأمر ممتعاً. بعد لحظة قالت كاثرين: «اتصلي به، اتصلي به وأخبريه عن حقيقة شعورك نحوه».

- لا أستطيع.

التقطت بيث حقيبتها مضيفة: «لأن الأسباب نفسها التي أنهيت بسببها العلاقة ما زالت موجودة. أحبّه لكن لا يمكنني الوثوق به، كاثرين... لا يمكنني تجاهل ذلك. أريد أن أثق به، لكن كلما فكرت بالمستقبل تنتابني الشكوك، وهذا ليس عادلاً بالنسبة له».

قالت كاثرين بطريقة عملية: «لا تقولي لي إنكِ لا ترغبين في الاستقرار يوماً ما في المستقبل، ولا ترغبين بإنجاب الأطفال. هل يمكنك تخيل القيام بهذا مع أي شخص غير تراڤيس، إذا كنت تحبينه كما قلتِ؟ لطالما أبديت رغبتك بإنجاب الأولاد».

تعرية الروح هذه آلمتها كثيراً. وبما أن الألم انتشر في داخلها، استدارت بيث على عقبيها وقالت بطريقة غير ثابتة: «عليّ الذهاب. تركت هارڤي وحده في الشقة لأكثر من ساعة، وأنا بحاجة لأخذه في نزهة».

- كيف حاله؟

تبعتها كاثرين إلى الباب الأمامي، وقد بدا وجهها الجميل مجعداً بسبب القلق.

- مكتئب، أعتقد أنه يفتقد لتراڤيس أكثر مما يفتقد للكوخ.

حاولت بيث الابتسام، لكنها لم تنجح.

حدّقت كاثرين إليها وقالت بصوت مجروح: «ليت أمي وأبي موجودان، لكانا عرفا ماذا سيقولان. أنا أتصرف بشكل خاطئ، وربما أجعل الأشياء أسوأ».

- آه، كاث! بالطبع أنتِ لست كذلك.

آه! ها هي تجعل كل شخص قريب منها يشعر بالتعاسة مثلها. عانقت بيث شقيقتها وتشبثا ببعضهما للحظات، وعندما ابتعدا أخيراً كان وجهاهما مبللين بالدموع.

حدّقت كاثرين إليها وظهرت على وجهها نظرة مفادها: سوف أقول هذا مع أنني أعرف أنك سوف تكرهينه. ثم قالت بحزم: «اذهبي، وقابلي كيث».

- ماذا؟

إنه آخر شيء توقعت أن تسمعه من شقيقتها، تابعت قائلة: «هل أنتِ مجنونة؟ لماذا بحق السماء سأذهب لمقابلة كيث؟ أنا حتى لا أريد أن أتنشق الهواء نفسه الذي يتنشقه هو».

- لتدفني الأشباح التي تأبى أن تغادر بأي طريقة أخرى. أنت لم تريه منذ تلك الليلة التي رحلت فيها، وأعتقد أن تلك كانت غلطة. حدثت أشياء كثيرة من حولك في ذلك الوقت، نيدي. أمي وأبي رحلا بشكل مفاجيء جداً. تلك القضية الشنيعة في المحكمة، ثم ظهور آنّا على عتبة باب منزلك. لو أنك ذهبت لتلقي الاستشارة والنصح بعد الطلاق عوضاً عن العمل ليل نهار لأمكن أن يهدأ رأسكِ الآن».

قالت بيث بعنف: «أنا لست بحاجة إلى استشارة».

- بل، أنتِ بحاجة إلى ذلك.

هزّت كاثرين إصبعها بطريقة تذكّر بطفولتهما.

شعرت بيث بالدافع نفسه الذي كانت تشعر به آنذاك، بمدّ لسانها إلى

www.elromancia.com

الخارج والتكشير بطريقة فظّة. عوضاً عن ذلك قالت: «أعرف أنكِ تحاولين مساعدتي... لكنني لا أريد الاتصال بكيث. أنا حتى لا أعرف أين هو، ولا آبه له».

- ابحثي عنه في مكان عمله، فهو على الأرجح ما زال في مكان العمل نفسه. وإذا لم تجديه، فأنت تعرفين أين تعيش آنّا. اذهبي وقابليها، وسوف تعرفين إن كان يعيش في المكان نفسه.

قالت بيث، بوجه مشدود: «أنتِ لا تصغين إليّ».

- لا! أنتِ لا تصغين إليّ.

شنّت كاثرين هجوماً معاكساً مضيفة: «... وما دمنا قد اتفقنا كلتانا على أنكِ حالة نادرة وأنا لا، أعتقد أنه يجدر بك الموافقة على ما أقوله، هذا بالإضافة إلى أنني شقيقتك الكبرى، وأنني إنسانة منطقية وعقلانية. بصراحة، ماذا عندكِ لتخسريه، نيدي؟ على الأقل عديني بأنكِ ستفكرين بالذهاب لرؤيته. إذا فكّرت بالأمر سترين أنه سوف يصبح معقولاً».

فتحت بيث الباب الأمامي وقالت بنبرة سطحية: «حسناً! سوف أفكر بالأمر. لكنه لن يكون معقولاً، ولن أذهب».

فكّرت بالموضوع طوال طريق العودة إلى المنزل، خلال كابوس ازدحام السير في لندن وأثناء نزهتها مع هارڤي في هايد بارك. فكّرت بالموضوع طوال السهرة في شقتها، واستمرت تفكر بالموضوع في الصباح التالي بعد ليلة من الأرق.

لم تعِ أنها وصلت إلى قرار إلاّ عندما اكتشفت أنها تتصل برقم عمل كيث. إنّه خط مباشر، وأجابها كيث بنفسه قائلاً: «كيث رايت!».

لثانية كادت بيث أن توقع سماعة الهاتف من يدها. فيضان ضخم من الأحاسيس اندفع بقوة في داخلها، لكنها أخذت نفساً عميقاً. جاء صوتها ثابتاً بشكل ملفت للنظر عندما قلت: «مرحباً، كيث. هذه بيث».

- بيث؟!

بدا الاندهاش التام واضحاً في صوته، ثم قال بعد لحظة من الصمت:

«بيث، كم هو رائع سماع صوتكِ».

والآن انتقل إلى النبرة التي يستخدمها دائماً معها؛ نبرة دافئة، ناعمة، ساحرة، فقال: «كيف حالكِ؟».

- بخير.

أخذت نفساً عميقاً آخر، وتمكنت من القول: «أتساءل إذا كنت تتوق للقاء لنشرب القهوة بعد وقت الغداء».

- من غير ريب. سيكون هذا رائعاً.

لم يكن هناك تردد في صوته، وهذا أمر جيد. أليس كذلك؟ فكّرت بيث بسخرية. زوجة سابقة أضيفت إلى لائحة الخاضعين ستكون بمثابة ريشة على قبعته. تساءلت إن كان سيسأل لماذا تريد رؤيته بعد مرور هذا الوقت. لكنه لم يفعل.

اقترح بلطف قائلاً: «ما رأيك ببايلي؟ كنت تحبين كعكة الشوكولا عنده، أتذكرين؟».

بدا لها كأن عمراً مضى منذ أن اعتادت لقاءه في وقت الغداء في بايلي، وهو مقهى صغير رائع يقدم شطائر رائعة وحلوى، بالإضافة إلى كل أنواع القهوة في العالم. نظرت إلى ساعتها وقالت: «حسناً! أيناسبك أن نلتقي عند الساعة الثانية عشرة؟».

كان من عادتهما تناول الغداء باكراً للتأكد من الحصول على طاولة، بما أن المقهى يغص بالزبائن عند الساعة الواحدة.

- الثانية عشرة تبدو رائعة، بيث، سوف أنتظر رؤيتكِ.

- إذاً، أراك هناك.

وضعت بيث سماعة الهاتف قبل أن يتمكن من إنهاء المكالمة، وجلست تحدق إلى المكان للحظات. كيف أحسّت؟ بعد الصدمة المختصرة لسماع صوته، أصبحت هادئة بشكل ملفت للنظر، لكن بالطبع هذا مختلف عن مقابلة زوجها السابق وجاً لوجه.

جلست مستغرقة في التفكير لبعض الوقت، محاولة التفكير بما تريده من

لقائهما بالضبط، تحدثت كاثرين عن دفن الأشباح، وربما هي محقّة. لكن هل رؤية كيث بعد كل هذه الأشهر ستنعكس بشكل إيجابي على حياتها القادمة؟ جعلتها كيث تشعر بأنها أكبر حمقاء في العالم، إن التعامل مع الذل والألم أسهل من التعامل مع الشعور بأنها فاشلة تماماً كامرأة وكزوجة. ورغم معرفتها بأن آنّا والأخريات من في المركب نفسه إلا أن ذلك لم يخفف عنها.

مشت إلى غرفة النوم، ثم فتحت خزانة ملابسها ونظرت إلى ثيابها دون أن تراها حقاً. طلب منها تراڤيس أن تحصل على بعض القوة وتخرج من تلك الفقاعة التي بنتها حول نفسها. حسناً! سوف ترى كيث اليوم لأنه في قلب قلبها، ولأن هذه هي الطريقة الوحيدة للتقدم وترك الماضي خلفها. وهي لا تستطيع القيام بهذا بدون هذا اللقاء الأخير. لا تعرف بيث ما الذي سينتج عنه، لكن يجب أن تقوم به، لإنهاء القصة البشعة.

بعد اصطحاب هارڤي في نزهة سريعة إلى حديقة قريبة، وصلا إلى المنزل، وحاولت التعويض عن التغيير في محيطه بمنحه طبقاً كبيراً مليئاً بالدجاج الممزوج مع وجبة من طعام الكلاب كفطور. أكل هارڤي الطعام، لكنه استمرّ بعبوسه. تركته بيث، إذ إن لديها أشياء أهم لتركز عليها.

عند الحادية عشرة، عندما تفحصت صورتها في المرآة، شعرت بالرضى عما رأته، فستانها الرائع المبطن بقماش مطبوع واضح ونابض بالحياة يظهر المسحة الذهبية لسمرتها، ويجعلها تومض بالصحة. تركت شعرها متدلياً، فتموجه الطبيعي يظهر لونه الأشقر الحريري، ويجعل عينيها الزرقاوين تبدوان أكثر اتساعاً، كما وضعت تبرجاً خفيفاً على وجهها، فهي من جهة لا تريد أن يعتقد كيث بأنها تحاول إبراز محاسنها ومن جهة أخرى فإن النضارة والحيوية التي اكتسبتها بشرتها خلال الأسابيع التي أمضتها متجولة في ريف شروبشير تحت أشعة الشمس الإنكليزية لا تستطيع أي كمية من مساحيق التجميل أن توفرها. بدت بيث أشبه بامرأة شابة جميلة، متكبرة وواثقة من نفسها يمكن لأي رجل أن يرتمي عند قدميها.

- كم تكذب المرآة!

قامت بإيماءة في وجهها لنفسها، ثم استدارت مبتعدة. لكن، إذا ما أعطت كيث هذا الانطباع، فهذا جيّد، ولا شيء آخر يهم. سوف تنهي هذا من جهتها، وتخرج من حياته منتصرة لا مهزومة.

وصلت إلى بايلي عند الثانية عشرة تماماً، وكان كيث جالساً إلى طاولة لشخصين في ما كان ذات مرّة مكانهما المفضل. دخل ثناني إلى المقهى أمامها مباشرة، لذا لم يرها وهي تدخل، ما أعطاها وقتاً لتتفحصه. أثناء سيرها نحوه فكرت أنه ليس وسيماً كما تتذكره. لماذا لم أرَ من قبل كم يبدو فمه ضعيفاً؟ وكم يبدو وجهه كله ضعيفاً؟ هو لا يشبه تراڤيس مطلقاً. إنه... إنه رجل مبهرج ولمّاع، لا أكثر.

ثم رآها، فابتسم ابتسامته السهلة التي أسرت قلبها ذات يوم، لكنها الآن لم تفعل شيئاً على الإطلاق. لا شيء!

- بيث!

وقف بالطريقة نفسها التي اعتقدت ذات مرّة أنها طبيعية، لكنها الآن عرفت أنها جزء من سحره المصقول، وقال بلطف: «تبدين رائعة».

- شكراً.

ابتسمت بيث متجنبة الاتصال الجسدي بانسلالها إلى مقعدها فوراً. ولم تبادله مجاملته.

- لا حاجة لأسألك كيف حالك.

تابع عندما جلس هو أيضاً. والآن هناك بالتأكيد عنصر من الفضول الذي لا يستطيع إخفاءه تماماً في طباعه. رأته ينظر إلى يدها اليسرى، وهذا حضّرها لسؤاله التالي. سألها بنبرته التواقة التي تعوّد استخدامها في الماضي: «هل أنتِ على علاقة مع شخص ما؟».

- أجل.

حسناً! يجدر بها أن تكون كذلك، وحتى إن لم يكن تراڤيس موجوداً، فهي ستقول الشيء نفسه في هذه اللحظة. سألته: «وأنت؟ كيف حال آنّا

وابنتيك».

حدّق إليها، وكأنه لا يصدق تماماً أنها هي نفسها. من الواضح أنها الآن لا تشعر مثل بيث التي عرفها، أدركت ذلك مع موجة كبيرة من الفرح. لقد تخطت ذلك! هي حقاً تخطت تلك الفوضى الدفينة.

مرّت لحظة أو اثنتان قبل أن يستجمع قواه كفاية ليقول: «لم تعد آنا تعيش في إنكلترا. قابلت شخصاً ما، وعرفت أنها تزوجت الآن. إنهما يعيشان في الولايات المتحدة... ميشيغان كما أعتقد».

سألته بيث بهدوء: «وأين البنتان؟».

- هما مع والدتهما.

زمّ فمه، ولثانية شعرت تقريباً بالأسف عليه. تقريباً... إن تراڤيس محق، سوف ينتهي كيث رجلاً وحيداً عجوزاً.

كادت تقول بأنها سعيدة من أجل آنا، لأنها هي حقاً كذلك، لكن قد يبدو الأمر وكأنها تشمت به. بدلاً من ذلك أخذت رشفة من القهوة التي طلبها قبل مجيئها، ثم سألته عن عمله. أبقت الحديث عاماً خلال الدقائق القليلة التي أخذتها لتنهي قهوتها. تركت قطعة الكعك دون أن تمسها، ثم وقفت، ومدت يدها فوق الطاولة قائلة: «الوداع كيث. أنا سأنتقل من لندن، لذا ما من فرصة لنلتقي من جديد. آمل أن تجد ما تبحث عنه».

بدا متذهلاً إلى درجة أنه لم يتحرك لبضع ثوانٍ، ثم تمتم قائلاً: «لن تذهبي الآن! اعتقدت... أقصد، لماذا اتصلتِ بي؟».

ابتسمت بيث قائلة: «لأغلق الفصل القديم في حياتي، وهكذا أستطيع دخول الفصل الجديد بكل قلبي. أنت تعرفني، كل شيء أو لا شيء. لا أستطيع العمل بأي طريقة أخرى».

أمسك يدها، فبدت مصافحته ضعيفة. وناسبها هذا إلى حدٍ ما. تمتم بامتعاض: «من... من هو؟».

- شخص لا تعرفه.

اتسعت ابتسامتها وهي تقول: «الوداع».

خرجت من المقهى إلى أشعة الشمس المشرقة، وقد تركت خلفها الحمل الثقيل الذي أرهق كتفيها طوال الأشهر الثمانية عشرة الماضية. إنه شعور مسكر، ملؤه بالنشاط والحيوية. عرفت بيث أنها تكشّر مثل هرّة ذات تكشيرة عريضة بسبب النظرات الغريبة التي يمنحها إياها المارة، رغم أن واحداً أو اثنين منهم ابتسما بالمقابل بتردد. فليباركهما الله! كانت غبية... غبية جداً، لأنها لم تقطع حقاً الروابط الأخيرة التي تربطها بكيث. عدم التخلص منها كلياً امتزج مع وفاة والديها، لكنها لا تستطيع السماح لرجل ضعيف، عديم الأخلاق وأخرق بتدمير بقية حياتها. تراڤيس هو نقيض لكيث بكل ما للكلمة من معنى. عليها أن تثق بذلك وإلا ستبقى معلّقة بماضيها لمدى العمر.

عندما يكون الشخص كاذباً، حاذقاً وعديم الضمير فإنه يتميز أحياناً ببعض القوة التي تخدع الأشخاص الصادقين الطيبين. هل تراڤيس من قال ذلك؟ لكن مثل هذه القوة لا ولن تستمر، لأن أكاذيبه سوف تنكشف في النهاية. لم تواجه كيث من قبل بجرأة في ضوء النهار، أما الآن فقد لاحظت الخطوط التي تظهر حول عينيه وفمه والطريقة التي بدأت خدوده فيها بالتدلّي. قريباً سوف تختفي هذه النظرات الصبيانية الجميلة التي تشكل جزءاً كبيراً من سحره، وسوف تصبح سطحيته ظاهرة أكثر فأكثر.

أما تراڤيس، فسوف يدخل إلى عمره المتقدم قوياً وساحراً كما هو دائماً، وربما أكثر.

أوقفت سيارة أجرة. أخبرها تراڤيس بأنها حب حياته، وأنه لن يحبّ شخصاً آخر أبداً، وأنه يريد أن يتزوجها. كان صبوراً معها بشكل لا يصدق منذ البداية، على الرغم من أنه ما زال يحثها على مواجهة أشباح الماضي والتغلب عليها. مع ذلك أخبرته بأنها لا تحبه وأبعدته عنها.

كيف فكّرت أنه يمكنها أن تعيش بقيّة حياتها بدونه؟ ماذا ستفعل الآن؟ هل سيساعدها؟ ارتجفت رغم الطقس الدافئ.

١١ - عندما تكلم الحب

في المساء عرفت بيث تماماً ماذا ستفعل. أخبرت كيث أنها تريد كل شيء أو لا شيء، وهذا صحيح. ارتكبت غلطة فادحة عندما رفضت تراڤيس. ولن تحل هذه المشكلة إلا إذا قامت بتصرف جريء واستثنائي. عليها أن تظهر له بأنها تعني ما تقول عندما تخبره بأنها تحبّه، وأنها أحبّته منذ فترة طويلة لكنها كانت خائفة، وعنيدة جداً، لتعترف بذلك.

حان وقت المغامرة!

في صباح اليوم التالي، اتصلت بجون ترنر عند الساعة التاسعة تماماً.

- جون؟ هذه أنا بيث.

قالت بعد أن حوّلت له السكرتيرة مكالمتها، وتابعت: «هل أعدت تأجير كوخ هيرب؟».

- لا! أنتِ دفعت الإيجار لمدة ستة أشهر مسبقاً، لذا ما من داعٍ للاستعجال ما دام المالك منشغلاً. لماذا؟

- سوف أعود.

انتظرت ردّة فعله بصمت.

- حسناً!

توقف ثم سألها بدقة: «لكم من الوقت؟ هل تعتزمين إنهاء فترة الإيجار؟».

آه! لا بد أنه يعتقد بأنها امرأة مجنونة، ولا يمكنها لومه على ذلك.

عندما سلمته المفاتيح بدت قاسية جداً، وقالت إنها لن تعود، لذا يمكنهم إعادة تأجير الكوخ في الحال. أجابته قائلة: «نعم. من المحتمل أنني

سأبقى لستة أشهر أخرى إذا كان الكوخ متيسراً. أنا... أنا أعرض شقتي في لندن للبيع. سوف أفتش عن عمل في شروبشير».

- فهمت. اعتقدت...

توقف فجأة، ثم سألها بعد لحظة من التردد: «هل يعرف تراڤيس بالأمر؟».

يبدو واضحاً أن وسائل شروبشير لترويج المعلومات كانت فعّالة. قالت: «سيعرف قريباً».

أملت أن يتوقف عند هذا الحد.

- جيد.

مرّت فترة صمت أطول قبل أن يقول: «تراڤيس رجل طيب، بيث. أكره أن أراه يُعامل بقسوة».

قالت بيث بلطف: «كذلك أنا، جون».

كان الاتصال التالي إلى الشركة التي تعمل فيها. بعد تحدثها إلى زميلها الأعلى رتبة، والذي بدا متفهماً بشكل رائع، أكدت بيث أنها سترسل كتاب استقالة، ووعدها بشهادة مؤهلات متوهجة في المقابل.

لم تكن بيث لتشغل بالها بذلك، لكنها شكرته وودعته بسلام. بيع شقتها سيؤمن لها بحبوحة مادية لوقت طويل، حتى لو لم تجد وظيفة أخرى مباشرة. لكنها مستعدة تماماً للقيام بأي عمل آخر، في متجر، في مقهى، أو في أي مكان آخر، إلى أن تجد المركز الوظيفي المناسب. في الواقع، فكّرت بأنها ستستمتع بهذا إلى حد ما.

في وقت لاحق من ذلك المساء سلّمت مسألة بيع الشقة إلى وكيل الممتلكات الذي باعها لها. ثم اتصلت بشقيقتها وشرحت لها ما تفعله. بعد أن استعادت كاثرين قدرتها على الكلام، عرضت عليها تخزين أي نوع من المفروشات والممتلكات التي ترغب بيث بالاحتفاظ بها في الغرفة الفارغة لديها وفي المرآب المزدوج.

بعد أن حزمت أمتعتها، نظرت بيث خارج نافذة شقتها المطلة على

www.elromancia.com

أسطح المدينة، ولاحظت تحوّل لون السماء من الأزرق الفاتح إلى البنفسجي القاتم الموشح بلون زهري. وعدها جون بترك مفتاح الكوخ تحت إناء نبتة الخبازى قبل أن يذهب إلى المنزل تلك الليلة.

نظرت إلى الشقة حولها للمرة الأخيرة. هارفي، الذي أحسّ بشيء ما، وقف على قدميه وراح ينبح عند قدميها.

- هناك شيء أخير...

قالت ذلك للكلب الكبير بهدوء متابعة: «... أهم شيء. تمنّ لي التوفيق في مهمتي هارفي».

اتصلت برقم هاتف تراڤيس الجوّال، وقلبها يضرب بسرعة إلى درجة تؤلمها. بدت لها كل رنّة عمراً، ثم جاء صوته عميقاً وضبابياً. إنها رسالة مسجلة. ولدهشتها، انفجرت بالبكاء.

بعد استخدام عدة مناديل ورقية، حاولت من جديد، وهذه المرّة انتظرت الإشارة وقالت: «هذه بيث، تراڤيس. أنا بحاجة لأتحدث إليك. أنا آسفة، آسفة جداً. كنت مغفلة... أنتَ محق، هناك أشخاص مروا بأسوأ مما مررت به، وأنا كنت أشفق على نفسي... هل يمكن أن تسامحني؟ سوف أتفهم إذا لم تستطع؟».

أخذت نفساً عميقاً، وتراجعت عن قولها وقالت: «لا، لا، لن أتفهم. لأنك قلت إنك تحبني، ومهما كنت غبية ما زلت تحبني. أنا...».

راحت تبكي من جديد لكن هذه المرّة نجحت بإحداث صوت كالنشيج وأضافت: «سأعود إلى الكوخ، سوف أمكث هناك. لا أريد أن أرحل، أنا...».

أخبرتها الإشارة الصوتية أن الوقت المحدد للرسالة انتهى. نظرت إلى الهاتف بغباء قبل أن تضعه من يدها. هل أخبرته أنها تحبه؟ لا تستطيع التذكر الآن. هل أخبرته؟ لا بد أنها فعلت. كانت على وشك قول ذلك عندما قُطِع الاتصال، لكن لا بد أنها قالت ذلك سابقاً، بالتأكيد... أو ربما لم تقله... أجفل هارفي عندما ضربت قدمها بالأرض، فيما راحت

الدموع تسيل على وجهها. لا يمكنها حتى الاتصال به هاتفياً. كيف يمكنها أن تأمل بتصحيح الأمور عندما لا تستطيع إجراء مكالمة هاتفية؟ سوف تتصل به من جديد غداً. سوف تستمر بالاتصال به إلى أن يجدّنها.

بعد عشر دقائق كانت هي وهارفي في السيارة، متوجهين بعيداً عن لندن. أصبحت ظلال الشفق دامسة الآن لكنها ليست مظلمة تماماً، رغم أنها ستصبح كذلك عند وصولها. لم تعد تستطيع الانتظار لتصل إلى الكوخ. شعرت بالغربة تماماً منذ أن وصلت إلى لندن، وكأنها كانت دائماً تعيش في المحيط الهادىء لشروبشير وليس العكس.

بدا الكوخ مألوفاً بشكل رائع عندما أدخلت بيث السيارة إلى الحديقة الأمامية، بعد أن فتحت البوابة الكبيرة المتأرجحة. شعرت بأنها عادت إلى منزلها. طرفت بعينيها كي لا تطفر منهما الدموع، وفتحت الباب لهارفي المبتهج بالخروج من السيارة. أخذت المفتاح من تحت إناء الخبازى، حاملة بجهد حقائبها وأغراضها إلى الداخل، في حين بدأ هارفي بتفحص دقيق للمرجة الخضراء وأحواض الزهور. ما إن وضعت آخر أغراضها في البراد حتى بدأ هارفي نباحاً مسعوراً.

تراڤيس! ركضت إلى الباب الأمامي، لكن عندما فتحته، وجدت هارفي في زاوية من المرجة، يضرب شيئاً ما بأنفه ثم يقفز إلى الوراء قبل أن يحاول من جديد، فيما راح ينبح طوال الوقت. تجاهلها تماماً عندما نادته. لا بد أن هذا أحد القنافذ التي تعيش هنا، وقد قام هارفي بمهاجمته في السابق، حيث انتهت المهاجمة بهارفي بأنفٍ مجروح ومتألم. تأففت بيث وهي تفكر أن لديها أشياء أكثر أهمية غداً من زيارة الطبيب البيطري المحلي لإحضار دواء مضاد للجراثيم والله يعلم ماذا أيضاً.

لم ينفع الصراخ في إعادة هارفي إلى الداخل، لذا بعد أن وجدت حذاءها، الذي نزعته قبل دقائق. ركضت بيث عبر المرجة. كانت قد وصلت إلى منتصف الطريق عندما هبطت فوق رأسها الحقيقة المرّة. تجمدت في مكانها، واستدارت. انغلق الباب خلفها! المفتاح في الداخل، والسيارة

مقفلة. الغريزة جعلتها تسحب الباب وراءها من دون انتباه. آه! قامت بهذا مرّة أخرى. عادت وتفحصت الباب، لكنها تعرف أن لا جدوى من ذلك. لم يتزحزح إنشاً واحداً.

للحظة لم تعرف بيث إذا كانت ستضحك أم ستبكي، فكلا الأمرين لا ينفعانها في حل المشكلة. بعد أن سحبت هارفي بعيداً عن القنفذ، جلست على الدرج ودرست خياراتها. لم يستغرق ذلك طويلاً...

إنه بعد منتصف ليل الجمعة، وهو ليل صيفي دافىء مقمر، على نحو لا يمكن إنكاره. لكن يمكن أن يصبح بارداً قليلاً في ساعات الصباح الأولى، وهي حتى لا ترتدي سترة فوق قميصها وسروالها الجينز اللذين ارتدتهما لأجل رحلتها من لندن. يمكنها إما أن تجلس في الخارج خلال ساعات الظلام، ثم تمشي بجهد الأميال القليلة لتصل إلى القرية في الصباح، أو تمشي نحو منزل تراڤيس الآن وترى إذا كان هنا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، وترمي نفسها تحت رحمته من جديد.

بعد بضع ثوانٍ كانت هي وهارفي يسيران بحذر شديد في الطريق الفرعية، أو على الأقل هي كانت كذلك، لأن هارفي راح يقفز جذلاً، وقد بدا مبتهجاً جداً بالهدية غير المتوقعة لنزهة منتصف الليل.

حاولت بيث عدم التفكير بما ستقوله لتراڤيس إذا وجدته في المنزل. لم يكن ذلك صعباً لأن عليها التركيز بشدة على تلمس طريقها في الظلام، فالأشجار التي تحدد الممر شكلت ظلّة فوقها. وهي تبدو رائعة في ضوء النهار لكنها تجعل الممر شديد السواد بالمقارنة مع الليل المقمر فوقها.

أخيراً رأت البوابة أمامها. لقد وصلت... هناك أضواء في الطابق السفلي وسيارتان في موقف السيارات. سيارتان؟! حدّقت بيث إليهما من البوابة، إنهما سيارة المرسيدس ورانج روڤر.

عند تراڤيس زائر. شعرت باضطراب في معدتها فوضعت يدها بحركة غريزية على بطنها. أيعقل أن يكون تراڤيس برفقة امرأة؟ أغمضت عينيها بشدة قبل أن تفتحهما على اتساعهما، فيما حثها دافع قوي لتستدير وتعود

أدراجها، لكنها قالت لنفسها: إنه وقت الحقيقة! هل تؤمنين به أم لا؟

مشت بيث في الممر المفروش بالحصى إلى المساحة الكبيرة الممتدة بشكل حافر الحصان مباشرة أمام الباب الأمامي، حيث ركنت السيارتان. ركض هارفي أمامها، مسروراً بالمكان الذي وصلا إليه. شيبا وسكاي تعيشان هنا لذا يجب أن يكون ذلك جيداً.

تسارعت دقات قلبها للحظات قبل أن تقرع الجرس، ثم انتظرت. جلس هارفي بترقب عند قدميها، وعيناه موجهتان إلى الباب الأمامي. سمعت صوت تراڤيس العميق ينادي بشيء لشخص ما داخل المنزل في اللحظة التي سبقت فتح الباب، مما جعلها لثوانٍ مخدرة. في اللحظة التالية كانت تحدّق إلى وجهه... وجهه العزيز، العزيز. وهو يحدّق إليها، دون أن يطرف له جفن.

كما لو أنه لا يعرف من هي. أو كما لو أنه لا يرغب بأن يعرف من هي؟ هل قرر أن يتخلى عنها؟

قالت بيث بصوت أجش: «مرحباً، تراڤيس».

اختفى تعبير الدهشة عن وجهه، وقال بصوت مخنوق: «بيث! لست متأكداً إذا ما كان عقلي يخدعني... اعتقدت أنكِ في لندن».

حدّق إليها، فيما ضاقت عيناه.

شقّ هارفي طريقه إلى الداخل، وبعد لحظة سمعت بيث صوت امرأة تقول: «تراڤيس! هناك كلب آخر في الداخل».

- ألديك رفقة؟

لم تدرك بيث أن اللون انخطف من وجهها، لكن تراڤيس مدّ يده وأمسكَ معصمها. جاء صوته طبيعياً حين قال: «إنها الطبيبة البيطرية».

قبل أن ينادي قائلاً: «هارفي. تعال إلى هنا».

ظهر هارفي فوراً، ووقف إلى جانب تراڤيس، الذي انحنى وأخذ طوقه بيده قائلاً: «سأضعه مع شيبا في مكتبي».

سحب بيث بيده الأخرى إلى الردهة قبل أن يغلق الباب قائلاً: «ابقي

هنا. لا تتحركي. سأعود».

وقفت حيث هي تماماً في حين أخذ تراڤيس هارڤي إلى مكتبه.

حاول عقلها أن يستوعب الصدمة التي جمدتها حين سمعت صوت امرأة. فكّرت... هزّت رأسها... عاد تراڤيس إليها قاطعاً حبل تفكيرها عندما قال: «اعتقدتِ أن برفقتي امرأة هنا؟».

الكلمات شيء والسؤال خلفها شيء آخر. حدّقت إليه... عليها أن تتعامل مع الأمر بطريقة صحيحة. المرأة طبيبة بيطرية، ما يعني أن خطباً ما أصاب سكاي. قالت بصوت ثابت: «لديك... ما الأمر؟».

أصرّ قائلاً وهو يراقبها عن كثب: «اعتقدت أن لدي موعداً غرامياً. أليس كذلك؟».

تراڤيس هو تراڤيس. لا شيء يلهيه عن هدفه. قالت: «للحظة فقط».

هي لا تريد أن تكذب. لن تكذب على تراڤيس ثانية، وتابعت: «أنت لم ترد على اتصالي الهاتفي ثم... سمعت صوت امرأة، فماذا يفترض بي أن أفكر؟ أنا... أنا أبعدتك. لن ألومك إذا كان لديك موعد هنا. لك كل الحق بذلك. أنا أعرف».

- أي اتصال هاتفي؟

تجعّد حاجباه لكن عينيه الرماديتين الثاقبتين ظلتا مركزتين عليها، وكرر: «أي اتصال؟».

- اتصلت بهاتفك الجوّال مسبقاً.

- على الأرجح أنني تركته في السيّارة.

راقبته وهو يأخذ نفساً عميقاً، ثم يسألها بلطف: «لماذا اتصلتِ؟».

- لأخبرك بأنني كذبت عليك. أنا أحبك تراڤيس. أغرمت بك منذ وقت طويل، لكني كنت خائفة جداً من الاعتراف بذلك...

انقطعت كلماتها عندما التفت ذراعاه حولها، ثم ضمها إليه بشدة. اعتقدت أن عليها أن تبرر سلوكها، وتتوسل إليه لتقنعه بأن يستمع إليها، لكن الأمر لم يتطلب منها سوى ثلاث كلمات.. ثلاث كلمات كان يجدر

بها أن تقولها منذ أيام. تشبثت به، وبادلته المعانقة من كل قلبها، وشعرت بأنها تدور بارتياح، وأنها تحلّق عالياً إلى أن شعرت بدوار بسبب سحر اللحظة.

- تراڤيس؟!

اخترق الصوت الغمامة التي تلتف حولهما، ومرّت لحظة قبل أن يتمكنا من تهدئة شغفهما وحاجتهما لبعضهما، ثم قال بنفاد صبر: «إنها سكاي، عليّ أن أساعد...».

قالت بيث بنبرة لاهثة: «سآتي معك أيضاً».

وأكملت في سرها: «إلى نهاية العالم».

لم تعرف ما الذي ينتظرها عندما تبعت تراڤيس إلى المطبخ، إلا أن آخر شيء توقعته هو منظر سكاي ممدّدة في سلة كبيرة مع أربع جراء تتزاحم في صندوق مغطى بمنشفة موضوع إلى جانبها، حيث تصدر أصواتاً خفيفة.

الطبيبة البيطرية، امرأة جذابة في أواسط العمر، تذكرت بيث أنها تعرّفت إليها بشكل غير واضح في مركز الطب البيطري الذي زارته عند معالجة هارڤي من الجروح التي أصابته بسبب شجاره مع القنفذ.

نظرت إليهما حين دخلا وقالت مبتسمة: «آخر جرو خرج الآن. المشكلة كانت أن الجرو الذي خرج أولاً وهو ذكر ذو حجم كبير بدا مثل الفلينة، وحالما خرج لم تعد هناك مشكلة مع شقيقاته».

- آه! إنها جراء رائعة!

حدّقت بيث إلى المنظر مبتهجة، وأضافت بلطف، لتراڤيس: «لم تخبرني بذلك».

ابتسمت الطبيبة قائلة: «لم يكن يعلم. تلقيت اتصالاً مسعوراً يعلمني فيه أن سكاي تعاني من ألم شديد، وتتصرّف بغرابة. شعرنا بالارتياح عندما اكتشفنا أنها تلد».

- كل هذه الجراء!

لأوّل مرة منذ أن عرفته، ترى بيث تراڤيس مرتبكاً. قال: «تبدو شيبا

وسكاي مثل دبين كبيرين مقارنة بهذه الجراء. أليس كذلك؟ اعتقدت أنها تسمن، لكن بأي حال إنهما تأكلان مثل الأحصنة».

- دبية، أحصنة...!

ضحكت الطبيبة ووقفت، ثم راحت تليّن ظهرها قائلة: «حسناً! تراڤيس، حصلت على أربع جراء بصحة جيّدة. من الوالد المحظوظ؟ هل أعرفه، عن طريق الصدفة؟».

نظر تراڤيس إلى بيث، ثم ابتسم.

للحظة لم تفهم قصده، ثم وضعت يدها على فمها متمتمة: «ليس هو؟ ليس هارڤي؟».

ابتسم تراڤيس قائلاً: «إنه الذكر الوحيد الذي اتصلتا به منذ أشهر. لا شك أن رفقة الكلبتين أسعدته. آمل ألا يحصل الأمر نفسه مع شيبا، فأربع جراء كافية تماماً».

ظهرت إشارة من الذعر في صوته وتابع: «حبست هارڤي معها للتو».

عرضت الطبيبة البيطرية قائلة: «سأفحصها إذا رغبت قبل أن أغادر».

بعد بضع دقائق عادت قائلة بابتهاج: «لا تقلقا بخصوص حبس الكلب معها الليلة، فالعملية انتهت منذ بعض الوقت. أعتقد أن ما حصل الليلة سوف يتكرر بعد ثلاثة أسابيع تقريباً».

أغمض تراڤيس عينيه للحظة وجيزة.

وقفت بيث تراقب الجراء، التي راحت تقترب من أمها التماساً للدفء والطعام، بينما رافق تراڤيس الطبيبة إلى الخارج. عندما عاد إلى المطبخ قالت بيث فوراً: «أنا آسفة جداً، تراڤيس، بشأن هارڤي. هذه الجراء...!».

قاطعها ملاطفاً وجهها، وأخذها بين ذراعيه قائلاً: «إنها قوة الطبيعة».

ثم ضمها إليه بشدة وهمس بأذنها: «قولي مرّة أخرى. أخبريني بأنك تحبينني. انتظرت وقتاً طويلاً لأسمع هذه الكلمة».

تنفّست قائلة: «أحبك».

راحت الجراء تشم قدميها، فيما أضافت بيث: «أحبك أكثر مما حلمت أنه يمكنني أن أحبّ».

رفع ذقنها بيده فأصبحت تنظر مباشرة إلى عينيه وقال: «والثقة؟ ماذا عن الثقة؟».

- هذه أيضاً. أعدكَ.. وهذه أيضاً.

توقعت شيئاً من التساؤل، لكن من جديد قَبِلَ تراڤيس ما قالته دون تردد، لأنه يثق بها. لأنه يحبها ويثق بها. جون ترنر محق في ما قاله: تراڤيس رجل طيّب. هو عملاق بين الرجال، رجل ترغب بأن تبقى إلى جانبه لبقية حياتها. فجأة كل الأشياء التي اعتقدت أنها خسرتها إلى الأبد؛ بيتٌ يشاركها فيه رجل تحبه، أولاد، عائلة سعيدة، أصبحت أمامها من جديد، وفي متناول يدها.

- أنت حب حياتي، بيث.

جاء صوته هادئاً جداً، لكن فيه شيئاً ما جعل الدموع تترقرق من عينيها. وأضاف: «إذا سمحت لي، أود أن أمضي بقية حياتي وأنا أبرهن لك ذلك. هل تتزوجينني؟».

ثم نظرت إلى عينيه الرمادتين الثابتتي النظرات، واللتين تلمعان بحبّ. جعلها تراڤيس تشعر كأنها ملكة أمامه، فقالت، وعيناها تلمعان: «أجل. آه! أجل، تراڤيس. أجل، أجل، أجل!».

* * *

لم ترغب بيث بحفل زواج كبير، أما الحضور فهم أفراد العائلة فقط وبعض الأصدقاء المقربين مثل مايفيس ودايف وأولادهما. إلا أنها اتفقت مع تراڤيس على إقامة حفلة كبيرة للجميع عندما يعودان من شهر العسل.

تزوجا في كنيسة الأبرشية في شروبشير بعد شهرين من تقدم تراڤيس لخطبتها، مساء يوم معتدل من شهر تشرين الأول. بعد ذلك، عاد الجميع إلى منزل تراڤيس حيث نُصبت ظلّة في الحديقة. بدت الحفلة غير رسمية حيث

راح الأولاد يركضون، يلعبون ويضحكون، والكبار يجلسون، يتحدثون أو يرقصون على وقع الموسيقى التي تعزفها فرقة استأجرها تراڤيس.

لم يغب عن انتباه بيث أن كل النساء الموجودات، حتى أسعد الزوجات، لم يستطعن رفع أنظارهن عن تراڤيس. فوسامته التي تنضح بالقوة أضفت رونقاً خاصاً على بذلته الرسمية الخاصة بحفل الزفاف. لكن بيث لم تهتم لنظراتهن، فهي تعرف أن تراڤيس لها، وسيبقى كذلك دائماً وإلى الأبد. فهي متأكدة من ذلك تماماً الآن.

الجراء التسعة بأحجامها المختلفة، وهي أربعة من سكاي وخمسة من شيبا، بالإضافة إلى أولاد مايفس ودايف كانت محط الأنظار. راح هارڤي يمشي متباهياً كأنه سلطان بين هذه المجموعة، كما فكرت بيث بإعجاب. اختارت هي وتراڤيس اثنين من الجراء ليحتفظا بهما، أما الجراء السبعة الأخرى، فقد وجدا لهما منازل جيّدة. كاثرين وميشال اختارا أول مولود ضخم لسكاي، وأعلنت كاثرين أنه صورة عن والده الوسيم.

- أنتِ أجمل عروس في العالم. الجميع قال هذا.

همس تراڤيس في أذن بيث في وقت لاحق ذاك المساء، عندما كانا يرقصان على وقع موسيقى رومنسية تعزفها الفرقة. وهذا صحيح فعلاً. فستان بيث الحريري ذو اللون العاجي يبدو أنيقاً جداً على الرغم من بساطته. ذلك أن الطريقة التي يحدد فيها الثوب الضيق خصرها النحيل وجسمها الرشيق بدت ملفتة للأنظار.

النظرة التي علت وجه تراڤيس حين استدار ليراها تتقدم في الممر بدت مؤثرة، حتى إن جميع النساء الموجودات في الكنيسة غالبن دموعهن.

وصلت بيث وقرّبت شفتيها من أذنه، وهمست له: «أحبك!».

تأوه تراڤيس ثم قال: «متى تعتقدين أنهم سيغادرون جميعاً؟».

شفته قدم لها برهاناً ساطعاً أنه يتحرق شوقاً إليها كما تتحرق هي شوقاً إليه. أضاف قائلاً: «هل سيمكثون طويلاً بعد؟».

قهقهت بيث قائلة: «ليس لأعوام. الجميع مستمتع جداً. أعتقد أنهم

سيبقون هنا مدة طويلة».

- إذاً سوف نقوم بتوديعهم، ونغادر نحن.

- لا نستطيع القيام بذلك.

بدت بيث مصدومة وأضافت: «ماذا سيعتقد الناس؟».

- سيقولون إنني لم أعد أستطيع الانتظار لتكوني لي وحدي، وهم محقون في ذلك.

أجاب تراڤيس بنبرة جافة مضيفاً: «تعالي... وسوف نرحل».

ساندرا ووالدة تراڤيس ستمكثان في المنزل للاهتمام بالكلاب إلى أن يعودا من شهر العسل في إيطاليا، أما زوج والدته فاعتذر عن حضور الزفاف بسبب ضغط العمل، وهذا شيء عظيم أراح الجميع. حجز تراڤيس جناحاً في فندق محليّ لتمضية الليلة، ومنه سيغادران صباحاً مباشرة إلى إيطاليا. أخذ يدها، وقبّل راحتها بطريقة جعلت قدميها ترتخيان. همست بيث: «حسناً!».

هذه ستكون أوّل مرّة لهما معاً وبيث ترغب به بقدر ما يرغب بها هو. أما الآخرون فتلاشوا بالنسبة لهما.

في الليلة التي وُلدت فيها الجراء، أعلنت له بيث عن حبها وثقتها التامة به، فأخذ تراڤيس يديها بيديه، ووقف بعيداً عنها قليلاً، وعندها قال: «أشكرك على حبكِ وثقتكِ بي، عزيزتي. أنا أرغب بك أكثر مما تستطيع الكلمات أن تعبّر، لكننا سنقوم بهذا بشكل صحيح. لن أتظاهر بأنني لم أعرف نساء، بيث، وأنت تعرفين ذلك. لكن أنتِ مختلفة. حياتنا معاً تبدأ الآن ويجب أن تبدأ بشكل صحيح. أريدكِ زوجتي وأم أولادي، وهذا يميزك عن الأخريات. هل تفهمين ما أقوله؟ أنتِ تستحقين الانتظار».

أومأت برأسها، لكنها بالرغم من ذلك بدت مرتبكة قليلاً.

تابع تراڤيس: «ستكون فترة خطوبة قصيرة، حسناً؟ فترة قصيرة جداً».

سارا مبتعدين عن المنزل تحت رشاش من الأرز والورود. التقطت ساندرا باقة الزهر التي رمتها بيث من سيارة الأجرة، فيما جلس العروسان

قريبين من بعضهما في المقعد الخلفي للسيارة، وأيديهما متشابكة. ظلال المساء بدت لطيفة، فيما غلّف العالم خارج السيارة ظلام ناعم معطّر. لكن بيث كانت واعية لزوجها فقط.. زوجها الذي يمثل كل شيء بالنسبة لها: شمسها، قمرها ونجومها.

قال تراڤيس إن هذه بداية لبقية حياتهما معاً وهي تصدّق ذلك. كل ما مضى من قبل، كيث، زواجها الأول، الكارثة التي أصبح عليها، أصبح من الماضي. أما المستقبل فهو لهما، ليصنعا منه ما يريدان، وهي تريده أن يكون جيداً... جيداً جداً.

عندما ترجلا من سيارة الأجرة، عبقت رائحة دخان الحطب المتكاسلة في الهواء الخريفي الدافىء، وبدت السماء مخملية، منقطة بالنجوم، وتعوم في ضوء قمر شاحب. ما إن اختفى صوت السيارة، حتى شعرا بسكون هامس ينتشر في هذه الليلة الممتازة: سكون خالد وساحر.

وقفا معاً يلفهما صمت الليل، فوضع تراڤيس ذراعه حول خصرها، ثم رفع رأسه نحو القمر، وتمتم بصوت أجش قائلاً: «سيكون هناك ليالٍ أخرى مثل هذه الليلة... طوال العمر. ويوماً ما عندما يكبر أولادنا ويرحلون، ونبقى نحن الاثنان فقط، سأذكرك بهذه الليلة. سأخبرك كم أنتِ جميلة، وكم أحبك، وكم أنا رجل محظوظ».

همست بيث، لامسة وجهه الواضح المعالم براحة يدها، قائلة: «وأنا سأخبرك بأنك أنقذتني، وأنني أحبك أكثر من الحياة نفسها».

بدا جناح شهر العسل فخماً وعصرياً تلفه ظلال من اللونين الذهبي والقشدي، لكن تراڤيس وبيث لم ينتبها لأي شيء سوى بعضهما البعض.

وقفا في وسط الغرفة، واحتضنها بذراعيه قائلاً: «حسناً، سيدة بلاك!».

قرّبها منه فأحسّت بدقات قلبه وبجسده القوي مقابل جسدها الحريري الناعم وقال: «أنتِ جعلتني أطير يا امرأة، إذا أردتِ معرفة ذلك. أنتِ كل ما حلمت به، جميلتي بيث المدهشة الرائعة».

طوّق وجهها بكلتا يديه القويتين. ثم همس في أذنها: «إلى الأبد. هل هذا يزعجكِ؟ أيخيفك، ولو قليلاً؟ يمكنك إخباري، فأنا لا أمانع».

- بالطبع لا!

بدا الحب في عينيها كجوابٍ كافٍ بالنسبة له. قال تراڤيس بابتسامة: «هل اختفت كل الأشباح؟».

- لم تحظَ بفرصة منذ أن قابلتك.

- سوف أعوض لكِ عن كل لحظة تعاسة عشتها، وكل مزاج كئيب، وكل دمعة ذرفتها.

فجأة اختفت التسلية من صوته وأصبح جدياً بشكل تام، فيما راحت يده ترسم حدود وجهها بلطف رائع، وتابع: «لا أستطيع تغيير الماضي، حبيبتي، لكنني سأجعل المستقبل لنا، وسيكون رائعاً».

تساءلت بيث إن كان قد أدرك أنها ذرفت دمعة لذكرى والدتها هذا الصباح، تلك الوالدة التي تاقت لأن تراها مرتدية ثوب زفاف مبهرج.

- سنكون أكثر سعادة من أي زوجين منذ وجود العالم، هل تصدقين ذلك؟

تمتم مضيفاً: «هل تحسّين بذلك في أعماق داخلك؟».

أومأت بيث برأسها موافقة. حملها تراڤيس ووضعها على السرير. فيما اشتدت ذراعاه حولها، وراح يعانقها. تساءلت ما الذي فعلته لتستحق مثل هذا الحب. وما إن ذاب جسدها بجسده، عرفت أنها لا تريد شيئاً أكثر من وجود هذا الرجل بجانبها، لبقية حياتها.

في وقت لاحق ناما متعانقين، بدوا مفعمين بالحياة وراضيين. روحان اجتمعتا معاً إلى الأبد، وقلبان يخفقان كقلب واحد. بالرغم من كل المشاكل، وجدا بعضهما، وأصبح الحلم حقيقة.